الإحالة في النص القرآني

إعداد الطالب

ياسين فوزي أحمد بني ياسين

إشراف

الأستاذ الدكتور يوسف أبو العدوس

١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بسم الله الرحمن الرحيم

الإحالة في النص القرآني

إعداد الطالب

ياسين فوزي أحمد بني ياسين

بكالوريس لغة عربية وإدابها

جامعة اليرموك/ ٢٠٠٣

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها تخصص: لغة ونحو- جامعة اليرموك/ إربد- الأردن. نوقشت بتاريخ٢٠٠٦/٨/٢١.

لجنة المناقشة

الأستاذ الدكتوريوسف مسلم أبو العدوس.....مشرفا ورئيسا

الأستاذ الدكتور عبد الحميد الأقطش.....عضوا

الأستاذ الدكتور محمد الهزايمة.....عضوا

الأستاذ الدكتور عبد القادر مرعي.....عضوا

١٤٢٧هـ\٢٠٠٦م

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الإهداء

إلى كل من أنار قلبه بتلاوة آي القرآن العظيم

إلى كل من عرف أنه على ثغرة من ثغور الإسلام، فلم يُؤتَ من قِبَله

إلى والدي الكريمين

أهدي هذا العمل

© Arabic Digital Library Yarmouk University

شكر وتقدير

أتقـــدم بجـــزيل الشـــكر وعظيم الامتنان إلى أستاذي، الأستاذ الدكتور يوسف أبو العدوس لتفضله بقبول الإشراف على هذه الدراسة، ولما أبداه من نصح وإرشاد ومتابعة، جعلتني أتجاوز كثيرا من أخطائي، وكان لها كبير الأثر على هذه الدراسة.

وأتقدم بالشكر والعرفان إلى أساتذتي: الأستاذ الدكتور عبد القادر مرعي، والأستاذ الدكتور عبد الحميد الأقطش، والأستاذ الدكتور محمد الهزايمة على تفضلهم بقبول مناقشة هذه الدراسة.

وأتقـــدم بالشـــكر إلـــى من ساهم بإخراج هذا العمل إلى حيز الوجود، وأخص بالذكر أمجد قطـــيش، ومعـــين أبو سيف، وفهد عاشور، ونصارمقدادي، وأسامة العمري، وإبراهيم خليفة، ومحمد قرقز، وشرحبيل بني ياسين، وعلاء بني ياسين.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فهرس المحتوى

الموضوع ..... الصفحة

الإهداء ..... أ

شكر وتقدير ..... ب

فهرس المحتوى ..... ج

ملخص باللغة العربية ..... ز

المقدمة ١

الفصل الأول:الإحالة:مفهومها وأهميتها ٥- ٥٠

معنى الإحالة لغة واصطلاحا ٧

مفهوم الإحالة في الدرس اللغوي. ٩

مفهوم الإحالة في الطرح التقليدي ١٠

مفهوم الإحالة عند هاليدي ورقية حسن ١١

العناصر الإشارية ٣٣

العنصر الإحالي ٣٤

البنية الإحالية ٣٥

الإحالة عند الإمام السيوطي..... ٣٧-٥٠

الفصل الثاني: أنواع الإحالة ومعايير تصنيفها ٥١- ١١٩

معايير تصنيف الإحالة ٥٢

أنواع الإحالة..... ٥٤

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الإحالة الشخصية..... ٥٥
الإحالة الإشارية..... ٥٦
الإحالة المقارنة ٥٩
الإحالة التكرارية..... ٥٩
الإحالة الخارجية ٦١
الإحالة الداخلية..... ٦٤
الإحالات السببية..... ٧١
الإحالات الإسنادية ٧٤
إحالات الحذف ٧٧
الإحالات التجريدية ٧٨
الإحالات الارتكازية..... ٨٠
الإحالات التماثلية ٨٢
الإحالات التخالفية..... ٨٣
تصنيف الباحث للإحالة..... ٨٦ -١١٩
الإحالة على مفرد..... ٨٦-١٠١
الإحالة بالصفر..... ٨٦
الإحالة على الصفر..... ٨٩
إحالة كلمة على كلمة..... ٩١
إحالة كلمة على مقطع..... ٩٤

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إحالة كلمة على نص..... ٩٥

إحالة نص على نص..... ٩٨

الإحالة على متعدد..... ١٠٢-١١٣

إحالة الإبهام ١٠٢

إحالة التعمية..... ١٠٣

الإحالة الاندماجية..... ١٠٤

الإحالة الانقسامية ١٠٩

الإحالة التأويلية..... ١١٤-١١٧

الإحالة التماثلية..... ١١٥

الإحالة التخالفية..... ١١٦

الإحالة الاجتزائية..... ١١٧

الإحالة غير التأويلية..... ١١٩

الفصل الثالث: مظاهر الإحالة في النص القرآني..... ١٢٠-١٧٩

الإحالات الشخصية ١٢٤

الإحالة الإشارية..... ١٢٥

الإحالة الخارجية..... ١٣١

الإحالة الداخلية..... ١٣٨

الإحالة بالصفر..... ١٥٢

الإحالة على الصفر..... ١٥٤

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الإحالة الانقسامية..... ١٥٦

الإحالة الاندماجية..... ١٦٤

الإحالة التكرارية..... ١٧٤

الفصل الرابع : وظائف الإحالة في النص القرآني..... ١٨٠-٢٠٢

تشكيل النص..... ١٨٢

الاختصار..... ١٨٥

الربط..... ١٨٨

الاتساق..... ١٩٢

التوكيد..... ١٩٦

المقارنة..... ١٩٧

تنامي النص..... ١٩٧

التكثيف..... ٢٠٠

النفي..... ٢٠١

الإبطال..... ٢٠٣

الخاتمة ٢٠٤

ملخص باللغة الإنكليزية..... ٢٠٦

المصادر والمراجع ٢٠٨

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ملخص باللغة العربية

الإحالة في النص القرآني

قامـــت فكـــرة هذه الدراسة على تناول موضوع الإحالة في النص القرآني، باعتبار الإحالة خاصية لغوية تمتلكها أبنية النص، تقوم على التحكم بمسار الرسالة المبثوثة، مجبرة المتلقي على التـــنقل في فضاء النص القرآني،والاستعانة ببنية لغوية غير التي يصل إليها استقباله،وقد تصدت الدراســـة للإحالـــة بوصفها إحدى معطيات النص التي تسهم في نصيته،لا بكونها أداة من أدوات الاتساق حسب، بل لأنها تسهم-أيضا- في تحقيق عدد من الأمور التي تتحقق بها النصية.

توصـــلت الدراسة إلى نتائج يمكن الإفادة منها لوصف البنى الإحالية في نصوص أخرى، مـــنها أن للإحالـــة أشكالا ووظائف لم يعرض لها الدارسون؛ وأن الإحالة داخل النص لا تقتصر علـــى مـــا يســـمى في الدرس اللغوي عناصر إحالية **Anaphors**؛ وقد أقدم الباحث على هذه الدراســـة من منظورات جديدة، تجاوزت أفق إحالة المضمرات على ما تعود عليه سعيا للامتداد بمفهوم الإحالة، وزيادة المفردات المنضوية فيه، وعرض لبعض أشكال الإحالة بوصفها جزءا من استراتيجية بناء النص.

وقد عرض الباحث لمظاهر الإحالة في النص القرآني؛ بالوقوف على أشكال الإحالة فيه وعلى الوظائـــف التي تؤديها الإحالة، و قدم فيه مظاهر الإحالة في النص القرآني على نحو، يعتقد أنه من خلاله يمكن تصور البنية الكلية للنص من خلال تتبع الفعل الإحالي، وقد جاءت الدراسة على النحو الآتي:

أولا : المقدمة

ذكـــر الـــباحث فـــيها أهمية الموضوع ومنهج الدراسة والصعوبات التي واجهته، وأهم

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الدراسات والجهود السابقة، وتقسيمات هذه الدراسة.

ثانيا: الفصل الأول: مفهوم الإحالة

عرضـــت الدراسة في هذا الفصل لمفهوم الإحالة في الدرس اللغوي ولأهم المصطلحات المنضوية في هذا المصطلح، وعرضت فيه لأبرز وجوه تصورات الدارسين للإحالة بوصفها أداة إجـــرائية من أدوات تحليل الخطاب، وعرضت بعد ذلك لمقاربة السيوطي لهذه الوجوه في كتابه معترك الأقران في إعجاز القرآن.

ثالثا: أنواع الإحالة

عرضت الدراسة فيه لأنواع الإحالة وللمعايير التي روعيت عند تصنيفها، وقدم الباحث فيه تصـــورا جديدا لأشكال الإحالة اعتمد فيه على منظور يتجاوز أفق إحالة المضمرات وعلى أمور وقـــف علـــيها الباحث من خلال تتبعه للفعل الإحالي في النص القرآني ويعتقد الباحث أن بعض أنواع الإحالة وأشكال البنى الإحالية ذكرها لم يشر إليها من قبل.

رابعا: الفصل الثالث: مظاهر الإحالة في النص القرآني

ويمثل الجانب التطبيق للدراسة، وقد عرض الباحث فيه لأنواع الإحالة ووظائفها في النص القرآنـــي، ولخصوصـــية النص القرآني في إيراد العناصر الإحالية والإشارية، ودور الإحالة في تحقيق مقاصد الخطاب القرآني.

خامسا: الفصل الرابع: وظائف الإحالة

عرضـــت الدراســـة فـــيه لوظائف الإحالة باختلاف أشكالها ودورها في تشكيل النص، واتساقه وتناميه، ودورها في تحقيق النصية

سادسا :الخاتمة؛ وتضمنت أهم النتائج التي توصل إليها الباحث.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، وبعد؛

قامت فكرة هذه الدراسة على تناول موضوع الإحالة في النص القرآني، باعتبار الإحالة خاصـــية لغوية تمتلكها أبنية النص، تقوم على التحكم بمسار الرسالة المبثوثة، مجبرة المتلقي علـــى التـــنقل في فضاء النص القرآني، والاستعانة ببنية لغوية غير التي يصل إليها استقباله، وانطلقـــت هـــذه الدراســـة من مقاربة الإحالة باعتبارها إحدى معطيات النص التي تسهم في نصيته، لا بكونها أداة من أدوات الاتساق حسب، بل لأنها تسهم- أيضا – في تحقيق عدد من الأمور التي تتحقق بها النصية.

وقد أقدمت هذه الدراسة على التصدي للإحالة من منظور تجاوز أفق إحالة المضمرات، على ما تعود عليه، سعيا للامتداد بمفهوم الإحالة، وزيادة المفردات المنضوية؛ وكان تركيزها منصـــبا على بيان مظاهر الإحالة التي لا يشار إليها في الدرس اللغوي، وإلى دورها في بناء الـــنص، وغير ذلك من القضايا التي يعتقد الباحث أنها يمكن الإفادة منها في تحليل النصوص ووصـــفها تحلـــيلا لغويا ؛ لذا فهذه الدراسة تنتمي إلى نحو النص، فهي تهتم بطرفي الحدث التواصـــلي، وبالســـياق، وبدور الإحالة في تشكيل النص وتماسكه، و تقف على أشكال البنى الإحالـــية في النص، و انعكاس شكل هذه البنى على البنية الكلية له، وتهتم بدور الإحالة في تحقيق مقاصد منشئي النصوص.

عرضـــت بعض الدراسات للإحالة في النص القرآني، غير أنها لم تراعِ خصوصيته، ولـــم تلـــتفت إلى كثير من مظاهر الإحالة في النص القرآني؛ لأنها انطلقت من تصور مسبق لأشـــكال الإحالة ووظائفها، وهو التصور الذي يقدمه هاليدي ورقية حسن في كتابهما الاتساق فـــي الإنجليـــزية، ومـــن هذه الدراسات كتاب علم اللغة النصي: تطبيق على السور المكية

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لإبراهيم صبحي الفقي، و رسالة دكتوراة لأحمد أبو دلو، وهي بعنوان: تحليل الخطاب الجدلي في القرآن الكريم؛ غير أن هاتين الدراستين اعتمدتا على تصور هاليدي ورقية حسن، فأقدمتا على التصدي للإحالة بوصفها إحدى أدوات الاتساق النصي.

وقد تصدى سعيد البحيري للإحالة في النص القرآني في كتابه(دراسات لغوية تطبيقية)، حيث خصص فصلا للإحالة، أسماه " تضافر العناصر الإحالية والإشارية في تماسك النص" غير أنه اعتمد فيه بشكل كبير كتاب الأزهر الزناد(نسيج النص)، واقتصر فيه على بيان دور الإحالة في تماسك النص جنبا إلى جنب مع الروابط التركيبية والزمانية، و عرض فيه- أيضا- للبنية الإحالية للضمائر وأسماء الإشارة، على نحو لا يتبين فيه القارئ كثيرا من مظاهر الإحالة في النص القرآني.

وأشار تمام حسان للإحالة في النص القرآني في كتابه(البيان في روائع القرآن)، غير أنه لم يعرض إلا لبعض جوانبها؛ ولعل السبب أن كتابه تصدى لمسائل عديدة كانت الإحالة إحداها.

عرضت بعض الدراسات للإحالة في نصوص غير النص القرآني، منها رسالة دكتوراه لمحمد أحمد أبو عيد بعنوان: تطور أدوات الاتساق النحوي والمعجمي في الشعر العربي الحديث؛ وعنوان هذه الرسالة يدل بوضوح على أنها اعتمدت على نظرية الاتساق عند هاليدي ورقية حسن؛ والتي تنظر للإحالة على أنها إحدى الأدوات التي يتحقق بها الاتساق النصي. وهناك دراسة أخرى، وهي رسالة دكتوراه لعبد المهدي الجراح بعنوان: الخطاب وأثره في بناء نحو النص، عرض فيها للإحالة، وقام بتصنيف الإحالة تصنيفا جديدا اعتمادا على معايير جديدة.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومـــن الدراسات التي وظفت الإحالة في التحليل، بحث بعنوان"قصيدة الوقت لأدونيس: ثنائـــية الاتساق والانسجام" لسامح الرواشدة، حاول أن يثبت فيه أن النص قد يكون منسجما رغـــم عدم وجود ما يكفي من أدوات الاتساق، وهذا ما قامت عليه نظرية الانسجام لفان ديك، أمـــا فيما يتصل بالإحالة فقد اعتمد على كتاب لسانيات النص لمحمد الخطابي، وتحديدا على الفصـــل الأول مـــن هـــذا الكـــتاب، وهو عرض موجز لتصور هاليدي ورقية حسن لتحليل الخطاب؛ وقد اختاره الخطابي نموذجا على المنظور اللساني الوصفي، في بيان كيفية انسجام الخطاب واتساقه.

أمـــا فـــيما يتصل بأهمية الدراسة، فتتأتى من عدة جوانب، منها: أن الباحث لم يقف علـــى أي دراســـة فـــي اللغة العربية تتصدى للإحالة بشكل مستقل، وأنه حاول الوقوف على أشـــكال الإحالـــة في النص القرآني ووظائفها، و سعى للوصول إلى نتائج يمكن الإفادة منها لوصـــف البنـــى الإحالـــية في نصوص أخرى، ويرى الباحث أن للإحالة أشكالا ووظائف لم يعرض لها الدارسون.

قســـم الباحث هذه الدراسة إلى أربعة فصول؛ عرض في الفصل الأول لمفهوم الإحالة فـــي الـــدرس اللغـــوي، وحـــاول أن يقدم فيه صورة مختصرة وواضحة عن مفهوم الإحالة، وعـــرض الباحث فيه- أيضا- للسيوطي في كتابه(معترك الأقران في إعجاز القرآن)؛ اعتقادا بأن له في هذا الكتاب مقاربة للإحالة الضميرية، أتت على معظم مسائل الإحالة.

أما الفصل الثاني، فقد عرض الباحث فيه لأنواع الإحالة في الدرس اللغوي، وللمعايير التي تصنف الإحالة بمقتضاها، وقد أقدم الباحث على تصنيف الإحالة تصنيفا جديدا عرض فيه أنـــواعا؛ يعـــتقد أن أحـــدا لم يشر إليها، وقف عليها من خلال تتبع الفعل الإحالي في النص القرآني، ووضع لها مصطلحات جديدة لوصف مظاهر الإحالة في النص القرآني.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أما الفصل الثالث؛ فقد عرض الباحث فيه لمظاهر الإحالة في النص القرآني؛ بالوقوف على أشكال الإحالة فيه وعلى الوظائف التي تؤديها الإحالة، و قدم الباحث فيه مظاهر الإحالة في النص القرآني على نحو، يعتقد أنه من خلاله يمكن تصور البنية الكلية للنص من خلال تتبع الفعل الإحالي.

أما الفصل الرابع فقد عرض فيه الباحث لوظائف الإحالة، وخصوصيتها في أبنية النص، و عرض فيه تصورا للكيفية التي تتحقق بها وظائف الإحالة.

اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي؛ فقد قامت على تتبع الفعل الإحالي في النص القرآني، واستقراء العناصر الإحالية، وأشكال الإحالة ووظائفها، وعمل الباحث على تجريد المقولات والمصطلحات لوصف الظواهر التي وقف عليها؛ وقد اتبع الباحث هذا المنهج؛ لأن دراسة أي ظاهرة لغوية من منظور نحو النص تسعى غالبا لتجريد قواعد تبين كيفية تشكل النصوص.

واجه الباحث صعوبات كثيرة في هذه الدراسة، وأبرز هذه الصعوبات هو قلة الدراسات العربية التي تصدت للإحالة، وثمة صعوبات تتصل بطبيعة النص القرآني؛ إذ وقف الباحث فيه على مظاهر إحالية لم يتم الحديث عنها في الدرس اللغوي؛ وهذا تطلب وضع مصطلحات تدل على هذه المظاهر، إضافة إلى الصعوبة التي واجهت الباحث في اختيار مصطلح يتناسب مع الظاهرة.

ويأمل الباحث أن تقدم هذه الدراسة ما يمكن الإفادة منه في نحو النص، حيث إن هذا العلم لا يزال حديثا في الدرس اللغوي عموما، وفي الدراسات العربية خصوصا.

وأسأل الله أن يكون الباحث قد وفق فيما اجتهد؛ وإن أصاب فمن الله، وإن أخطأتُ فلي أجر الاجتهاد، وأسأل الله أن يوفقنا لخدمة القرآن العظيم.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الأول
الإحالة مفهومها وأهميتها

معنى الإحالة: لغة واصطلاحا

مفهوم الإحالة في الدرس اللغوي

الإحالة عند الإمام السيوطي

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الأول

الإحالة مفهومها وأهميتها.

على الرغم من أن الاهتمام بالإحالة وقضاياها وتعقيداتها ليس بدعا في اللسانيات الحديثة، وأنها شغلت كل من اهتم بالنشاط الفكري من الفلاسفة والمناطقة، وعلماء النفس، وشغلت كل من اهتم بالنشاط اللغوي من النحاة والبلاغيين وعلماء اللسان[1] إلا أنه يمكن القول إن الاهتمام بمسائل الإحالة قد بدأ يأخذ منحىً جديدا، يتمثل في الانتقال من الجانب النظري إلى الجانب التطبيقي.

ويشير سعيد البحيري إلى" أن موضع مشكلة الإحالة في الدرس اللغوي الحديث قد صار أكثر بروزا، و بخاصة بعد أن تحقق تقدم ملحوظ بدرس جوانب مختلفة، كلها تصب في ظاهرة الإحالة"[2].

ولا يتسع المقام في هذه الدراسة؛ فتعرضَ لجميع مسائل الإحالة وتعقيداتها؛ لذا ستقتصر في هذا الفصل على عدد من المسائل، وهي:مفهوم الإحالة في الدرس اللغوي، والمصطلحات الرئيسة التي تندرج تحت هذا المصطلح، والمعنى اللغوي لكلمة إحالة وصلته بالمعنى الاصطلاحي، وستعرض لبعض المسائل التي تم الوقوف عليها من خلال تأمل الفعل الإحالي في النص القرآني؛ لضرورة الإشارة إليها عند الحديث عن مفهوم الإحالة، وستعرض الدراسة للسيوطي في كتابه(معترك الأقران في إعجاز القرآن)؛ لان للسيوطي في الكتاب المشار إليه مقاربة للإحالة أتت على معظم قضاياها، ولأن ما ذكره في هذا الكتاب يمكن الإفادة منه في وصف مظاهر الإحالة في النص القرآني.

([1]) انظر: نسيج النص، الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٣،ص: ١١٥.

([2]) انظر: دراسات لغوية تطبيقية، في العلاقة بين البنية والدلالة، سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق(د.ت)، القاهرة، ص: ٩١.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

أولا:المعنى اللغوي لكلمة إحالة

ســتعرض الدراسة للمعنى اللغوي لكلمة(إحالة)- وهي مقابل للمصطلح الإنجليزي **Reference**- قــبل أن تعرض لمفهومها في الدرس اللغوي؛ "فمصطلحات علم اللغة يقترب معناها اللغوي من معناها الاصطلاحي، إذ يدور الأول حول مجالات دلالية معينة، يمكن من خلالها التقريب بينها وبين المعنى الاصطلاحي"[1].

الإحالة في اللغة مصدر للفعل(أحال)، ولهذا الفعل- كما يتضح من معاجم اللغة- دلالات كثيرة متباينة، وهذا التباين لأسباب كثيرة، منها: تعدد الدلالات التي تضفيها زيادة الهمزة على الجــذر(حــول)، وتعدد معاني هذا الجذر نفسه، والاستخدام المجازي له. ولا يتسع المقام هنا لســرد معانــي كلمــة إحالة؛ لذا ستقف الدراسة عند المعاني التي يمكن القول إنها ذات صلة بمفهــوم الإحالة في الدرس اللغوي الحديث، على أن بعض هذه المعاني ربما لم تكن حاضرة في الذهن عند وضع مصطلح الإحالة مقابلاً عربياً للمصطلح الإنجليزي. والمعاني التي يمكن القــول إنهــا ذات صلة هي: أحال الغريم: زجَّاه عنه إلى غريم آخر[2]،أحالوا: أي أقبلوا إليه هاربين[3]،أحلت عليه بالكلام: أقبلت[4]،أحال عليه بالسوط يضربه: أقبل[5].

يمكــن أن نقف على صلة المعاني اللغوية السابقة، بمفهوم الإحالة في الدرس اللغوي من خلال النظر فيما يقوله يول و براون في معرض حديثهما عن العناصر الإحالية" الأدوات التي

---

(1) علم اللغة النصي، إبراهيم صبحي الفقي، دار قباء ، القاهرة، ٢٠٠٠، ط١،ج١، ص: ٢٧.

([2]) لسان العرب، ابن منظور، تحقيق:أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠، مادة(حول)، وانظر المحكم والمحيط الأعظم،أبو حسن؛علي بن إسماعيل بن سيده، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت،٢٠٠٠، مادة (حول).

([3]) لسان العرب، مادة (حول).

([4]) لسان العرب، مادة (حول).

([5]) لسان العرب: ابن منظور: مادة (حول)، وانظر: الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار الكتاب العربي، القاهرة،١٩٥٦، مادة (حول)، وانظر:المحكم والمحيط الأعظم، مادة (حول).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تحـــيل داخـــل النص هي الأدوات التي نعتمد في فهمنا لها، لا على معناها الخاص، بل على إســـنادها إلـــى شيء آخر، هذه الأدوات تجبر المستمع/القارئ على البحث في مكان آخر عن معناها"[1].

بالنظـــر إلى المعاني اللغوية السابقة نجد أنها تتراوح بين ثلاثة معانٍ، يتصل المعنى الأول بمجيء الفعل(أحال) متعديا، فالمحال لا يقبل من تلقاء نفسه؛ إنما يحيله شخص آخر، أما المعنـــيان الآخـــران، وهما: الإقبال، والإقبال هرباً، فتكون الإحالة فيهما مصدراً للفعل أحال لازمـــا. وبالنظر إلى طبيعة عمل الإحالة نجدها تقوم على أن العناصر الإحالية تحيل المتلقي علـــى مـــراجعها، وهـــذا يتصل بمعنى الفعل (أحال) متعدياً، والمتلقي يقبل هرباً من العنصر الإحالي على مرجعه لتأويله، وهذا يتصل بمعنى الفعل أحال لازماً.

ويمكـــن أن يُلتفت إلى معنى آخر من معاني الفعل أحال، وهو معنى التحول والتغير؛ فقد جاء في اللسان: والمُحيل: الذي أتت عليه أحوال وغيرته[2]؛ فقد يرد في نص ما لفظ يحيل أو يـــدل على شيء، ثم يُحال أو يُدَلُّ على الشيء نفسه بصيغة أخرى؛ وما العنصر الإحالي في الإحالـــة الداخلية إلا تكرار لعنصر إشاري لغوي بصورة مختلفة، ويمكن القول عند الوقوف علـــى صـــيغ متعددة تشترك في الإحالة إن العنصر الإشاري اللغوي أحال إلى صورة أخرى كمجيـــئه ضميراً، أو اسماً موصولاً، أو وصفاً، أو اسم إشارة، أو غير ذلك، ويمكن أن نرى هذا التحول والتغير في شكل العنصر الإحالي، من خلال اختلاف أشكال الضمائر في مواضع الرفع، والنصب، والجر، والانفصال، والاتصال، والاستتار، والحذف.

([1]) تحليل الخطاب، يول وبراون، ترجمة ،منير التريكي، محمد لطفي الزليطي، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٩٣، ص: ٣٠١.

([2]) لسان العرب، مادة (حول).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يتأتى أن يكون مكونا اسميا في جملة من جمل النص، وهنا يبرز دور العناصر الإحالية التي تشير إلى المعنى الذي يتضمنه المحال عليه، وتكون مكونا اسميا من مكونات الجمل التي تـــرد فيها، كما في قوله تعالى:(**إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَاءكُمُ الْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُـودُواْ نَعُـدْ وَلَـن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِين**)[1]، فالضمير المنفصل(**فهو**) يحيل على فعل الشرط(**تنتهوا**)، ويؤدي وظيفة أخرى تتمثل بكونه مكونا اسميا فـــي جملة جواب الشرط، ونظام العربية في الغالب- وربما بقية اللغات- لا يتيح الإخبار عن جملة فعلية، كأن تكون بنية الجملة(**فتنتهوا خير لكم**).

و يمكن أن تؤدى هذه الوظيفة بالمصدر المؤول، كما في قوله تعالى: (**وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلاَّ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْـدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُواْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلاَ تَنسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**)[2]، فالمصـــدر المـــؤول(**أن تعفـــوا**) يحـــيل على(**يَعْفُونَ، يَعْفُوَ**)، ويتيح النظام اللغوي أن يحل الضمير(هو)أو اسم الإشارة(هذا) مكان(**أن تعفو**) على أن لصيغة الإحالة في هذا السياق وظيفة تتأتى من تغيُّر صيغة الخطاب. ومن صور التغير والتحول التي يمكن أن يلتفت إليها هي تغير صورة المرجع كلما أحيل عليه، من خلال تراكم المعلومات المقدمة عنه.

ثانيا:مفهوم الإحالة في الدرس اللغوي

إن أول مـــا ينبغـــي البدء به عند الحديث عن مصطلح الإحالة في الدرس اللغوي هو الإشـــارة إلـــى أن لهذا المصطلح استعمالات متعددة، وتصورات مختلفة لمفهومه، وأنه يجب التمييـــز بين استعمال هذا المصطلح في الطرح التقليدي، والاستعمال الخاص له عند هاليدي

([1]) الأنفال: ١٩.

([2]) البقرة: ٢٣٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ورقية حسن في كتابهما الاتساق في الإنكليزية **Cohesion in English**، وتجدر الإشارة إلى أن لليونز تصورا خاصا للإحالة تبناه يول وبراون في كتابهما (تحليل الخطاب).

١. مفهوم الإحالة في الطرح التقليدي

يستعمل مصطلح الإحالة" في الطرح التقليدي كما هو الحال لمصطلح معنى لغوي للحديث عن معنى المفردات؛ فإن معنى مفردة مثل(دجاجة) يحدد جزئيا بمعناه في اللغة أي خاصياته المميّزة، مثل: حيوان، له ريش، إلخ [...] وكذلك بإحالته إلى شيء ما، أي إلى مجموعة الأشياء في العالم، التي يصح أن تنطبق عليها العبارة"[1].

ويشير يول وبراون إلى أن مفهوم الإحالة في الطرح التقليدي يمكن تصوره على أن العلاقة بين الأسماء والمسميات هي علاقة إحالة، وأن هذا المفهوم التقليدي للإحالة لا يزال يجد ذيوعاً في الدراسات اللغوية، مثل علم دلالة المفردات التي تصف العلاقة بين لغة ما والكون دون أن تأخذ بعين الاعتبار مستعمل اللغة [2].

ويرى بوجراند أن الإحالة هي" العلاقة بين العبارات والأشياء **objects** والأحداث **events** والمواقف **situation** في العالم الذي يُدَلُّ عليه بالعبارات ذات الطابع البدائلي **alternative**"[3]؛ وهذا التعريف يعكس النظرة التقليدية للإحالة، و"هي تلك النظرة التي يُنظَر فيها إلى علاقة الإحالة على أنها تربط العبارات في النص بكيانات في العالم"[4]، غير أن بوجراند أشار إلى مسألة الطابع البدائلي.

ويمكن القول إن إشارة بوجراند إلى مسألة الطابع البدائلي جعلت تعريفه أقرب إلى وصف ظاهرة الإحالة في النص؛ لأنه يشير إلى أن الإحالة على شيء واحد يمكن أن تؤدى بصيغ

([1]) تحليل الخطاب، يول وبراون، ص:٣٢٢ .

([2]) المرجع السابق، ص: ٥٠.

([3]) النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط١٩٩٨،١،ص:٣٢.

([4]) تحليل الخطاب، يول وبراون، ص: ٣٢١-٣٢٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مـــتعددة، دون حصـــرها بعلاقة الأسماء بالمسميات، أو بعناصر إحالية محددة. وهذه المسألة هامـــة جدا؛ لأنها ترتبط بالعديد من المسائل كالاشتراك في الإحالة، والغالب في النصوص أن نجـــد فيها صيغاً متعددة تشترك في الإحالة على شيء واحد؛ ففي سورة الأعلى- مثلا- تمت الإحالة على ذات المرسل-عز وجل- بصيغ إحالية متعددة؛ وهي مبينة في الجدول الآتي:

الآية	صيغة الإحالة
سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١)	رَبِّك، هو (الْأَعْلَى)
الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (٢)	الَّذِي خَلَق، هو (خَلَق)
وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (٣)	وَالَّذِي قَدَّرَ، هو (قَدَّرَ)
وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى (٤)	وَالَّذِي أَخْرَجَ، هو (خَرْجَ)
فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى (٥)	هو (فَجَعَلَهُ)
سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسَى (٦)	نحن(سَنُقْرِئُك)
إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى (٧)	اللَّه، الضمير المتصل(إِنَّهُ)، هو (يَعْلَم)
وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى (٨)	ضـــمير المـــتكلم الجمـــع المســـتتر (نُيَسِّرُك)
وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (١٥)	رَبِّهِ

٢. مفهوم الإحالة عند هاليدي ورقية حسن

ذكر محمد الخطابي أن هاليدي ورقية حسن" استعملا مصطلح الإحالة استعمالاً خاصاً، وهـــو أن العناصـــر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل، إذ لا بد من

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

العـــودة إلـــى مـــا تشير إليه من أجل تأويلها. وتتوفر كل لغة طبيعية على عناصر تملك خاصية الإحالة، وهي حسب الباحثين الضمائر وأسماء الإشارة وأدوات المقارنة"[1].

وقـــد أشـــار يول وبراون إلى أن استعمال هاليدي ورقية حسن لمصطلح الإحالة كان خاصا بهمـــا، واقترحا استبداله بمصطلح الإحالة داخل النص **Co-reference**؛ ولا يعنيان بذلك مفهوم الإحالـــة الداخلـــية، بـــل يعنيان ورود هذه العناصر وعملها داخل النص، لا النظر لها على أنها عناصـــر منعزلة خارج سياقها، سواء أكانت الإحالة داخلية أم خارجية[2]. وقد قسم هاليدي ورقية حســـن الإحالـــة إلـــى ثلاثـــة أنواع، وهي:**الإحالة الشخصية personal reference والإحالة الإشـــارية Demonstrative reference والإحالة المقارنة Comparative reference.**

وستعرض الدراسة لهذه الأنواع في الفصل الثاني.

٣.الإحالة عند يول وبراون

يـــرى يـــول و براون أن التعابير المحيلة تتمثل في استخدامات حقيقية، في نصوص محددة،لأهـــداف محددة؛ ويقصدان بها الألفاظ اللغوية التي تحيل على شيء ما في ذهن المرسل، سواء كان هذا التعبير معرفة أو نكرة[3]؛ فعلى سبيل المثال يمكن القول بناء على ما سبق: إن كلمة **(رجل)** ليست تعبيرا محيلا، في قوله تعالى: **(وَجَاءهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ السَّـــيِّئَاتِ قَـــالَ يَا قَوْمِ هَؤُلاء بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَلاَ تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ**

([1]) لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي،بيروت،ط١،١٩٩١، ص: ١٦-١٧.

([2]) انظر: تحليل الخطاب، يول وبراون، ص: ٢٠١.

([3]) المرجع السابق، ص: ٣٢٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

رَجُـلٌ رَّشِـيدٌ)[1]؛ فلـيس للفـظ رجـل فـي الآيـة السـابقة مـرجع فـي ذهـن لوط- عليه السلام- وهو تعبير محيل بالمفهوم التقليدي؛ لأنه يتصل بـ"مجموعة الأشياء في العـالم، التي يصح أن تنطبق عليها العبارة" [2]؛ وتتمثل الأشياء التي تنطبق عليها هنا بالجنس الذي يدل عليه لفظ(**رجل**) مقيدا بـ(**منكم**).

وقـد ورد لفـظ(رجل) في النص القرآني تعبيرا محيلا في غير موضع، منها قوله تعالى:(**أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**)[3]؛ فلفـظ رجل في الآية السابقة تعبير محيل؛ له مرجع يحيل عليه، وهو ذات النبي نوح- عليه السـلام- وكمـا فـي قـوله تعالى:(**وَجَاء مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَـلِينَ**)[4]؛ فكلمة رجل في الآية السابقة تحيل على ذات الرجل المؤمن الذي تحدثت عنه السورة.

يبدو للوهلة الأولى في بعض السياقات أن التعبير غير محيل؛ على الرغم من وجود مرجع لـه في ذهن المرسل، وقد عبر يول وبراون عن هذه المسالة بالضبابية الإحالية، حيث قالا:" ويمكن الحصول على الضبابية الإحالية عندما تأتي العبارة نكرة، بعد عدد من الأفعال، مثل: يبحث عن، ويريد؛ ومن الأمثلة الشائعة على ذلك قولك:

- تبحث مريم عن ممحاة.

- تريد فرجينيا عملا جديدا.

([1]) هود: ٧٨ .

([2]) تحليل الخطاب، يول وبراون، ص: ٣٢٢.

([3]) الأعراف: ٦٣.

([4]) يس: ٢٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قــد يحدث أن يكون في ذهن المتكلم عند تفوهه بمثل هذه الجمل في مناسبة خاصة مرجع معين؛ أي أننا في تحليلنا نقر بوجود ممحاة معينة تبحث عنها مريم" [1].

ويرى يول وبراون أن السبب في الغموض الذي يجعل البعض يعد مثل هذه الألفاظ تعابير غير محيلة، هو كونها تساق دون سياقات، ويريان أننا في تحليل خطاب طبيعي، سنجد مؤشرات سياقية أو نصية تدل على كون هذه الألفاظ محيلة [2]، ويوافقهما الباحث؛ ففي قوله تعالى:**(وَقَالُوا لَــوْلَا نُــزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ)**[3] يبدو للوهلة الأولى أن لفظ **(رجل)**غير محــيل، بينما نستنتج من سياق الآية، ومعرفة سبب نزولها غير ذلك؛ فقد" قال المفسرون: يعنون الوليد بن المغيرة في مكة، أو عروة بن مسعود الثقفي في الطائف"[4]. وهذا يعني أن في ذهن من أوردت الآية لفظ**(رجل)** على لسانهم مرجعا، بل غير مرجع: رجل من مكة (الوليد بن المغيرة)، ورجل من الطائف(عروة بن مسعود الثقفي).

ولعــل من المناسب في هذا السياق أن يشار إلى مسألة المنادى النكرة: المقصودة، وغير المقصــودة؛ فالأولــى تعبير محيل بالتصور الذي يقدمه يول وبراون؛ لأن لها في ذهن المرسل مرجعا، وهو مرجع محدد؛ لذا عد نحاتنا النكرة المقصودة من المعارف، أما النكرة غير المقصودة فهي خلاف ذلك.

ويمكن أن تعرّف الإحالة بناء على ما سبق بأنها **ارتباط بنية لغوية(عبارة مفردة أو مركبة) بشيء ما في ذهن المرسل، سواء أكان المرجع صالحا للتعرف من قبل المتلقي أم لم يكن.**

([1]) تحليل الخطاب، يول وبراون، ص: ٣٢٨.

([2])المرجع السابق، ص: ٣٢٨- ٣٢٩.

([3]) الزخرف: ٣١.

([4]) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني ،دار الصابوني، القاهرة(دت) ،مجلد ٣،ط:٩،ص:١٥٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقــد أشــار محمد الشاوش إلى أن الاستعمالات المتعددة لمصطلح الإحالة قد أدى إلى الخلــط والغموض، حيث يقول: " لكن الجمع بين استعمال المصطلح **Reference** للدلالة على الظاهــرة العامة تارة، وعلى الظاهرة الخاصة تارة أخرى، قد أحدث في الأذهان ما لا يُقدّر، وما لا يقــدِر علــيه الــذهن، من ذلك ما نلاحظه من اشتراك معنوي في العبارات المركبة من هذه المصــطلحات، كاســتعمالهم لمصــطلح الإحالة بالمعنى العام، وهم يقصدون بها مناسبة العنصر اللغوي لشيء في الخارج هو مرجعه، واستعمالهم لنفس المصطلح مقابلا للإشارة، وهم يقصدون به إشارة الأسماء إلى مسمياتها، لا ذلك الصنف من الكلمات الذي يسمى أسماء إشارة من قبيل هذا و تلك، فيكون التمييز بين العناصر الإشارية، وهي التي تحيل مباشرة على الأشياء في الخارج، والعناصر الإحالية، وهي التي لا تحيل مباشرة على شيء في الخارج"[5].

ويمكن القول إن مفهوم الإحالة بدأ يقتصر على الألفاظ التي ليس لها دلالة مستقلة كالضمائر وأســماء الإشارة، ابتداء من هاليدي ورقية حسن في كتابهما المشار إليه، ولعل هذا الاقتصار هو ما قصد به محمد الشاوش الظاهرة الخاصة.

ويــبدو أن مفهــوم الإحالــة كما يعرضه هاليدي ورقية حسن هو ما استقر عليه الأمر في الــدرس اللغــوي، فعلــى الرغم من أن بوجراند– مثلاً– لا يختلف تعريفه للإحالة عن المفهوم التقلــيدي إلا أنــه اقتصر في دراسته على الكنائيات **Bro-form**، ومفهوم هذا المصطلح عنده مــرادف لمصــطلح العناصــر الإحالــيةAnaphors**Anaphors**، فقد عرض في كتابه(النص والخطاب والإجراء) لأسماء الإشارة والضمائر وبعض الألفاظ، مثل: **(one)**، وأشار إلى أن اقتصاره على

([5]) أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية ،محمد الشاوش،المؤسسة العربية للتوزيع ، تونس، ط١،٢٠٠١ ، ٢/ ٩٦١– ٩٦٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

هذه الألفاظ لعدة أسباب، لعل أهمها أن" هذه الألفاظ من حيث المحتوى مأخوذة من الألفاظ التي تشترك معها في الإحالة "[1].

ويبدو أن الدارسين العرب ممن تصدى للإحالة، قد تبنوا تصور هاليدي ورقية حسن، فلا نكاد نجد فرقاً في تصديهم للإحالة في الإطارين: النظري والتطبيقي- باستثناء محمد الشاوش- عما ذهب إليه هاليدي ورقية حسن، فقد اتخذوا من الحديث عن العناصر الإحالية وأنواع الإحالة،مدخلاً يلجون من خلاله لعرض مفهوم الإحالة، وهو ما فعله هاليدي ورقية حسن[2]، افتتح الأزهر الزناد- مثلا - حديثة عن مفهوم الإحالة بقوله:" تطلق تسمية العناصر الإحالية على مجموعة من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلة، بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى، مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب"[3]، ثم عرض بعد ذلك لأنواع الإحالة، وأنواع كل من العناصر الإحالية والعناصر الإشارية.

ولا يختلف تعريف تمام حسان عما سبق- وإن تجرد من الحديث عن العناصر الإحالية والإشارية، وأشار إلى إحدى وظائف الإحالة- حيث يقول:" الإحالة أو المرجعية نوع من ظاهرة الربط في اللغة، تقع خارج إطار القرائن النحوية، وتتجه في اتجاهين: أحدهما إلى ما سبق، والثاني إلى ما يلي"[4].

أما الدكتور محمد الشاوش فقد تصدى للإحالة بالمفهومين: التقليدي والحديث؛ فهو يرى أن الإحالة هي" قدرة الوحدة اللفظية على أن ترجع المتخاطبين(المتكلم والمخاطب) إلى شيء

([1]) النص والخطاب و الإجراء، ص: ٣٢٠ .

([2]) Cohesion in English,p 33.

([3]) نسيج النص، ص: ١١٨.

([4]) البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٠، ١٦٧/٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

موجـود فـي الواقـع هو ما سماه المحدثون مرجعاً، وسماه علماء المعنى في الدراسات اللغوية القديمـة خارجـاً"[1]. ويـرى أن العناصـر اللغـوية التـي يمكـن وصـفها بأنهـا عناصر إحالـية " تتلون بحسب طبائع الوحدات اللغوية"[2]. وهذه الوحدات اللغوية تنقسم عنده إلى ثلاثة أقسام هي:

- عبارة ذات إحالة وليس لها دلالة، كالعلم.
- عبارة ذات دلالة وإحالة، كلفظ(الناقة).
- عبارة ليس لها دلالة ولا إحالة كالضمائر[3].

العلـم- كما يقول محمد الشاوش- يحيل ولا يدل، وليس لمعنى العلم- إذا كان له معنى في أصـل الوضع في أغلب السياقات التي يستخدم فيها للإحالة- أي قيمة أو دور، وقد يكون التفات المتلقين لمعاني الأعلام في بعض السياقات استغرابا وربما عبثا؛ وقد يؤدي مثل هذا الالتفات إلى خلل في الحدث التواصلي.

أمـا بالنسـبة للألفاظ ذات الدلالة والإحالة فتردنا إلى سياق الحديث عن المفهوم التقليدي للإحالة، وتفريق بول وبراون بين التعبير المحيل والتعبير غير المحيل؛ فالألفاظ التي ينظران لها علـى أنهـا غير محيلة قد تكون محيلة بالمفهوم التقليدي، وقد ورد لفظ الناقة في النص القرآني

([1]) أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية:٢/ ٩٥٩.

([2]) المرجع السابق:٢/ ٩٦٠.

([3]) انظر: المرجع السابق:٢/٩٦٠-٩٦١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تعبيرا محيلا بالتصور الذي يقدمانه في غير موضع، منها قوله تعالى:(فَعَقَرُواْ النَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ)[1].

ويقول الشاوش:"إذا كانت الإحالة هي قدرة الوحدة اللفظية على أن ترجع المتخاطبين(المتكلم والمخاطب)إلى شيء موجود في الواقع [...] فإن كل وحدة لفظية تتوفر على الجوانب التالية:

- صيغتها اللفظية.
- دلالتها أو معناها.
- مرجعها أو خارجها"[2].

ويمكن القول إن السمات الدلالية التي تتوفر عليها الألفاظ المحيلة، تساعد على التعرف إلى المرجع(المحال عليه)، سواء أكانت هذه السمات مقتصرة على الجنس والعدد كما في الضمائر، وأسماء الإشارة، أم كانت متوفرة على سمات دلالية أخرى. و ترتبط السمات الدلالية- أيضا- بتصور المرسل لمفهوم الشيء الذي يحيل عليه؛ ولعل هذا ما يفسر اختلاف الصيغة الإحالية فيما ورد على لسان إبراهيم- عليه السلام- فقد جاء على لسانه قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ)[3]وجاء على لسانه أيضا قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ) [4]،

([1]) الأعراف: ٧٧.

([2]) أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية: ٢/ ٩٥٩.

([3]) البقرة: ١٢٦.

([4]) إبراهيم ٣٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقـد كان دعاء إبراهيم عليه السلام الذي تضمنته الآية الأولى، عندما ترك زوجه وابنه إسماعيل في مكان موحش؛ فأحال عليه باسم الإشارة لأنه (المحال عليه) هنا- وفقا لتصور بوجراند لمثل هـذا الضرب من الإحالة- "يدل على ما لا يحظى بتصنيف مفهومي"[5]في ذهن المرسل، أما في الآيـة الثانية فقد قال:"**(رب اجعل هذا البلد آمنا)** فعرَّفَهُ لأنه دعا به بعد بنائها، ولهذا قال: **(الحمد للّـه الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحق)**[6]، ومعلوم أن إسماعيل أكبر من إسحاق بثلاث عشرة سنة"[7]. وهذا يعني أن المحال عليه في الآية الثانية كان شيئا مختلفا(تحقَّقَ مفهوم لفظ البلد)؛ فتمت الإحالة عليه ببنية إحالية، يشترك فيها العنصر الإحالي **(هذا)** مع العنصر الإشاري **(البلد)** في الإحالة.

أما الألفاظ التي ليس لها دلالة أو إحالة فقد قصد بها الشاوش العناصر التي ليس لها دلالة مسـتقلة؛ إنما تأخذ معناها مما تحيل عليه، كالضمائر وأسماء الإشارة، وهي ما يسمى في الدرس اللغوي عناصر إحالية **Anaphors**.

ولا بد من الجمع بين ما عبر عنه محمد الشاوش بالظاهرة العامة والظاهرة الخاصة؛ فهـذا يذهب بالغموض الذي أشار إليه، ولا سيما إذا أُلتفت إلى تفريق يول و براون بين التعبير المحـيل وغيـر المحيل، فتكون النظرة للإحالة قائمة على أساس التفريق بين العناصر الإشارية والإحالـية، وفي الوقت نفسه ينظر للعناصر الإشارية على أنها قد تكون تعابير محيلة وقد تكون غير محيلة ولا يعني ما سبق أن نخلط بين مفهوم الإشارة ومفهوم الإحالة؛ فـ" العنصر الإشاري

([5])النص والخطاب و الإجراء، ص: ٣٣٢.

([6]) إبراهيم: ٣٩.

([7]) تفسير القرآن العظيم ،إسماعيل بن كثير القرشي،دار الفكر، بيروت، ١٩٨١/١٧٥،١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

هو كل مكون لا يحتاج في فهمه إلى مكون آخر يفسره"[8]. أما العنصر الإحالي فـ"هو كل مكون يحتاج في فهمه إلى مكون آخر يفسره"[9].

إن الاقتصار على التفريق بين العناصر الإشارية والإحالية، لا يكفي لوصف كثير من مظاهر الإحالة؛ لذا فإن من الضروري أن يُستخدم مصطلح المرجع اللغوي؛ ليدل على ما يُفسَّر بالرجوع إليه عنصرٌ إحالي، وليكون مقابلا لمصطلح العنصر الإحالي في بنية الإحالة الداخلية التي تقوم عليهما، ففي بعض الإحالات الداخلية لا يشترك المحال عليه مع المحيل في الإحالة، ومع ذلك يؤول الأخير بالرجوع إلى المحال عليه. ويمكن استخدام مصطلح المرجع غير اللغوي ليدل على"ما سماه المحدثون مرجعاً، وسماه علماء المعنى في الدراسات اللغوية القديمة خارجاً "[10].

ولعل من المناسب هنا أن يشار إلى أن للسيوطي تصورا خاصا للمرجع، يتمثل في كونه اللفظ الذي يؤول الضمير بالرجوع إليه، سواء أكان المرجع مشاركا للضمير في الإحالة أم لم يكن، وستعرض الدراسة للسيوطي فيما يأتي من هذا الفصل.

يمكن التفريق بناء على ما سبق بين نوعين من الإحالة الداخلية: نوع يشترك فيه العنصر الإحالي مع العنصر الإشاري(مرجعه اللغوي) في الإحالة على مرجع غير لغوي (خارج) ونوع يشترك فيه العنصر الإحالي مع العنصر الإشاري على نحو آخر، وذلك عندما لا يكون المرجع اللغوي تعبيرا محيلا بالتصور الذي يقدمه بول وبراون؛ ففي قوله تعالى:(**وَجَاءهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلاء بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَلاَ**

([8]) نسيج النص، ص: ١٢٧.

([9]) المرجع السابق، ص: ١٣١.

([10])أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، ص: ٩٥٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تُخْـزُونِ فِـي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ)[11] يشترك الضمير المستتر في(رشيد) مع مرجعه اللغوي (رجل) في الدلالة فقط؛ لأن لفظ رجل لا يحيل على مرجع غير لغوي (خارج).

أمـا فـي قـوله تعالـى:(وَجَـاء مِـنْ أَقْصَـى الْمَدِيـنَةِ رَجُـلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ)[12]، فإن الضمير المستتر في يسعى يشترك مع لفظ(رجل) في الإحالة على مرجع غير لغوي، وهو الرجل المؤمن الذي تحدثت عنه الآية القرآنية.

ولعل من المناسب في هذا السياق أن يشار إلى مسألة خلافية، وهي مسألة الضمير العائد على نكرة، يقول السيوطي:" الجمهور على أن الضمير العائد على نكرة معرفة كسائر الضمائر، وذهب بعضهم إلى أنه نكرة؛ لأنه لا يخص من عاد إليه من بين أمته؛ ولذا دخلت عليه(رب) في نحو: ربه رجلا، وردَّ بأنه يخصصه من حيث هو مذكور.وذهب آخرون إلى أن العائد على نكرة واجب التنكير نكرة كالحال، بخلاف غيره كالفاعل و المفعول"[13].

ويميل الباحث إلى كون الضمير العائد على نكرة نكرة، ومثله الأسماء المتصلة بأل العهد الذكري؛ فـ"مصحوبها[يكون] معهودا ذكريا، نحو:(كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُـولَ)[14] ونحـو: (فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ)[15]ونحو: (اشـتريت فرسا ثم بعت الفرس). وعبرة هذه أن يسد الضمير مسدها مع مصحوبها"[16]. ومرجع كلـيهما(الضـمير المشار إليه، والمتصل بأل العهد الذكري) نكرة، ويشتركان مع مرجعهما في

([11]) هود: ٧٨ .

([12]) يس: ٢٠.

([13]) همع الهوامع، ص: ١٩٣.

([14]) المزمل: ١٥- ١٦.

([15]) النور: ٣٥.

([16]) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ص:٧٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الإحالـــة على شيء ليس بوسع المخاطب التعرف إليه،لا من خلال النص، ولا بناء على خبرات مشـــتركة بـــين طرفي التواصل كما في أل العهد الذهني، أو من خلال سياق الموقف كما في أل العهد الحضوري.

ويمكـــن القول بأن لا جدوى من الحديث عن المعرفة والنكرة في السياقات التي لا يكون الاســـم الموصـــوف بأنـــه معـــرفة أو نكـــرة تعبيرا محيلا بالتصور الذي يقدمه يول وبراون؛ فلفظـــا(**الْمِصْـــبَاحُ**، و**الـــزُّجَاجَة**) فـــي الآية السابقة يحيلان مع مرجعيهما(مصباح، زجاجة) على تصـــورين، وليس لأي منهما مرجع(خارج). بينما يمكن وصف لفظ(**الرَّسُول**) بأنه هنا نكرة؛لأنه تعبير محيل ومرجعه(لفظ رسول) نكرة، و إن أمكن التعرف إليه بناء على معرفة سابقة، أو بناء على سياق النص القرآني؛ فقد ورد في غير موضع الحديث عن قصة موسى- عليه السلام- مع فرعون.

وفـــي الـــنص القرآني ألفاظ محيلة تعد من الناحية اللغوية نكرة، بينما يمكن التعرف إلى مـــرجعها مـــن خلال السياق، كلفظ(**شاعر**) في قوله تعالى: (**وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْـــنُونٍ**)[17]، ولفظ (**مسجدا**) في قوله تعالى: (**وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِـــينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفَنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى وَاللّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**)[18].

ويمكـــن التمثـــيل على ما سبق بكلمة (**رجل**) في قوله تعالى: (**أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذْكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً**

([17]) الصافات: ٣٦.

([18]) التوبة: ١٠٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فَاذْكُـرُواْ آلاء اللّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون)[19]؛ فالتعرف إلى مرجع لفظ(رجل) في الآية السابقة يكون من خـــلال السياق؛ فقد وردت هذه الآية في نص فرعي عرض لقصة هود- عليه السلام- من ضمن مـــا أوردته السورة على لسان هود .وقد افتتح هذا النص الفرعي بقوله تعالى:**(وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ)**[20].

وردت الجملة القرآنية**(أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ)** في سورة الأعـــراف مرتين: إحداهما لسان نوح- عليه السلام- والأخرى على هود- عليه السلام- وكان للفظ **(رجل)** في كل منهما دلالة مختلفة؛ أي أنه أخذ دلالته مما يحيل عليه، وهو هنا مذكور داخل النص.

وبـــناء علـــى ما سبق يمكن القول أن ليس ثمة فرق بين إحالة كلمة**(رجل)** في الآية السابقة داخـــل الـــنص، وبـــين إحالة ما يسمى في الدرس اللغوي عناصر إحالية؛ كضمير الغائب واسم الإشارة، فقد ورد قوله تعالى:**(وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِين)**[21]، في سورة الشعراء خمس مرات، كان للضمير المتصل**(ـــه)** في**(عليه)** دلالة مختلفة، وقد وردت الآية الســـابقة على لسان نوح -عليه السلام- ووردت أيضا على لسان كل من هود و صالح و لوط و شعيب عليهم السلام.

يمكن القول بناء على ما سبق إن مسألة الإحالة ليست مقتصرة على عناصر إحالية محددة، وأن ثمـــة ألفاظـــا تشـــترك في الإحالة مع عناصر إشارية سابقة، و تأخذ دلالتها من خلال هذا الاشتراك؛ ولا تختلف عن الضمائر إلا من حيث إنها تتوفر على سمات دلالية غير سمتي الجنس

([19]) الأعراف: ٦٩.

([20]) الأعراف: ٦٥.

([21]) الشعراء:١٠٩، ١٢٧، ١٤٥، ١٦٤، ١٨٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والعـــدد، ويمكن القول إن لفظ (رجل) في الآيات المشار إليها يمثل امتدادا إحاليا لعنصر إشاري؛ وهو اسم النبي المحدث عنه في سياق كل إحالة.

إن العنصـــر الإحالي الذي يفسره عنصر إشاري لغوي(مذكور) قد يكون مرجعا لعناصر إحالـــية لاحقة؛ تُفسَّر هذه العناصر بالرجوع إليه؛ ومن ذلك ما نجده في قوله تعالى: **(تِلْكَ الْقُرَى نَقُـــصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآئِهَا وَلَقَدْ جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْـــبَعُ اللّـــهُ عَلَىَ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ)**[22]؛ فالعنصر الإحالي **(تلك)** في الآية السابقة يفسره العنصر الإشـــاري **(القرى)**؛ والأخير مرجع للأول، وهذا المرجع يحيل داخل السورة؛ لأنه يأخذ محتواه الفعلـــي مـــن مـــتعدد سابق، وهو مجموع الأقوام الذين تحدثت عنهم السورة، وهم(بنو إسرائيل، فرعون وملأه، قوم نوح، عاد، ثمود، مدين، قوم لوط)، ولما كان لفظ القرى يحيل بذاته، ويتوسط بين العنصر الإحالي **(تلك)** ومرجعه اللغوي؛ فيمكن تسميته مرجعا لغويا وسيطا.

واســـم الإشارة**(هذا)** في قوله تعالى: **(وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْـــتَغُوا مِـــن فَضْـــلِهِ وَلَعَلَّكُـــمْ تَشْكُرُونَ)**[23]؛ عنصر إحالي من حيث يأخذ محتواه من المرجع اللغوي**(البحران)**، وهو في الوقت نفسه مرجع؛ لأنه لا يتأتى تفسير الضمائر المستترة في**(عذب، فرات، سائغ)** إلا بالرجوع إليه، والإسناد متعلق به، ومثله اسم الإشارة**(هذا)** في**(وهذا ملح أجاج)**.

ويمكـــن أن نستدل على ما سبق بشكل أكثر وضوحا بالأسماء الموصولة التي تحيل داخل النص؛ أي أن لها مرجعا لغويا مذكورا، وتُفسَّر هذه الأسماء عنصرا إحاليا أو أكثر؛ فلا بد لجملة

([22]) الأعراف: ١٠١.

([23]) فاطر: ١٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الصلة من عائد يربطها بالموصول، ويشترك الموصول مع العناصر التي تحيل عليه في الإحالة على مرجع لغوي، كما في قوله تعالى:(**وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ**)[1]؛ فالضمير المستتر في(**ظَنَّ**) والضمائر المتصلة بـ(**أَنَّهُ، اذْكُرْنِي، رَبِّكَ، فَأَنسَاهُ، رَبِّهِ**) تحيل على الاسم الموصول(**الذي**)، وتشترك معه في الإحالة على مرجع لغوي، وهو لفظ(**أحدهما**) في قوله تعالى:(**وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانَ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**)[2].

أما في قوله تعالى:(**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**)[3] فليس ثمة مرجع لغوي للاسم الموصول(**الذي حاج**)؛ لذا فهو عنصر إشاري لا يحتاج إلى مكون آخر يفسره. والعناصر المحيلة وهي: الضمائر المستترة في(**حَآجَّ، قَالَ،أُحْيِي، أُمِيتُ، فَأْتِ**)، والضمير المنفصل(**أَنَا**)، والضمير المتصل في (**آتَاهُ**)، والاسم الموصول(**الَّذِي كَفَرَ**) تشترك مع الموصول(**الذي حاجَّ**) في الإحالة على مرجع غير لغوي (خارج) و هو ملك بابل(نمرود بن كنعان). والجدول الآتي يوضح الفرق بين بنيتي الإحالتين السابقتين:

([1]) يوسف: ٤٢.

([2]) يوسف: ٣٦.

([3]) البقرة: ٢٥٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الآية	العناصر الإحالية	المرجع اللغوي الوسيط	المرجع اللغوي	الخارج
(وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ).	الضمير المستتر في(ظَنَّ) الضمائر المتصلة بـ(أَنَّهُ، اذْكُرْنِي، رَبِّكَ، فَأَنسَاهُ، رَبِّهِ)	الموصول (الذي ظَنَّ)	أحدهما	ما يحيل عليه لفظ (أحدهما)
(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ).	الضمير المستتر في(حَآجَّ) والضمير المتصل بـ(آتَاهُ)	ـــــــــ	الَّذِي حَآجَّ	ذات ملك بابل الكافر(نمرود بن كنعان)

و تثير المسألة السابقة مسائل متعددة، منها مسألة التحكم؛ فالعنصر الإشاري يحكم العنصر الذي يحيل عليه؛ لأنه يفسره، وهذا يعني أن العنصر الإحالي- وهو معمول به باعتماد عامل الإحالة- قد يكون عاملا بعناصر إحالية أخرى، أم أن العمل والتحكم هنا سلطة معطاة من المرجع الرئيسي للعنصر الإحالي لينوب عنه في العمل، وليكون مفسرا لعناصر إحالية لاحقه تشترك معه في الإحالة.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقــد رفــض يــول وبــراون فكــرة أن الإحالة على السابق ترتبط بالعودة إلى الصيغة الأصلية؛" فهذا لا شك أنه غير مقنع كنموذج لعملية التحليل، ولكنه معقول جدا كخطة وقتية (غير دائمــة) للتأكد من الفاعل ومن العملية في سلسلة الأحداث أو التثبت بالعودة إلى الوراء في حالة إضــاعة المعنى وهو[محال الخطاب] يقرأ شيئا ما ولكن هذه الطريقة لا يمكن أن تكون الطريقة المثلى[4].

ويتضــح من الإحالات المبينة في الجدول السابق أن المتلقي- إذا قبلنا بفكرة أن المتلقي يربط العنصر الإحالي بالصيغة الأصلية- سيرجع إلى مرجع لغوي يعيده إلى مرجع لغوي آخر يتوصل من خلاله إلى تأويل العنصر الإحالي. ويرى يول وبراون " أن التفسير الأكثر احتمالا هو أن المحلل يثبت مرجعا في تصوره العقلي للخطاب ثم يربط الإحالات اللاحقة لهذا بتصوره العقلي لا بالصيغة الأصلية في النص"[5].

ويمكــن القول إننا مضطرون للحديث عن الصيغة الأصلية عند وصف البنى الإحالية أو وصــف بنــية النص، أما عند تفسير كيفية إدراك المتلقي لدلالة العنصر الإحالي، فإننا سنحتاج- إضــافة للتصور العقلي للخطاب- للعديد من المسائل كالسياق والمقام، والخبرات المشتركة بين طرفي التواصل، والقرائن اللفظية والمعنوية، والاسترجاع والتذكر، وأقرب مذكور والمحدث عنه، والمطابقة اللفظية والمعنوية، وغير ذلك.

يجــب أن ينطلق التصدي للإحالة من تصور يقوم على التفريق بين نوعين من الإحالة: إحالات إسنادية، وإحالات غير إسنادية؛ وذلك للوقوف على أهمية العناصر الإشارية والإحالية في

([4]) تحليل الخطاب، ص: ٣١٥.

([5]) المرجع السابق، ص: ٣١٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

السنص؛ ومن الطبيعي ألا تتساوى العناصر الإشارية في عدد الإحالات؛ فغالباً ما يحظى العنصر الإشاري الذي يشكل موضوعاً رئيساً في الخطاب بنصيب وافر من الإحالات.

ويمكـن أن تعـرف الإحالات الإسنادية بأنها الإحالات التي يرد العنصر الإشاري اللغوي أو العنصر الإحالي فيها مكونا من مكونات جمل تتوفر على معلومات متعلقة بالمرجع، بحيث تكون صورته في سياق كل إحالة مختلفة عنها في سياق إحالة أخرى، وهي مرتبطة بتراكم المعلومات المقدمـة عـن هذا المرجع. وهذا مدخل الإعلامية التي تعد عند بوجراند من معايير النصية[6].

إن المسند إليه- من المنظور المشار إليه- في قوله تعالى:(**وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِـينَ تَسْـرَحُونَ**)[7] هو الضمير المتصل (**ها**) في(**فيها**)؛ فهو يحيل على لفظ(**الأنعام**) في قوله تعالـى:(**وَالأَنْعَـامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ**)[8]، وهذه الآية تحدثت عن الأنعام بوصفها نعمة من نعم الله على الإنسان، وتوالي الإحالات عليها يجعلها موضوع الخطاب إلى أن تـتوقف الإحالات عليها، وتتوالى على موضوع آخر، وقد تمت الإحالة عليها غير مرة؛ ويتمثل الإسـناد لهـذا المرجع (الأنعام)[9] بالتراكيب التي تضمنت ما يحيل عليه، سواء في ذلك العنصر الإشـاري (**الأنعـام**)، والضمير المتصل (**ها**)، والتراكيب التي تتوفر على معلومات تتعلق بهذا المرجع، هي:

- **وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا.**
- **وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ**

([6]) النص والخطاب والإجراء، ص: ١٠٥.

([7]) النحل: ٦.

([8]) النحل: ٥.

([9]) لم يميز الباحث كلمة الأنعام بالحبر الثقيل هنا إشارة إلى أن المقصود هو الأنعام بوصفها شيئا غير لغوي، بينما تم استخدام الحبر الثقيل مع الألفاظ المقتبسة من النص القرآني.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ.
- وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ.

ولـيس مـن مقاصد الدراسة في هذا السياق الحديث عن مفهوم الإسناد؛ إنما بيان طبيعة العلاقة بين العنصر الإحالي ومرجعه، أيا كان المعنى النحوي لهما، فمتى كان المرجع موضوعا مـن موضـوعات النص، وتوفر التركيب المتضمن للعنصر الإحالي على معلومات متعلقة بهذا المـرجع كانـت الإحالـة إسنادية، وكان المرجع مسندا إليه على مستوى النص، وكان العنصر الإحالي مسندا إليه على مستوى الجملة المتضمنة له.

و تتمـثل الإحالة في النص بعدة مظاهر، أبرزها الامتداد الإحالي لعنصر إشاري(لغوي أو غيـر لغـوي)، سواء أكان هذا الامتداد مستمرا أم منقطعا(ورود جمل معترضة، أو استطراد). ويختلف شكل هذا الامتداد باختلاف نوع الإحالة، و باختلاف طبيعة العنصر الإحالي الذي يكرر حضـور مـرجعه في النص، فقد يتكرر بإعادة لفظه، أو بالإضمار- باختلاف أشكاله- أو بغير ذلـك. والشـيء الذي يجمع أشكال الإحالة السابقة هو التماثل الدلالي بين المحيل ومرجعه، فهما شيء واحد وإن اختلفت الصورة اللغوية لصيغة الإحالة.

وللامتداد الإحالي مظاهر أخرى، منها ما يمكن تسميته بظاهرة الانقسام، وظاهرة الاندماج، وظاهـرة الاجتزاء؛ وتتمثل الظاهرة الأولى بما يمكن تسميته بالإحالة الانقسامية، وفيها لا يتكرر العنصـر الإشاري من خلال الإحالة عليه بعنصر إحالي يتطابق معه دلاليا، بل يحال بعنصرين إحاليـين- أو اكثـر- بـتطابق مجموع ما تدل عليه العناصر الإحالية مع ما يدل عليه العنصر الإشـاري؛ وهـنا تختلف طبيعة الإسناد للعنصر الإشاري- إذا كانت الإحالة إسنادية- إذ ينقسم العنصـر الإشـاري إلى عنصرين إحاليين يسند لكل منهما على حدة، كما في قوله تعالى: (وَمَا

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَـذَا عَـذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)[10].

وتتمثل ظاهرة الاجتزاء بعدة مظاهر منها ما نجده في الإحالة الانقسامية من خلال العلاقة القائمة بين عنصر إحالي وعنصر إشاري(مرجع له)؛ فهي ليست علاقة تماثل، إنما هي علاقة اجتزاء؛ لأن العنصر الإحالي يدل على بعض ما يدل عليه المرجع، ومن الإحالة الاجتزائية ما نجده في أحد أقسام مرجع الضمير الذي أورده السيوطي حيث قال: " وقد يعود على بعض ما تقدم، نحو:(**يوصيكم الله في أولادكم**) إلى قوله(**فإن كنّ نساءً**)[11]،(**وبعولتهن أحق بردّهنّ**)[12] بعد قوله(**المطلقات**)، فإنه خاص بالرجعيات، والعائد عليه عام فيهن وفي غيرهن"[13]. وهذا يعني أن الإسناد- هنا- لا يكون إلا لبعض ما يدل عليه العنصر الإشاري.

أما ظاهرة الاندماج فهي مظهر مقابل لما أسماه الباحث بظاهرة الانقسام؛ ففيها يتكرر حضور غير عنصر إشاري في حيز واحد من خلال عنصر إحالي يحيل على متعدد. ويكون الإسناد- إذا كانت الإحالة إسنادية- للعناصر الإشارية المحال عليها جميعا، كما في قوله تعالى:(**وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً**)[14].

وستعرض الدراسة لما أسماه الباحث الإحالات الاندماجية، والإحالات الانقسامية، والإحالات الاجتزائية، في الفصل الثاني(أنواع الإحالة).

([10]) فاطر: ١٢ .

([11]) النساء: ١١ .

([12]) البقرة: ٢٢٨ .

([13]) معترك الأقران في إعجاز القرآن،٥٧٦/١ .

([14]) الإسراء: ٣٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومـــن مظاهر الإحالة في النص ما أسماه عبد المهدي الجراح بالإحالة التخالفية[15]، وفي هـــذا الـــنوع من الإحالة لا يشترك المحيل مع المحال عليه في الإحالة؛ فيكون الامتداد الإحالي للعنصـــر الإشاري أقرب إلى الاتساق الصوتي-من خلال الجناس التام- منه إلى الاتساق بمفهوم علم لغة النص؛ لانتفاء الوحدة الدلالية؛ كما في قوله تعالى: **(قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَـــاء وَتَنـــزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيـــرٌ)**[16]؛ فقـــد تكـــرر لفظ الملك ثلاث مرات كان له في كل مرة دلالة مختلفة، وهذا يعني أن الحديث في البداية كان عن عموم الملك، ولكنه في المرة الثانية والثالثة عن مفهوم الملك.

ويمكن التمييز بين الدلالتين من خلال القول: إن لفظ(**الملك**) في (**مالك الملك**) تعبير محيل بالتصـــور الـــذي قدمـــه يول وبراون، بينما كان في المرة الثانية والثالثة تعبيرا محيلا بالمفهوم التقلـــيدي للإحالة؛ فثمة أشياء كثيرة يصح أن تنطبق عليها دلالة لفظ(**الملك**) دون أن نتصور أنها جميعا تعطى، أو تسلب. ولكن لفظ (الملك) في المرة الأولى يدخل في مفهومه جميع الأشياء التي ينطبق عليها مفهوم لفظ الملك؛ فلله الملك كله.

وتخـــتلف طبيعة العلاقة بين المحيل ومرجعه فقد يكونان مرتبطين بطبيعة الحال، كإحالة العلـــم، وهـــنا يغيب البعد الذاتي للمتكلم إلى حد ما، وقد تكون بفعل المرسل كالإحالة على شيء باللفظ الدال على جنسه كـــ (الرجل)، أو بوصف كـــ(القادم)، أو بضمير كـــ (أنا، أنت...) ، أو باســـم إشارة كـــ (هذا ...) أو باسم موصول كـــ(الذي أمامك ...)، أو بغير ذلك. هذا فيما يتصل بالإحالة مباشرة بعنصر إشاري، أو بعنصر إحالي في الإحالة الخارجية(المقامية).

([15]) الخطاب وأثره في بناء نحو النص، عبد المهدي الجراح، رسالة دكتوراة، ٢٠٠٣، جامعة اليرموك، ص: ١٠٠.

([16]) آل عمران: ٢٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أمـــا فـــيما يتصل بالإحالة الداخلية، فإن لطبيعة العلاقة أشكالا متعددة، منها أن تكون العلاقـــة علاقـــة اشتراك في الإحالة، حيث يكون للعنصر الإحالي والعنصر الإشاري المفسر له مـــرجع واحد، وقد تتمثل العلاقة بكون العنصر الإشاري دالا على مرجع غير العنصر الإحالي دون أن يشاركه في الإحالة؛ كما في قوله تعالى:(**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَاء إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللّهُ عَنْهَا وَاللّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ(١٠١) قَدْ سَـأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُواْ بِهَا كَافِرِينَ**)[17]؛ فالضمير في (**سألها**) يحيل على لفظ أشياء ولكنه يعني أشياء أخرى ، وهذا يعني أن له مرجعا آخر[18].

ومـــن مظاهـــر الإحالة في النص ما لا يشترك المحيل مع المحال عليه في الإحالة، إنما يتم استدعاء المحال عليه للمقارنة، وهذا يحدث فيما أسماه هاليدي ورقية حسن الإحالة المقارنة.

وللمقارنـــة فـــي النص القرآني أشكال أخرى، كالمقارنة بين مواقف المؤمنين والكافرين وصفاتهم ومصيرهم. وهذا لا يتأتى بعناصر لغوية محددة، إنما يتأتى بجمل أو بمتوالية جملية أو حتى نص فرعي كامل. و يمكن الوقوف علي مثل هذه الإحالات في بعض السور المكية كسورة الـــرعد. ومن صور المقارنة في النص القرآني تشابه دعوة الأنبياء، ومواقف المكذبين، والعاقبة التـــي تحل بهم. وهذا يمكن الوقوف عليه من خلال السور التي تعرض لقصص الأنبياء كسورة الأعراف وهود والمؤمنون والقمر والشعراء وطه والقصص وغيرها. وستعرض الدراسة لبعض هذه السور في مبحث الإحالة التكرارية من الفصل الثالث.

([17]) المائدة: ١٠١-١٠٢.

([18])معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق على محمد البجاوي، دار الفكر العربي، (د ت)، ج١/ ٥٧٧ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بعـد أن عرضـت الدراسـة لمفهوم الإحالة ستعرض لأهم المفاهيم التي تندرج تحت هذا المصـطلح، ولعـل أبرزها مصطلحا **العناصر الإشارية والعناصر الإحالية**، وقد سبقت الإشارة إليهما، ومن المصطلحات الأخرى:

العناصر الإشارية اللغوية

وهـي"تجمع العناصر الإشارية الواردة في النص أي في عالم النص الداخلي، وهي قسمان: قسم عامل، وغير عامل:

- عنصر إشاري يذكر مرة واحدة في النص، ولا يحال عليه فهو غير عامل؛ إذ لا يحكم مكونا آخر بعده أو قبله باعتماد عامل الإحالة[...].
- عنصر إشاري يذكر مرة أولى ثم يحال عليه بمضمر أو بلفظه مرة أو أكثر في غضون النص فهو عامل؛ إذ يحكم عددا من المكونات لأنه يفسرها"[19].

العناصر الإشارية غير اللغوية

وتجمـع كل عنصر إشاري يتوفر ما يعود عليه في الملفوظ، وللمقام الحسي ها هنا دور أساسـي فـي الربط بين المضمر الوارد في النص والمفسر الذي يرتبط به، والموجود خارج السـنص[20]. وينقسـم العنصر الإشاري[اللغوي] الذي يحكم وحدة إحالية بعده حسب طبيعته إلى قسمين:

- عنصـر إشـاري معجمي يتمثل في لفظ دال على ذات أو مفهوم أو حدث أو موقع في الزمان أو المكان.

([19]) نسيج النص، ص:١٢٧-١٢٨.

([20])المرجع السابق، ص:١٣٠.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

- عنصر إشاري نصي، وهو مقطع من نص يحال عليه بعنصر إحالي نصي[21].

العنصر الإحالي

وهـو كل مكون لا يحتاج إلى مكون آخر يفسره، وينقسم إلى قسمين: **عنصر إحالي معجمي** يعود على مكون مفسر له يدل على ذات أو مفهوم مجرد، و**عنصر إحالي نصي** يعود على مفسر له يمثل مقطعا من النص[22]؛ ويبدو بوضوح أن تقسيم العناصر الإحالية إلى معجمية و نصية مرتبط بطبيعة العناصر الإشارية المقابلة لها في بنية الإحالة، بل إن الإحالة الداخلية نفسها تقسم إلـى إحالـة معجمـية وإحالـة نصـية بـناء علـى طبـيعة العنصـر الإشـاري (المحال عليه)[23].

يرى الباحث أن بعض الإحالات التي تعد إحالات نصية هي إحالات معجمية،لأن المحال علـيه يكـون عددا من عناصر إشارية معجمية متجاورة، تربطها حروف عطف، كما في قوله تعالـى: (**وَالسَّـارِقُ وَالسَّـارِقَةُ فَاقْطَعُـواْ أَيْـدِيَهُمَا جَـزَاء بِمَـا كَسَـبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَزِيـزٌ حَكِـيمٌ**)[24]، فالضميرين المتصلين (**هما**) في (**أيديهما**)، و(**ـا**) في (**كسبا**) يحيلان على متعدد لا على مقطع.

وقد يكون المحال عليه عناصر إشارية معجمية غير متجاورة، كما في قوله تعالى: (**وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلا يَتَّقُونَ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ قَالَ كَلَّا**

([21])المرجع السابق، ص: ١٢٨، وانظر: دراسات لغوية تطبيقية، ص:٨٥.

([22])نسيج النص، ص:١٣٢.

([23]) المرجع السابق،ص: ١١٩.

([24]) المائدة: ٣٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [25].فضمير المخاطب(ـا) في (اذْهَبَا) يحيل على عنصرين إشارين معجميين غير مستجاورين، هما لفظ (موسى) في قوله تعالى: (وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) ولفظ هارون في قوله تعالى على لسان هارون: (وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ)؛ ولا يعني ذلك أن الإحالتين السابقتين تجبران المتلقي على الرجوع للآية المتوفرة على العنصر الإشاري(هارون) ثم الرجوع إلى الآية المتوفرة على العنصر الإشاري (موسى)، وقد سبقت الإشارة إلى يول وبراون يرفضان فكرة أن المتلقي يربط العنصر الإحالي بالصيغة الأصلية، إلا عند إضاعة المعنى.

البنية الإحالية

تتشكل البنية الإحالية من مكونين: عنصر إشاري وعنصر إحالي يتطابق معه دلاليا-عندما يكون العنصر الإشاري تعبيرا غير محيل- أو يشاركه في الإحالة- عندما يكون العنصر الإشاري تعبيرا محيلا. ولا يعني الباحث بالبنية الإحالية العنصر الإشاري وجميع العناصر الإحالية المشاركة له في النص، إنما يشكل العنصر الإشاري مع كل عنصر إحالي متعلق به بنية إحالية، وهذا يعني أن العنصر الإشاري يتكرر كونه جزءا من بنية إحالية كلما أحيل عليه.

ويشار عادة إلى أن البنية الإحالية تتكون من مكونين: عنصر إشاري وعنصر إحالي، ولكنها قد تتكون من عدد من العناصر الإشارية وعنصر إحالي، وهذه البنية هي بنية ما أسماه الباحث الإحالة الاندماجية، ومنها إحالة اسم الإشارة (أولئك) في قوله تعالى: (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ

---

[25]الشعراء: ١٠- ١٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

عِلْـمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً)[1]؛ فهو(العنصر الإحالي) يشكل مع ثلاثة عناصر إشارية معجمية، وهي: **السمع والبصر والفؤاد** بنية الإحالة.

وقد تتشكل البنية الإحالية من عنصر إشاري وغير عنصر إحالي، وهذه البنية هي بنية ما أسماه الباحث الإحالة الانقسامية، ومنها الإحالة التي نجدها في قوله تعالى:

(وَمَـا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْـتَخْرِجُونَ حِلْـيَةً تَلْبَسُـونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)[2]

فالعنصر الإشاري **(البحران)** لا يتطابق مع عنصر إحالي؛ إنما ينقسم إلى عنصرين إحالين(**هذا، وهـذا**) ويشـكل معهمـا بنـية هذه الإحالة. وتتعدد أشكال البنى الإحالية تبعا لأنواع الإحالة ، وسيعرض الباحث لأنواع الإحالة في الفصل الثاني.

ويـرى الباحث ضرورة أن يفرق بين الإحالة وبعض المصطلحات التي تقاربها أو تتداخل معها، ومن هذه المصطلحات مصطلح التداعي، فقد يؤدي تلقي المتلقي لمفردة ما إلى تذكر شيء أو استحضـاره، ولا يكون هذا الشيء هو مرجع هذه المفردة في ذهن المرسل، ولا يريد الإحالة علـيه. وقد تتداخل الإحالة مع التناص، إلا أن معيار الفصل يرتبط بقصدية المرسل الإحالة على نص آخر.

([1]) الإسراء: ٣٦.

([2]) فاطر: ١٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ثالثا:الإحالة عند الإمام السيوطي

لم تكن قضايا الإحالة غائبة عن اللغويين العرب القدماء، يقول محمد الشاوش:" لئن كنا لا نجد في النحو العربي مقابلاً مباشراً لمفهوم الإحالة، ولا بناءً مطابقاً للبناء الذي لها في النظريات اللسانية الحديثة، فإن هذا لا يقوم دليلاً على خلو النحو العربي منه، بل أقصى ما يدل عليه هو أنهم ولجوه من أبواب خاصة بهم ولم يلجوه من الباب الذي ولجه المحدثون"[3]. وقد عرض محمد الشاوش بعد قوله السابق، للأبواب التي ذكر أن النحاة ولجوا من خلالها لمفهوم الإحالة. ولا يرى الباحث حاجة لتكرار ما ذكره الشاوس، ولا يتسع المقام لذلك.

وقد أخذ التصدي للإحالة منحىً جديدا؛ خاصة بعد ظهور ما يعرف بلسانيات النص، أو علم لغة النص وتحليل الخطاب، ونحو النص، وغير ذلك من المسميات التي إن لم تكن مترادفة فإن ما يجمعها هو النظر إلى أن نحو الجملة لا يكفي للتحليل والوصف اللغويين، وأنها تتخذ الإحالة أداة من أدواتها؛ لذا ستعرض الدراسة للوجوه التي لم يشر إليها الشاوش.

إن لدى النحاة والمفسرين والنقاد والبلاغيين كثيراً من الممارسات التحليلية، التي تتصل بظاهرة الإحالة، ولعل المفسرين اللغويين هم أكثر من اهتم بقضايا الإحالة وتعقيداتها؛ فنظرة سريعة على سبيل المثال في تفسير الكشاف للزمخشري، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، تكشف عن وقوفهم على مسائل الضمائر وأسماء الإشارة.

وستقصر الدراسة الحديث على السيوطي؛ لأن له في كتابه(معترك الأقران في إعجاز القرآن) مقاربة للإحالة الضميرية- وإن لم يستخدم هذا المصطلح- أتت على معظم

([3]) أصول تحليل الخطاب: ٢/٩٦٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قضاياها.وثمة سبب آخر دعا الباحث لأن يعرض للسيوطي دون غيره، وهو أنه تحدث عن مسائل الضمير في النص القرآني.

ومـــن الضـــروري قبل أن تعرض الدراسة لهذه المقاربة أن يُعرض بعض وجوه تصور الدارســـين الحديث لمفهوم الإحالة، ولأهم القضايا التي يُتحدَّث عنها، عندما يعرضون لموضوع الإحالة، سواء أكان ذلك في الإطار النظري أم في الإطار التطبيقي. ولعل أبرز هذه الوجوه[4]:

- النظر للإحالة على أنها أداة إجرائية، من أدوات التحليل والوصف النصيين.
- تقسيم الإحالة إلى: داخلية(قبلية وبعدية) وإحالة خارجية.
- ملاحظـــة وظائف الإحالة التي تؤديها في النص كالربط والاختصار، والنظر لها على أنها من أدوات الاتساق النصي.
- النظر إلى أن دراسة العناصر الإحالية وحدها لا يقدم تصوراً كافياً، إذ لا بد من دراسة العناصر الإشارية " فلا قيمة لدرس عنصر دون الآخر في ظاهرة الإحالة؛ لأن الاقتصار على جانب يجعل المعالجة جزئية "[5].
- عـــدم كفايـــة نحو الجملة في وصف ظاهرة الإحالة، فـــ" معالجة ظاهرة الإحالة تتطلب تجاوز حدود الجملة والتوسع في مجالات الوصف النحوي "[6].

ولعل أبرز **مظاهر مقاربة السيوطي** نظرته للإحالة على أنها أداة إجرائية من أدوات تحليل الـــنص القرآني، فقد وردت في كتابه المذكور إشارة صريحة إلى هذه المسألة، حيث عنون أحد مـــباحث هـــذا الكتاب بـــ"في قواعد مهمة يحتاج المفسر إلى معرفتها"؛ وربما دل ابتداؤه بمسألة

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(قاعدة في الضمائر) على إدراكه لأهمية الإحالة في التحليل- وإن لم يستخدم مصطلح الإحالة؛ فقد عرض في هذا السياق لمرجع الضمير، وضمير الفصل، وضمير الشأن، وبعض المسائل كالمطابقة بين الضمير ومرجعه[1].

يبدو أن السيوطي كان مدركا لمسألة أن الاقتصار على جانب الضمير لا يكفي، إذ لا بد من دراسة الجانب الآخر المتمثل بمرجعه؛ لذا فقد عرض تحت عنوان"مرجع الضمير" ستة عشر قسما، وكان تقسيمه بناء على عدة اعتبارات، تتصل بالمرجع كتقدمه على الضمير أو تأخره عنه، وكونه مذكورا أو غير مذكور، وباختلاف طبيعة المرجع، واختلاف أشكال بناء الإحالية، تبعاً لاختلاف طبيعة العلاقة بين الضمير ومرجعه، وللسيوطي نظرة خاصة للمرجع تتمثل في كون المرجع عنده هو ما يؤول الضمير بالرجوع إليه، سواء أكان هذا المرجع مشاركا له في الإحالة أم لم يكن. ويمكن عرض الأقسام التي ذكرها لمرجع الضمير على النحو الآتي:

أولا : ما يدخل في باب الإحالة الداخلية القبلية

ذكر السيوطي عددا من أقسام مرجع الضمير، يمكن عرضها في باب الإحالة الداخلية القبلية، وهي:

- أن يكون المرجع ملفوظا(مذكورا) سابقا مطابقا، نحو:(**ونادى نوح ابنه**) [2]، (**وعصى آدم ربه**)[3]،(**إذا أخرج يده لم يكد يراها**) [4]؛فضمير الغائب في الآيات السابقة يعود على مذكور سابق.

([1]) معترك الأقران في إعجاز القرآن: ٥٧٤/١.

([2])هود: ٤٢.

([3]) طه: ١٢١.

([4]) النور:٤٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- أن يكــون **متضمنا لمرجع الضمير**، نحو:**(اعدلوا هو أقرب للتقوى)** [1] فإنه عائد على العدل المتضمن له**(اعدلوا)**[2].
- أن يكون دالا عليه بالالتزام، نحو:**(إنا أنزلناه في ليلة القــدر)**[3]؛ لأن الإنــزال يدل عليه التزاما"[4].

ثانيا : يدخل ما في باب الإحالة البعدية

عرض السيوطي ثلاثة أقسام لمرجع الضمير يحيل فيها على اللاحق، في مقابل الأقسام التي يحيل فيها على السابق، وهي:

- أن يكــون المــرجع متأخرا لفظا ورتبة مطابقا، نحو:**(فأوجس في نفسه خيفة موسى)** [5].
- أن يكون متأخرا رتبة[...] في باب ضمير الشأن والقصة، ونعم،وبئس، والتنازع.
- أن يكون متأخرا دالا بالالتزام؛ نحو:"**(كلا إذا بلغت الحلقوم)**[6]، و**(كلا إذا بلغت التراقي)**[7] أضمر الروح أو النفس لدلالة الحلقوم والتراقي عليها[8].

يمكــن أن نلاحــظ بوضــوح توفر هذه الأقسام على غير مسألة من مسائل الإحالة، فقول الســيوطي(ملفــوظاً) يدل على أن المرجع قد يكون غير ملفوظ، إذ " قد يدل السياق على مرجع

([1]) المائدة: ٨ .

([2]) انظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن: ٥٧٥/١ .

([3]) القدر: ١ .

([4]) انظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن: ٥٧٥/١ .

([5]) طه: ٦٧.

([6]) الواقعة: ٨٣ .

([7]) القيامة: ٢٦ .

([8]) انظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن: ٥٧٥/١

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الضـمير فيضـمر ثقـةً بفهم السامع"[1]. وهذا عين تقسيم الإحالة إلى داخلية وخارجية، ويبرز بوضوح التفاته إلى سياق النص ودور ذلك في الفهم.

أمـا قوله(سابقاً) وابتداؤه بهذا القسم فيدل على إدراكه لمسألة أن الأصل في إحالة الضمير أن تكـون داخلـية قبلية. و في كتابه همع الهوامع إشارة أكثر وضوحاً إلى هذه المسألة، حيث يقول:" وأصل المفسر الذي يعود عليه أن يكون مقدماً ليُعلم المعني بالضمير عند ذكره بعد مفسره [...] وقد يخالف الأصل في تقديم المفسر فيؤخر عن الضمير"[2].

وفي قوله(مطابقاً) إشارة إلى القيد الدلالي الذي تخضع له الإحالة وهو" وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والمحال عليه "[3] .

وفـي القسـم الثاني مما عرضته الدراسة فيما يدخل ضمن الإحالة القبلية ملاحظة دقيقة، وإدراك عمـيق لطبيعة العلاقة بين الضمير ومرجعه من حيث المحتوى الذي يأخذه الضمير من هـذا المـرجع، فالمتلقـي يسـتدعي فـي الآية السابقة لفظ(اعدلوا) ويجتزئ منه الدلالة على الحدث(العدل)، وهذا ما يمكن تسميته بالإحالة الاجتزائية ؛ وفيها يجتزئ العنصر الإحالي شيئاً مما يدل عليه المرجع. وسيعرض الباحث لهذا النوع في فصل أنواع الإحالة.

ثالثا : ما يدخل ضمن الإحالة الخارجية

لـم يعرض السيوطي في سياق حديثه عن أقسام مرجع الضمير، لمرجع ضميري المتكلم والمخاطب ، غير أن له إشارة واضحة، إلى كون إحالتهما مقامية، وإن لم يستخدم هذا المصطلح،

([1]) المرجع السابق: ١/٥٧٥.

([2]) همع الهوامع: ١/٢٢٧- ٢٢٩.

([3]) لسانيات النص، ص: ١٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فهـــو يقـــول فـــي كتابه همع الهوامع:" يفسرهما المشاهدة وأما ضمير الغائب فعار عن المشاهدة فاحتاج إلى ما يفسره [1].

أما في سياق حديثه عن أقسام ضمير الغائب فقد عد قسما واحدا يمكن القول إن السيوطي نظر له على أن إحالة الضمير فيه إحالة خارجية، وهو ما دل عليه قوله:" وقد يدل السياق على مرجع الضمير، فيضمر ثقة بفهم السامع، نحو:**(كل من عليها فإن)**[2].**(ما ترك على ظهرها من دابة)** [3] أي الدنيا، ونحو **(ولأبويه)**[4].أي الميت ولم يتقدم له ذكر"[5].

وقد جعل السيوطي بعض الإحالات، التي تعد في الدرس اللغوي الحديث، من قبيل الإحالة الخارجـــية، أو من قبيل الإحالة لغير مذكور **Exophoric reference** من قبيل أن مرجعها داخل النص، وهذا يعني أن إحالتها داخلية؛ فقد ذكر فيما يمكن أن يعد من باب الإحالة الداخلية: أن يكـــون مرجع الضمير دالاً عليه بالالتزام نحو**(إنا أنزلناه في ليلة القدر)**[6] فلفظ الإنزال عنده يستدعي القرآن، ويفهم من كلامه أنها إحالة داخلية سابقة، وذكر أن يكون مرجع الضمير متأخراً دالاً بالالتـــزام نحـــو:**(فلـــولا إذا بلغـــت الحلقـــوم)**[7] فلفـــظ الحلقـــوم – كمـــا يقول– مستدع للروح فيفهم من كلامه أنها إحالة داخلية لاحقة[8]؛ وهذا يتصل بما سبقت الإشارة إليه من السيوطي كان ينظر للمرجع نظرة خاصة.

([1]) همع الهوامع، : ٢٢٧/١

([2]) الرحمن: ٢٦.

([3]) فاطر :٤٥ .

([4]) النساء: ١١ .

([5]) معترك الأقران في إعجاز القرآن: ٥٧٥/١

([6]) القدر: ١ .

([7]) الواقعة:٨٣ .

([8]) معترك الأقران في إعجاز القرآن: ٥٧٥/١

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولعـــل ممـــا يتناسب مع سياق عرض تصور السيوطي، لأقسام إحالة الضمير، أن يُعرض لإشـــارة صـــريحة لـــه ، قسم فيها الضمير بناء على تقدم المرجع أو تأخره ، وردت في كتابه الأشباه والنظائر، فقد عنون أحد مباحث هذا الكتاب بـــ أقسام المظهر والمضمر من حيث التقديم ، فقـــال: " قـــال ابن النحاس في التعليقة: المضمر والمظهر من جهته التقديم والتأخير على أربعة أضرب:

- أحدها : أن يكون الظاهر مقدماً على المضمر لفظاً ورتبة، نحو: ضرب زيد غلامه.
- الثاني: أن يكون الظاهر مقدماً على المضمر لفظاً دون رتبة، نحو: ضرب زيداً غلامه.
- الثالث: أن يكون الظاهر مقدماً على المضمر رتبة دون لفظ، نحو: ضرب غلامه زيد، فهذه الثلاثة تجوز بالإجماع.
- الرابع : أن يكون الظاهر مؤخراً لفظاً ورتبة، نحو: ضرب غلامه زيداً، فهذا أكثر النحاة لا يجيزه لمخالفته باب المضمر، ومنهم من أجازه[1].

ويمكن القول إن للسيوطي قصب السبق، في أبرز مظاهر تصنيف الإحالة؛ فقد عرض لـــثلاثة أقسام يجمعها لفظ (سابقا)، في مقابل ثلاثة أقسام يجمعها لفظ (متأخرا)، وقسم أُضمِر ثقة بالسامع؛ أو لأنه يفسره المشاهدة، وهذه الأشكال الثلاثة هي عين تقسيم الإحالة إلى داخلية(قبلية، وبعدية)، وإحالة خارجية.

ثم عرض السيوطي بعد الأقسام التي سبقت الإشارة إليها أربعة أقسام لمرجع الضمير، لعل مـــا يجمعها هو التفاته إلى طبيعة المحتوى الذي يأخذه الضمير من مرجعه، والتفاته للمسألة التي

---

(1) الأشباه والنظائر، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق، طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، ١٩٧٥: ١/٢٤٥، وانظر: شرح العلامة ابن النحاس على مقرب ابن عصفور في علم النحو، تحقيق، جميل عبدالله عويضة، وزارة الثقافة، عمان، ط١، ٢٠٠٤ ، ص:٥٣٠-٥٣٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

سبقت الإشارة إليها، وهي أن الاقتصار على جانب الضمير لا يكفي،إذ لا بد من دراسة مرجعه؛ وهذه الأقسام هي:

- عـود الضـمير على لفظ المذكور دون معناه، نحو[1]: **(وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب)**"[2].
- عـود الضمير على بعض ما تقدم ، نحو:(**يوصيكم الله في أولادكم**) إلى قوله:(**فـإن كنّ نساءً**)[3]،(**وبعولتهن أحق بردّهنّ**) [4] بعد قوله:(**المطلقات**) فإنه خاص بالرجعيات والعائد عليه عام فيهن وفي غيرهن"[5].
- عـود الضمير على المعنى، كقوله في آية الكلالة:(**فإن كانتا اثنتين**)، ولم يتقدم لفـظ مثنـى يعود عليه. قال الأخفش : تقع على الواحد والاثنين والجمع ، فثنى الضمير الراجع إليها حملاً على المعنى ، كما يعود الضمير جمعاً على من "[6]
- عود الضمير على لفظ شيء والمراد به الجنس من ذلك الشيء[...] كقوله تعالى: (**إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى**) [7] أي بجنس الفقير والغني ، لدلالة غنياً أو فقيراً على الجنسين ، ولو رجع إلى المتُكلَّم به لوحِّده[8].

([1]) انظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن: ٥٧٦/١.

([2]) فاطر: ١١.

([3]) النساء ١١ .

([4]) البقرة ٢٢٨ .

([5]) معترك الأقران في إعجاز القرآن: ٥٧٦/١.

([6]) المرجع السابق: ٥٧٦/١.

([7]) النساء: ١٣٥ .

([8]) معترك الأقران في إعجاز القرآن:٥٧٦/١.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

يمكن أن ندرج القسم الأول من الأقسام الأربعة السابقة في ما أسماه عبد المهدي الجراح الإحالة التخالفية[1]، و يمكن أن يدرج القسم الثاني فيما اصطلحت عليه الدراسة الإحالة الإجتزائية. أمـــا القسم الثالث فيتصل بالقيد الذي تخضع له الإحالة، وهو التماثل الدلالي(المطابقة)، وهي هنا مطابقة معنوية وليست لفظية.

ويمكـــن القول إن القسم الرابع يدل على التفات السيوطي ووقوفه، على الفرق بين نوعين من دلالة المرجع اللغوي المفسر للضمير: الدلالة على المفرد، والدلالة على الجنس، وهو هنا عام الدلالـــة ولا يـــدل علـــى خاص؛ لذا فإن المرجع هنا ليس تعبيرا محيلا بالتصور الذي قدمه يول وبراون. ومثل هذه المسائل تبحث عادة في علم الدلالة فـــ"المدلول إما أن يكون عاما **General** أو محددا **Specific** فإن قلت: الكلب حيوان ودود؛ فإن مدلول كلمة (كلب) تنصرف إلى فئة من الحيوانات وليس إلى فرد محدد من هذه الفئة .وهذه الكلمة من الناحية النحوية معرفة بـــ(أل)ولكن من حيث الدلالة تشمل كل هذا الجنس من الحيوانات. وبالمقارنة فإن كلمة (كلب)في الجملة التالية تختلف دلالتها عن الدلالة الواردة في الجملة السابقة: يبدو أن الكلب الذي ينبح جائع" [2].

ولعـــل مـــن المناسب في هذا السياق أن يشار إلى أن كثيرا من مسائل المعرفة والنكرة في الـنحو العربي تندرج في مسائل الدلالة والإحالة، كمـــا في أنواع (أل) الجنسية والعهدية؛ فتقسيم (أل) الســـابق، يكشـــف عن انتباه إلى عدة أبعاد: بعد دلالي(أل الجنسية)، وبعد يتصل بالسياق اللغوي (أل العهد الذكري، الضمائر...)، وبعد يتصل بالخبرات المشتركة بين طرفي التواصل (أل العهد الذهني، العلم ...)، وبعد يتصل بسياق الموقف(أل العهد الحضوري، ضمائر الحضور).

([1]) قيد الجراح مفهوم ما أسماه الإحالة التخالفية بقيد الاتحاد في اللفظ؛ وستعرض الدراسة لهذا المصطلح في الفصل الثاني.

([2]) علم السيمانتيكية والبراجماتية في اللغة العربية، شاهر الحسن، دار الفكر عمان، ط١،٢٠٠١، ص: ٣٢ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

عــرض الســيوطي بعــد ذلك لقسمين، لا يشترك الضمير فيهما مع مرجعه اللغوي ، في الإحالة على شيء واحد، وهما:

- مجــيء الضــمير متصلاً بشيء وهو لغيره، نحو قوله تعالى: **(ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين)** [1] يعني آدم ثم قال: **(ثم جعلناه نطفة)** [2] فهذا لولده ؛ لأن آدم لم يخلق من نطفة. ومنه أيضاً **(لا تســألوا عن أشياء إن تُبدَ لكــم تســؤكم)** [3] ثــم قــال: **(قد سألها)** أشياء أخر مفهومة من لفظ أشياء السابقة.[4]
- "عــود الضــمير علــى مــا هــو ملابــس له، نحو قوله تعالى:**(إلا عشية أو ضــحاها)**[5] أي ضــحى يــومها لا ضحى العشية نفسها؛ لأنه لا ضحى لها"[6].

ويتشــابه هــذان القسمان مع عود الضمير على اللفظ دون المعنى، كما في قوله تعالى: **(وما يعمــر مــن معمــر ولا يــنقص مــن عمــره)**[7]، وكــون المرجع دالا بالالتزام، كما في قوله تعالى:**(إنا أنزلناه في ليلة القدر)**[8] حيث يُتوصل إلى مرجع الضمير من خلال مرجع لغوي

---

(1) المؤمنون: ١٢ .
(2) المؤمنون: ١٣ .
(3) المائدة: ١٠١ .
(4) انظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن: ٥٧٧/١.
(5) النازعات: ١٤٦.
(6) انظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن: ٥٧٧/١.
(7) فاطر: ١١.
(8) القدر: ١ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لا يشـــاركه فـــي الإحالـــة؛ لذا يرى الباحث أنه يجب إدراج هذه الأقسام تحت مصطلح الإحالة التخالفية.

وقد ذكر السيوطي قسمين يمكن القول إنه نظر فيهما إلى الفرق بين مكونات بنية إحالية يتعدد فـيها المرجع، ويتأتى هذا الفرق من طبيعة العلاقة بين الضمير ومرجعه؛ فقد تكون هذه العلاقة شـكلية فقط وقد تكون إسنادية، والمقصود هنا بالعلاقة الإسنادية أن يكون المحمول الذي يتوفر عليه التركيب المتضمن للضمير مرتبط بمرجعه، أما العلاقة الشكلية فتتمثل في مطابقة الضمير لمرجعه في الجنس والعدد، وكونه يستدعي هذا المرجع لتأويله؛ وهذان القسمان هما:

- ذكر شيئين وعود الضمير إلى أحدهما، والغالب كونه الثاني نحو:

(واســتعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين)[1]؛ فأعيد الضمير للصلاة، وقيل للاســتعانة المفهومة من استعينوا. و**(جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل)** [2] أي القمر ؛لأنه الذي يعلم به الشهور. و**(والله ورسوله أحق أن يرضوه)**[3] أي يرضوهما، فأفرد؛ لأن داعي الرســول هــو داعــي العــباد، والمخاطــب لهــم شــفاها، ويلــزم مــن رضــاه رضا ربه تعالى [4].

- تثنـية الضـمير وعـوده إلـى أحـد مذكـورين، نحـو:**(يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان)**[5]؛ وإنما يخرج من أحدهما"[6].

([1]) البقرة: ٤٥ .

([2]) نوح: ١٦ .

([3]) التوبة: ٦٢ .

([4])معترك الأقران في إعجاز القرآن:٥٧٧/١.

([5]) الرحمن: ٢٢ .

([6])معترك الأقران في إعجاز القرآن: ٥٧٧/١

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يمكن القول إن القسم الأول يشير إلى ارتباط شكلي، بين الضمير وأحد مرجعين سابقين، يـرتبط معهمـا ارتباطا إسناديا؛ فالمحمول الذي يتوفر عليه التركيب المتضمن للضمير هو لكلا المـرجعين، أمـا في القسم الثاني؛ فإن السيوطي يضع بين أيدينا مظهرا مقابلا للمظهر السابق؛ يرتبط فيه الضمير مع مرجع يدل على مثنى ارتباطا شكليا، أما من حيث الارتباط الإسنادي فإنه يـرتبط بـواحد فقط مما يدل عليه المرجع؛ فالمحمول الذي يتوفر عليه قوله تعالى:(**يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان**) كما يفهم من كلام السيوطي للبحر المالح فقط.

ولعل ذهن السيوطي عند تقديم حكمه السابق انصرف إلى قوله تعالى:(**وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَـذَا عَـذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُـونَهَا وَتَـرَى الْفُلْـكَ فِـيهِ مَوَاخِـرَ لِتَبْـتَغُوا مِـن فَضْـلِهِ وَلَعَلَّكُـمْ تَشْكُرُونَ**)[1] مع أن هذه الآية في سورة أخرى، والضمير في(**منهما**) يعود على لفظ (**البحرين**) فـي آية سابقة من السورة نفسها، وهي قوله تعالى: (**مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ**)[2] ويتطابق معه في سمتي الجنس والعدد. وربما رأى السيوطي أن لفظ (**البحرين**) في الآية يستدعي ما ورد في الآية المشـار إلـيها، وهذا من قبيل العلاقات القائمة بين سور النص القرآني. والجدول الآتي يوضح البنيتين الإحاليتين:

العنصر الإحالي	المرجع	نوع العلاقة	المحمول
ـه (ترضوه)	الله \ رسوله	إسنادية	أحق أن ترضوه
	رسوله	شكلية (المطابقة)	ـــــــــ
ـهما(منهما)	البحرين: بحر\ بحر	شكلية (المطابقة)	ـــــــــ
ـــــــــ	أحدهما(المالح)	إسنادية	يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان

(1) فاطر:١٢ .

(2) الرحمن: ١٩ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويمكـــن القول إن القسم السادس عشر- وهو القسم الأخير من أقسام مرجع الضمير التي عرضـــها السيوطي- يدل على التفاته إلى ما يعرف بـــالمرجع (الخارج)، ووقوفه على مسألة هامة، وهي عدم تحقق المرجع زمن التلفظ، أو تعينه في علم المرسل رغم عدم تحققه، وهذا القسم هو:

- عـسود الضمير على غير مشاهد محسوس، والأصل خلافه كما يقول السيوطي؛

نحو[1]:(**إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون**)[2].

وليس بالضرورة أن يكون المحال عليه متحققا لحظة التكلم؛ فقد تتم الإحالة على أشياء مستقبلية متعينة بعلم المرسل كالإحالة على أزمان قادمة(الغد،الأسبوع القادم...)أو أحداث يفترض حـــدوثها. ويمكن الإشارة هنا إلى إحالة لفظ(الصبح) في قوله تعالى:(**قَالُواْ يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَـــن يَصِـــلُواْ إِلَـــيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ**)[3].

وقد عرض السيوطي بعد ذكره لأقسام مرجع الضمير لعدد من قواعد عود الضمير في النص القرآني، منها:

- **الأصل توافق الضمائر في المرجع**

ذكـــر السيوطي أن:" الأصل توافق الضمائر في المرجع حذرا من التشتت،[... كما في قوله تعالـــى]:(**لتؤمـــنوا بـــالله ورســـوله وتعروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا**)[4]، ومن فرق

([1]) معترك الأقران في إعجاز القرآن: ٥٧٧/١

([2]) البقرة: ١١٧ .

([3]) هود: ٨١ .

([4]) المرجع السابق:٥٨٥/١

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الضـمائر فقـد أبعـد. وقـد يخـرج عـن هذا الأصل؛ كما في قوله تعالى:(**ولا تستفت فيهم منهم أحدا**)[1] فإن ضمير فيهم لأصحاب الكهف ومنهم لليهود..."[2].

وهـذا يدل على تصوره للبنى الإحالية المتعددة في النص القرآني، وتداخل هذه البنى؛ ولعل فـيه ما يدل على تجاوز إدراك السيوطي لمسألة دور الإحالة في الربط بين مكونات النص، إلى دورها في الاتساق النصي؛ لأن (التشتت) نقيض الاتساق.

يمكن القول إن السيوطي التفت إلى أهم القضايا التي يعرض لها عند التصدي للإحالة، وأبـرزها التفاته للإحالة الضميرية داخل النص؛ وفي هذا تجاوز لدرسها في إطار الجملة، ومن الأشياء الهامة التفاته إلى مرجع الضمير(الخارج)؛ كما يتضح من القسم الأخير من أقسام مرجع الضمير،إضافة إلى أن حديثه عن مرجع الضمير يقدم فيه تصورا واضحا عن الإحالة الضميرية في النص القرآني، ولعل مسألة واحدة لم يعرض لها السيوطي في هذا السياق، وهي عود الضمير على مقطع.ومن الأشياء الهامة أيضا حديثه عن أن توحيد الضمائر في المرجع أولى من تفريقها حـذرا مـن التشـتت؛ لأن في هذا ما يقارب تصور علماء لغة النص لدور الإحالة في الاتساق النصي؛ المتأتي من خلال الوحدة الدلالية بين مجموعة من العناصر الإحالية، والعنصر الإشاري المفسر لها.

([1])معترك الأقران في إعجاز القرآن: ٥٧٨/١

([2]) المرجع السابق:٥٧٨/١ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الثاني

أنواع الإحالة ومعايير تصنيفها

معايير تصنيف الإحالة

تصنيف الدارسين للإحالة

تصنيف الباحث للإحالة.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الثاني

أنواع الإحالة ومعايير تصنيفها

أولا: معايير تصنيف الإحالة

صنفت الإحالة بناء على معايير متعددة، ومن أهم الأمور التي روعيت عند تصنيف الإحالة مسألة وجود المحال عليه داخل النص أو خارجه؛ فكان أن قسمت الإحالة إلى: داخلية وإحالة خارجية، وقسمت الإحالة الداخلية إلى قبلية وبعدية؛ بناء على تقدم العنصر الإشاري على العنصر الإحالي المتعلق به أو تأخره عنه.

وتجدر الإشارة إلى أن التصنيف السابق يعتمد أساسا على التفريق بين العناصر الإحالية والعناصر الإشارية، و الالتفات إلى العلاقة بينهما داخل النص؛ فالعناصر الإحالية التي يتوفر النص على عنصر إشاري لغوي يفسرها، تعد إحالاتها إحالات داخلية، أما العناصر الإحالية التي لا يتوفر النص على عناصر إشارية لغوية تفسرها فتعد إحالاتها إحالات خارجية.

وقد نظر الدارسون إلى أن العناصر الإحالية تتمايز فيما بينها من حيث طبيعتها؛ فكان أن قسمت الإحالة إلى: إحالات إشارية وإحالات شخصية. ولما لاحظ الدارسون أن بعض العناصر الإحالية تحيل أحيانا على مقطع من النص فكانت الإشارة إلى ما يسمى بالإحالة الممتدة.

وتقسم الإحالة الداخلية بناء على طبيعة المرجع (المفسر) الذي يحيل عليه العنصر الإحالي إلى:

- إحالة معجمية:وتجمع كل الإحالات التي تعود على مفسر دال على ذات،أو مفهوم مفرد.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

- إحالة مقطعية أو نصية: وتجمع كل الإحالات التي تعود على مفسر هو مقطع من ملفوظ (جملة أو نص أو مركب نحوي)[1].

وقد استعمل هاليدي ورقية حسن مصطلح الإحالة النصية **Textual Reference** لما يطلق عليه عادة الإحالات الداخلية[2]؛ لذا فإن من الضروري عدم استخدام مصطلح الإحالة النصية ليدل على الإحالات المقطعية؛ وذلك لتوحيد المصطلح؛ فما أسماه هاليدي ورقية حسن الإحالة الممتدة هو ما أسماه الزناد إحالة مقطعية أو نصية.

ومن الأمور التي روعيت عند تصنيف الإحالة مسألة طول المسافة الفاصلة بين العنصر الإحالي والعنصر الإشاري المفسر له أو قصرها، وهي تقسم بناء على ذلك" إلى نوعين:

- إحالة ذات مدى قريب ؛ تجري في مستوى الجملة الواحدة ، حيث لا توجد فواصل تركيبية جمليّة [...] .
- إحالة ذات مدى بعيد ؛ تجري بين الجمل المتصلة أو المتباعدة في فضاء النص ، تتجاوز الفواصل أو الحدود التركيبية بين الجمل "[3].

ولعل إشارة هاليدي ورقية حسن إلى الإحالات المقارنة[4] نتيجة لتتبع الفعل الإحالي في النصوص، وملاحظة أن المتلقي قد يضطر لاستدعاء مذكور سابق، ولا يكون هذا الاستدعاء لتأويل عنصر إحالي؛ وذلك عندما يقارن النص بين شيئين. وقد أشار الأزهر الزناد إلى نوع من

([1]) انظر: نسيج النص، ص: ١١٩.

([2]) Cohesion in English, P33

([3]) نسيج النص، ص: ١٢٣- ١٢٤.

([4]) Cohesion in English,P76

© Arabic Digital Library Yarmouk University

الإحالة الداخلية " يتمثل في تكرار لفظ أو مجموعة من الألفاظ في بداية كل جملة قصد التوكيد، وهو الإحالة التكرارية "[1].

يمكن تلخيص الأسس والمعايير السابقة بالقول إنها تقوم على ثلاثة أمور، هي:

- التفريق بين العناصر الإشارية والإحالية، والالتفات إلى العلاقة بينهما داخل النص.
- النظر إلى طبيعة العناصر الإشارية والإحالية.
- الالتفات إلى أن ثمة عناصر لغوية تجبر المتلقي على الرجوع إلى سابق، دون أن تكون المسألة مرتبطة بحاجته لتأويل عنصر إحالي، كالإحالة التكرارية والإحالة المقارنة.والشكل الآتي يوضح أقسام الإحالة بناء على الأسس والمعايير السابقة:

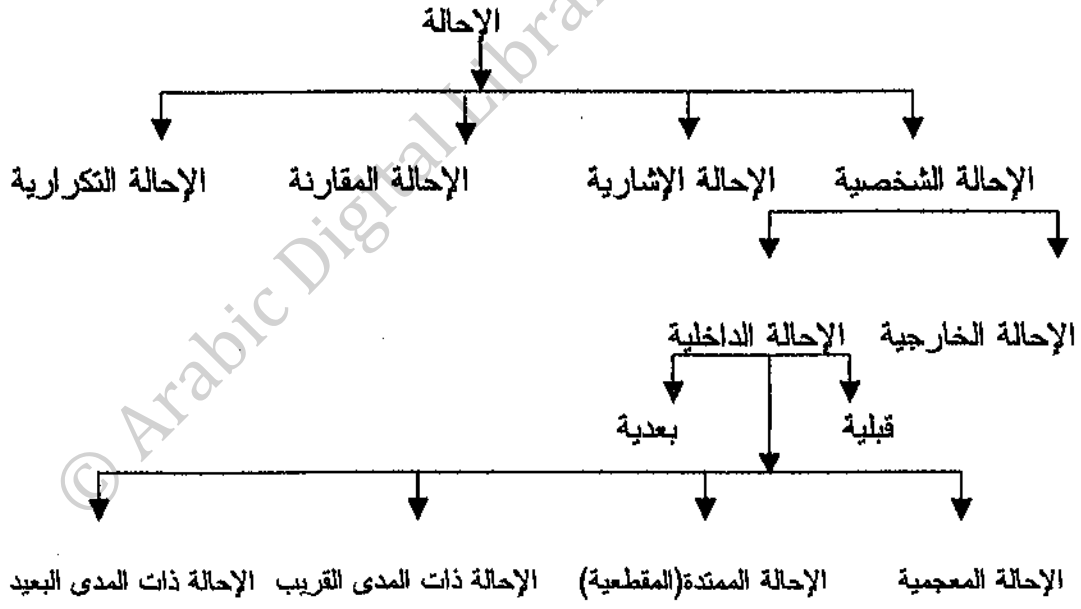

ثانيا: أنواع الإحالة

بعد أن عرضت الدراسة للمعايير التي روعيت عند تصنيف الإحالة، ستعرض لأقسامها ولعدد من مسائل الإحالة من خلال مناقشة هذه الأقسام:

([1]) المرجع السابق، ص: ١١٩.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

١.الإحالات الشخصية

تـرتبط الإحـالات الشخصـية بثلاث مجموعات، هي الضمائر الشخصية، ومحددات الملكـية، مـثل: (...mine،yours، hers) وضـمائر الملكـية مـثل: (...my,your,her) [1]. وتضـم الضمائر الشخصية ضمائر التكلم والخطاب والغيبة، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة.

و ليس في اللغة العربية الفصحى ما يماثل محددات الملكية؛ لذا نقابلها بشبه الجملة(لي، ولـك، ولهـا...)،وفـي اللهجـات المحكـية الآن مـا يقابل محددات الملكية في الإنكليزية مثل:(مالتي) في اللهجة العراقية، و(تاعي، أو تبعي) في اللهجة المحلية، و(بتاعي) في اللهجة المصرية، وفي هذه الأيام نلاحظ أن كلمة(خاصتي) تستعمل استعمال محددات الملكية، ويعتقد الباحث أن هذا الاستعمال دخيل على العربية، أما ضمائر الملكية فيقابلها في العربية الضمائر المتصـلة بالأسـماء،على أن تكـون الإضافة على معنى الملكية؛ أي أن الحرف المقدر بين المضاف والمضاف إليه يكون حرف الجر(اللام).

ويعـتمد تقسـيم الضـمائر عـند النحاة على اعتبارات متعددة؛ فتقسم بناء على المواقع الإعـرابية التـي تشغلها إلى: ضمائر الرفع والنصب والجر، وتقسم من الناحية الشكلية إلى: متصـلة ومنفصـلة ومسـتترة، ويقارب تقسيم النحاة للضمائر إلى: ضمائر التكلم والخطاب والغيبة، ما يشير إليه هاليدي ورقية حسن من أن لضمائر الحضور أدوارا رئيسية، ويسميانها أدوات الكلام**Speech Roles** أما ضمائر الغيبة فيسميانها أدوات أخرى**Other Roles**[2].

---

(1) Cohesion in English, p34

(2) المرجع السابق، ص: ٣٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقـد لاحـظ النحاة أن بعض الضمائر تختلف من حيث طبيعة عملها الإحالي، وسماتها التـركيبية؛ فأشاروا إلى ضمير الشأن، وضمير الفصل، ووقفوا على وظائفهما، وما يمتاز به هذان الضميران عن بقية الضمائر.

و ينبغي الالتفات لأقسام الضمائر السابقة إذا أردنا الحديث عن وظائف العناصر الإحالية في السياقات التي ترد فيها، وإذا أردنا وصف الامتداد الإحالي للعناصر الإشارية، مع الالتفات إلى أن اختلاف أشكال الضمائر يصاحبه- غالبا- اختلاف في الوظيفة، وفي طبيعة المعلومات المرتبطة بالعنصر الإشاري الذي نريد وصف امتداده الإحالي، والمعلومات المقدمة عنه في النص من خلال هذا الامتداد.

ولا يُقصد بما سبق الالتفات إلى ما أسماه هاليدي ورقية حسن الأدوار الرئيسة والأدوار الأخرى؛ فهذا يقتصر على التفريق بين طرفي الحدث التواصلي، والأشياء التي يتم الحديث عنها بضمائر الغائب.

أما المقصود هنا فهو أن الامتداد الإحالي لعنصر إشاري ما يختلف باختلاف وظيفة العنصر الإحالي في سياق الجملة المتضمنة له؛ فعلى سبيل المثال تختلف المعلومات المتعلقة بالعنصر الإشاري حينما تتم الإحالة عليه بضمائر الرفع المتصلة، عن الإحالة بضمائر النصب، وتختلف الإحالة بضمير رفع متصل بفعل مبني للمجهول،عن الإحالة بضمير رفع متصل مبني للمعلوم...الخ ؛ وبالالتفات إلى هذه الفروقات يمكن وصف الامتداد الإحالي لعنصر إشاري ما.

٢. الإحالات الإشارية

يرتبط هذا النوع من الإحالة بعناصر إحالية محددة؛ وهي العناصر التي تحدد مكان المشار من حيث القرب أو البعد؛ مثل:(**this ,that**) و(**these ,those**) أو تشير إلى المكان

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أو الزمان، مثل:(**here, there, then, now**) [1]. ويمكن القول: إن نظام الإحالة الإشارية في العربية يتوفر على التوسط بين البعد والقرب كما يفهم من كلام النحاة، يقول السيوطي:" المشهور أن المجرد للقريب، وذا الكاف للمتوسط، واللام للبعيد"[2].

ولعل مما تجدر الإشارة إليه في هذا السياق أن نحاتنا فرقوا بين نوعين من أسماء الإشارة: الأول تتعدد معانيه النحوية، ويتضمن أسماء الإشارة (هذا، هذه، هذان، هؤلاء، ذا، ذان، ذلك، تلك، أولئك...)؛ أما القسم الثاني فمعناه النحوي هو الظرفية المكانية؛ ويتضمن أسماء الإشارة(هنا، هناك، هنالك، ثمّ، ثمة)، وسبقت الإشارة في الفصل الأول إلى أن نظرتهم لهذه العناصر اللغوية كانت تراعي سياق الاستعمال.

ويمكن أن يعد هذا النوع من الإحالة من قبيل الإحالات الخارجية؛ لاعتمادها على المقام الخارجي، وعلى أمور حسية. ويرى الباحث أن معظم الإحالات الإشارية في النص القرآني إحالات داخلية على خلاف ما سبق قوله؛ لأنها تعتمد على سياق القص، و في النص ما يفسرها؛ وهي بهذا تشبه ضمائر التكلم والحضور التي تحيل على ذوات؛ ترد في سياق قص، أو وصف لمشهد من مشاهد يوم البعث وغير ذلك. ويمكن أن يعمم الحكم على ما يسمى بالنصوص السردية.

يحيل اسم الإشارة(هنالك) في النص القرآني على تصور سابق، يتمثل بالزمن المشار إليه، وما يتضمنه من أحوال آل إليها المحدث عنه في سياق الإحالة؛ كما في قوله تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ**

---

(1) Cohesion in English.p 57

(2) همع الهوامع:١/٢٥٨

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا)[1].

ويمكن القول إن كلمة (إذن) من العناصر التي تحيل إحالة إشارية، كما في قوله تعالى:(إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا)[2]؛ وربما أمكن مقابلتها أو تقريبها من الكلمة الإنكليزية(then).

أما اسم الإشارة(هنا) فإنه يحيل في النص القرآني على مكان،على خلاف اسم الإشارة (هنالك)، ولكنه يشبهه من حيث ارتباط المحال عليه- في بعض السياقات- بحال آل إليها المحدث عنه في سياق الإحالة، كما في قوله تعالى:(فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ)[3]. وقد يشير اسم الإشارة(هنا) إلى مكان دون أن يكون مرتبطا بأشياء أخرى، كما في قوله تعالى:(قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ)[4].

ويشبه ظرف الزمان (الآن) اسم الإشارة(هنالك)، فقد يشير إلى زمن يرتبط بحال آل إليه المحدث عنه، كما في قوله تعالى:(أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنتُم بِهِ آلْآنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ)[5]، وكما في قوله تعالى:(آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ)[6]، وقد يكون لمجرد الإحالة على زمن التكلم، كما في قوله تعالى:(وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا)[7].

([1]) الأحزاب: ٩- ١١.

([2]) الكهف: ٢٠.

([3]) الحاقة: ٣٥.

([4]) المائدة: ٢٤.

([5]) يونس: ٥١.

([6]) يونس: ٩١.

([7]) الجن: ٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٣.الإحالات المقارنة

وهي إحالة غير مباشرة تقوم على المقارنة بين شيئين من حيث أوجه الشبه وأوجه الاختلاف[1]. ويعتقد الباحث أن مفهوم الإحالات المقارنة لا يمكن تقييده بعناصر إحالية محددة، فالمقارنة قد تتحقق بلفظ يدل على المشابهة، كما في قوله تعالى: **(وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ لَوْلاَ يُكَلِّمُنَا اللّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ)**[2]، ففي هذه الآية غير عبارة تدل على المشابهة، وهي:**(كَذَلِكَ، مِّثْلَ قَوْلِهِمْ، تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ)**.

ومن الإحالات المقارنة ما يقوم على أسماء التفضيل كما في قوله تعالى: **(يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ)**[3]، وقوله تعالى:**(أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)**[4]، فقد تمت المقارنة في الآيتين السابقتين من خلال اسمي التفضيل**(خَيْرٌ، أَهْدَى)**.

٤. الإحالة التكرارية

ذكرت الدراسة فيما سبق من هذا الفصل، أن الزناد أشار إلى هذا النوع من الإحالة، وأنه يقوم على تكرار لفظ أو مجموعة من الألفاظ قصد التوكيد. ويعتقد الباحث أن التوكيد يتحقق من خلال قدرة هذا النوع من الإحالة على شد انتباه المتلقي، و إعادته إلى جزء ما من النص ليتابع منشئ النص بناء نصه؛ لتأكيد مسألة ما، أو ليتمكن من تمكين فكرة تسيطر على حالته الشعورية في نفس المتلقي، ويمكن التمثيل على ذلك بتكرار جملة(والدهر لا يبقى على

---

(1) Cohesion in English p.٧٦

(2) البقرة: ١١٨.

(3) يوسف: ٣٩.

(4) الملك: ٢٢.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

حدثانه) في عينية أبي ذؤيب؛ وقد كان تكرارها لتأكيد سطوة الموت، وأتاح له متابعة بناء نصه، إذ شكلت الجملة السابقة في كل مرة افتتاحا لنص جديد.

وللإحالة التكرارية في النص القرآني مظاهر متعددة، ستعرض لها الدراسة في الفصل الثالث، غير أن الباحث يرى ضرورة أن يشير في هذا السياق إلى أن الإحالة التكرارية في النص القرآني تقارب في بعض صورها الإحالة المقارنة؛لأن التكرار الذي نجده في بعض السور يعيدنا إلى جزء سابق، دون أن يكون ثمة اشتراك بين المحيل والمحال عليه في الإحالة، ولكنها تعكس أوجه شبه بينهما، كتشابه مواقف المكذبين، ووحدة دعوة الأنبياء؛ وهذه الإحالات ترد في سياق تأكيد قضية وحدانية الله- عز وجل- أو تثبيت النبي- صلى الله عليه وسلم.

ويمكن التمثيل على الإحالات التكرارية في النص القرآني، بتكرار قوله تعالى[1]:**(قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ)**، في سورة الأعراف على لسان كل من نوح وهود وصالح وشعيب- عليهم السلام.

وتؤدي الإحالة التكرارية- إلى جانب التوكيد- وظائف أخرى، فهي تعمل في تنامي النص، وتسهم في تحقيق التماسك النصي، من خلال الربط الذي تحدثه بين أجزائه، خاصة عندما يكون الربط بين نصوص فرعية، كما في سورة الأعراف وهود و المؤمنون والشعراء والقمر وغيرها.

ومن الملاحظ أن الدراسات التطبيقية لا تعرض للأنواع السابقة، ولا يلتفت أصحابها إلا لأقسام الإحالة بناء على طبيعة العنصر الإشاري المفسر للعنصر الإحالي؛ فقد يكون عنصرا إشاريا لغويا، فتكون الإحالة داخلية؛لأن المتلقي يجد ما يؤول به العنصر الإحالي داخل النص،

([1])الأعراف: ٥٩،٦٥،٧٣،٨٥.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وقد يستعين المتلقي بالمقام الحسي(عناصر إشارية غير لغوية) لتفسير العنصر الإحالي، كإحالة ضمائر التكلم والخطاب؛ فتكون الإحالة خارجية.

الإحالة الخارجيةExophora

يطلق مصطلح الإحالة الخارجية على نوع من الإحالة يعتمد على المقام الخارجي، إذ إن على المتلقي أن يبحث عما يفسر العناصر الإحالية خارج النص، فهي" إحالة عنصر إحالي على عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي"[1].وأبرز مظهر من مظاهر الإحالة الخارجية يتمثل في إحالة ضمائر الحضور على ذات المتكلم والمخاطب.

ولا تقتصر الإحالة الخارجية على ضمائر الحضور، فلهذا النوع من الإحالة"كفاءة من حيث تجاوزها للخطوة البينية في تسمية المفهوم، وتعتمد في الأساس على سياق الموقف **Context**، شأنها في ذلك شأن الإحالة لمذكور سابق **Anaphora**، والإحالة لمتأخر **Cataphora**[...]، فعلى سبيل المثال جاء المثال [الآتي...] بوصفه أول ما نطق من محادثة، يفتتحها شخص يلج الباب ليخرج، فيجد شخصاً معروفاً عنده خارج الباب:

She's not here.

وكان المتكلم يعلم بالنية المعتادة للزائر أن يمر بشخص امرأة ما، وقد علم الزائر من جانبه أن المتكلم يعرف نيته"[2].

يمكن القول إن إحالة أسماء الإشارة التي تشير إلى شيء ما في المقام الخارجي، وما أسماه هاليدي ورقية حسن الإحالات الإشارية يندرج ضمن الإحالات الخارجية؛ لأن هذه الإحالات تعتمد على المقام الخارجي كإحالة ضمائر الحضور على ذات المتكلم والمخاطب. ويتضح من المثال السابق أن الإحالة الخارجية، أو الإحالة لغير مذكور- كما يسميها

([1]) نسيج النص، ص:١١٩ .

([2]) النص والخطاب و الإجراء، ص: ٢٣٢.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

بوجراند-[1] قد تعتمد على الخبرات المتبادلة بين طرفي التواصل، وليس بالضرورة أن يكون المحال عليه حاضراً في الموقف، مشاهداً أو محسوساً؛ لذا فإن الباحث لا يوافق من أخذ على أبي تمام قوله:

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر فليس لعين لم يفض ماؤها عذر[2].

فقد " كان بعضهم يقول: **يلزم** أبا تمام أن يأتي بمحمد بن حميد مقتولاً، **ثم يقول:** كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر"[3].

وفي النص القرآني إحالات خارجية بأسماء الإشارة، لا يمكن أن نتصور معها أن المحال عليه، كان حاضراً عند نزول الآية المتوفرة على هذه الإحالات، كما في قوله تعالى:(**أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاء فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَافِرِينَ**)[4]، فاسم الإشارة(**هؤلاء**) يحيل على كفار مكة مباشرة، وإسناد الفعل(**يكفر**) لهذا العنصر الإحالي كافٍ لتأويله وتحديد مرجعه- على اعتبار أن المتلقي هنا هو النبي محمد عليه- الصلاة والسلام- وما عدا ذلك فإن الأمر يستدعي معرفةً بأسباب النزول أو غير ذلك، كمكية هذه الآية.

أشار هاليدي ورقية حسن إلى نوع من الإحالة الخارجية، وهو الإحالات الخارجية العامة؛ وتتأتى بألفاظ مثل:(**one, we, you, they, it**) [5]. وقد عرض بوجراند لهذه الألفاظ؛ فأشار- مثلاً إلى أن "الضمير(**we**) الذي يتسم نوعا ما بعدم التحديد يسمح للمتكلم أن يضيف

([1])النص والخطاب و الإجراء، ص: ٢٣٢.

([2])ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، دار المعارف، ١٩٦٥، القاهرة،ج٤/٧٩.

([3]) الموشح، أبو عبيد الله محمد بن بحران بن موسى المرزباني، تحقيق، علي محمد البجاوي، نهضة مصر للطباعة، القاهرة، ١٩٩٠، ص: ٣٧٨.

([4]) الأنعام: ٨٩ .

([5]).Cohesion in English p 53

© Arabic Digital Library Yarmouk University

نفسه إلى مجموعة غير محددة العدد"[1]؛ ويمكن التمثيل عليه بقوله تعالى على لسان فرعون: **(فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِداً لا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلا أَنْتَ مَكَاناً سُوًى)**[2]؛ فقد أضاف فرعون نفسه في سياق حديثه إلى مجموعة.

يمكن القول إن إحالة ضمير المخاطب الجمع والمفرد إحالة خارجية عامة في قوله تعالى:**(وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا)**[3]، ويمكن القول إن إحالة لفظ(أحد) إحالة خارجية عامة في قوله تعالى: **(قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ)**[4].ولعل مما تجدر الإشارة إليه أن لفظ(أحد) في الآية السابقة ليس تعبيرا محيلا بالتصور الذي يشير إليه يول وبراون، فليس له مرجع في ذهن سليمان- عليه السلام- وقد سبق الحديث عن تصورهما للتعابير المحيلة في الفصل الأول.

و يمكن القول إن اسم الإشارة(ذلك) في قوله تعالى:**(وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا)**[5] يحيل إحالة خارجية عامة من منظور هاليدي ورقية حسن، بينما يمكن أن ننفي عنه إحاليته من منظور يول وبراون.

ولعل إحالة الموصولات المشتركة(من، ما،) يمكن عدها من الإحالات الخارجية العامة وقد اشتركت ضمائر الغائب الجمع(**هُم، يَنْظُرُونَ، بَيْنَهُم، يُظْلَمُونَ**) مع الموصول المشترك(**مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ**) في الإحالة إحالةً خارجية عامة في قوله تعالى: **(وَنُفِخَ فِي**

([1]) النص والخطاب و الإجراء، ص: ٣٣٤.

([2]) طه: ٥٨.

([3])الإسراء: ٢٣-٢٤.

([4]) ص: ٣٥.

([5])الكهف: ٢٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ)[1]، يمكن القول إن العناصر الإحالية المشار إليها في الآية السابقة تعابير محيلة بتصور يول وبراون؛ لأن لها مرجعا يتمثل بجميع من تنطبق عليه عبارة(مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ).

وقد عرض بوجراند فيما أسماه الإحالة لغير مذكور **Exophoric reference** لعدد من مظاهر الإحالة يمكن عد بعضها من باب الإحالة الداخلية، فقد التفت إلى ما يجمع مظاهر الإحالة المشار إليها، وهو عدم وجود لفظ مذكور صراحة(عنصر إشاري لغوي) يشترك مع العناصر الإحالية في الإحالة، بما في ذلك ما يماثل عود الضمير على مصدر فعل سابق، وذكر في هذا السياق أن ضمائر التكلم والخطاب تحيل بطبيعة الحال على مراجعها مباشرة بغير توسط مرجع لغوي يشاركها في الإحالة[2].

الإحالة الداخلية

تقوم بنية الإحالة الداخلية على العناصر الإشارية اللغوية والعناصر الإحالية " فالمشار إليه لازم الورود (سابقاً أو لاحقاً) ليجيز وجود المحيل، ويشكلان معاً بنية الإحالة التي تقابل بينهما بصورة ظاهرة أو ضمنية، يتأسس عليها ترابط النص وتماسكه وانسجامه"[3].

وتقسم الإحالات الداخلية- باعتبار تقدم العنصر الإحالي على مفسره أو تأخره عنه إلى إحالة قبلية وإحالة بعدية. والإحالة القبلية أكثر أنواع الإحالة الداخلية وروداً، "ومع ذلك لا تعد

([1])الزمر: ٦٨-٦٩.

([2]) انظر:النص والخطاب و الإجراء، ص: ٣٣٢- ٣٣٩.

([3]) دراسات لغوية تطبيقية، ص: ٨٥ .

© Arabic Digital Library Yarmouk University

هذه الرتبة إجبارية فربما استعمل صاحب النص عكس تلك الرتبة ليوجد عجزا في المعلومات كالعجز الذي يستدعيه ذكر أشياء جديدة بصيغة التعريف[1].

الأصل إذن أن يرد المرجع اللغوي أولاً ، ثم تتم الإحالة عليه بمضمرات(ضمائر أسماء إشارة) اختصاراً وتجنباً لتكراره، أو بإعادة لفظه لفوائد بلاغية أو بألفاظ أخرى(مفردة، أو مركبة كالموصول مع الصلة) تتوفر على سمات دلالية يتطلبها السياق" فرجوع اللفظ الكنائي[الإحالي] إلى متقدم عليه يهيئ مركز ضبط، تضاف إليه المادة المتعلقة باللفظ الكنائي، ومن الأكثر صعوبة أن نتصور كيف يمكن التصرف بالنسبة للعود إلى متأخر عندئذ يتحتم للفظ الكنائي أن يركم حتى تأتي العبارة المشاركة له في الإحالة"[2].

وقد أنكر محمد الشاوش الإحالة البعدية واستدل بأمور منها: ضيق النحاة العرب بعود الضمير على متأخر واشتراط تقدم مفسره في اللفظ أو الرتبة. ولا يتسع المقام لعرض وجهة نظره في الإحالة البعدية، فقد أفرد لها في كتابه(أصول تحليل الخطاب) باباً مستقلاً ناقش فيه معظم الوجوه المفضية إلى القول بالإحالة البعدية، وذهب إلى بطلانها وجهاً وجهاً[3]، غير أن الباحث يرى ضرورة القول بالإحالة البعدية لعدة أمور، منها: أن تأخر العنصر الإشاري عن العنصر الإحالي- وإن كان مقدماً في الرتبة- يجعل تأويل العنصر الإحالي متوقفاً على لاحق.

ويعتقد الباحث أن قول علماء لغة النص بالإحالة البعدية كان بناء على أن الإحالة داخل النص تجبر المتلقي- لا المرسل- على الرجوع إلى سابق لتأويل عنصر إحالي ما، أو الانتظار لتأويل عنصر إحالي آخر، و هذا كافٍ للقول بالإحالة البعدية. أما إذا قصرنا الأمر

([1]) النص والخطاب والإجراء، ص:٣٢٢.

- يمكن المقارنة بين كلام بوجراند وما نجده عند السيوطي من مقاربة، عرضتها الدراسة في الفصل الأول، وتحديدا عند حديثه عن أن الأصل تقدم المفس، مع الإشارة إلى إمكان تأخره .

([2]) المرجع السابق، ص: ٣٢٧.

([3])أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، ٢/ ١٢١٣- ١٢٥٩.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

على المرسل فمن الطبيعي أن نرفض القول بالإحالة البعدية، لأن المرجع يكون في ذهنه قبل الإضمار وقبل استخدام العنصر الإحالي.

ومما يمكن أن يُستدَلَّ به على ما ذهب إليه الباحث، ما يقوله محمد الشاوش نفسه؛ فهو يرى أن الإحالة هي" قدرة الوحدة اللفظية على أن ترجع المتخاطبين(المتكلم والمخاطب) إلى شيء موجود في الواقع"[1]؛ لذا يعتقد الباحث أن العنصر الإحالي في الإحالة البعدية، ليس له القدرة على أن يرجع المخاطب إلى شيء في الواقع، إلا بواسطة عنصر إشاري متأخر يشاركه في الإحالة.

وثمة مسألة أخرى تتصل بالمرسل وبنية النص والمتلقي، فقد يقصد المرسل أن يضع في بنية نصه عنصراً إشارياً ليكون مفسراً لعناصر إحالية سابقة عليه، وهنا تكون الإحالة بعدية، وعناصر إحالية لاحقة، فتكون الإحالة قبلية، وربما أشار النص صراحةً إلى أن على المتلقي أن يعود إلى الوراء، أو أن ينتظر اللاحق لتأويل عنصر إحالي، فيكون شكل البنية الإحالية جزءا من استراتيجية الخطاب؛ ففي قوله تعالى:(**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**)[2] لا يتأتى تأويل لفظ تجارة في الآية السابقة إلا بانتظار اللاحق، ولا يتأتى تأويل العنصر الإحالي(**ذلكم**) إلا بالرجوع إلى سابق، والعنصر الإشاري المقطعي،(**تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ**) يفسر العنصرين الإحاليين: لفظ (**تجارة**)– وإحالته بعدية– واسم الإشارة(**ذَلِكُمْ**) وإحالته قبلية.

([1]) المرجع السابق، ص: ٩٥٩.

([2]) الصف: ١٠-١١.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وقد أشارت الدراسة فيما سبق من هذا الفصل إلى أن الإحالة الداخلية تقسم من حيث المدى الإحالي إلى: إحالة ذات مدى قريب وإحالة ذات مدى بعيد. وللمدى الإحالي مظاهر متعددة؛ فقد يتجاور العنصر الإحالي مع العنصر الإشاري المفسر له، كـأن يكون العنصر الإحالي نعتا للعنصر الإشاري كما في قوله تعالى:(**وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ**)[1]، أو يكون العنصر الإشاري خبرا عن العنصر الإحالي كما في قوله تعالى: (**قَالَ هَؤُلاء بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ**)[2]، وقد يكون العنصر الإحالي نعتا للعنصر الإشاري كما في قوله تعالى:(**فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ**)[3].

وقد يكون بين العنصر الإحالي و مفسره فاصل، وتختلف المسافة الفاصلة بينهما، فقد يكونان في جملة واحدة أو آية واحدة، وقد يكون كل منهما في آية، وربما كان العنصر الإحالي في سورة ومفسره في سورة أخرى.

وستقيم الدراسة هذا التقسيم بسبب طبيعة النص القرآني اعتماداً على كون الإحالة في حدود آية واحدة يجتمع فيها العنصر الإحالي والعنصر الإشاري المحال عليه، فتكون الإحالة ذات مدى قريب، أما إذا كان العنصر الإشاري في آية والعنصر الإحالي في آية أخرى فإن الإحالة تكون ذات مدى بعيد[4].

ويمكن القول إن الإحالة ذات المدى الإحالي البعيد قد تؤدي إلى تحقيق تماسك النص بشكل جلي؛ وذلك عندما يكون المرجع موضوعا مركزيا أو جوهريا، و ينتقل النص من

([1]) البقرة: ٣٥.

([2]) الحجر: ٧١.

([3]) الكهف: ١٩.

([4]) يمكن- مثلا- أن نتعامل مع الشعر الخليلي باتخاذ البيت أصغر وحدة ، وفي الشعر الحديث المقطع الشعري ، والبيت في الموشح ، وما يتناسب مع طبيعة النصوص المدروسة، ويمكن اعتبار الجملة أصغر وحدة إذا كانت الدراسات التي تعرض للإحالة تركز على الجانب النحوي .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الحديث عن الموضوع المركزي إلى موضوع آخر استطرادا، أو لوجود معادل موضوعي للموضوع الأساسي؛ وعندما تتم الإحالة على الموضوع الأول الذي يمكن عده موضوع الخطاب، فإن هذه الإحالة تعيد المتلقي إلى نقطة هامة في النص، وتجلي مقاصده، وغالبا ما يلاحظ المتلقي ذلك، أما ما يتصل بعدم قدرته- أحيانا- على الربط فهذا يرتبط بتفاوت قدرات المتلقين، وظروف التلقي.

ويمكن التمثيل على سبق بإحالة الضمير المتصل(ـــه) في قوله تعالى:(وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ)[1]؛ فهو يحيل على العنصر الإشاري الكتاب في قوله تعالى: (تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ)[2]، ولا يعني ذلك أن هذه الإحالة تجبر المتلقي على أن يفتش عن المرجع في المسافة الطويلة الفاصلة بين العنصر الإحالي في نهاية السورة ومرجعه في بدايتها بحثا عما يفسر به العنصر الإحالي؛ ولكنه قادر في كثير من الأحيان على أن يتذكر ما افتتح به النص.

وقد تؤدى الإحالة ذات المدى البعيد إلى اضطراب النص لعدم قدرة المتلقي على انتقاء المرجع الذي يفسر به العنصر الإحالي، حيث يكون في ذهن المتلقي غير عنصر إشاري يصلح أن يكون مرجعا للضمير؛ يقول بوجراند:" من الصعب أن تحافظ على الترابط بين عناصر إما متباعدة وإما غير مؤكدة الهوية بسبب بدائل الهويات المرشحة لها"[3].وقد يكون الغموض الذي تحدثه مثل هذه الإحالات مقصودا، إما للإبهام أو لتتعدد الدلالات. وستعرض الدراسة لهذه المسألة فيما يأتي من هذا الفصل، وتحديدا فيما أسماه الباحث الإحالة على متعدد.

أشارت الدراسة فيما سبق من هذا الفصل إلى أن هاليدي ورقية حسن أشارا إلى نوع خاص من الإحالة الداخلية، وهو الإحالة الممتدة **Extended reference** وأشارت إلى ما

([1]) الشعراء: ٢١٠.

([2]) الشعراء: ٢.

([3]) النص والخطاب والإجراء، ص: ٣٢٨.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

ذكره الزناد من أن الإحالة الداخلية تقسم إلى إحالات معجمية و إحالات مقطعية؛ أما الإحالات المعجمية فهي تلك الإحالات التي يكون فيها مرجع العنصر الإحالي، لفظا دالا على ذات أو مفهوم، كإحالة الضمير المتصل(ها) في قوله تعالى:(يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا)[1]؛ فهو يحيل على عنصر إشاري معجمي، وهو لفظ(الساعة).

أما الإحالات المقطعية(الممتدة) فهي الإحالات التي يكون المحال عليه فيها عنصرا إشاريا مقطعيا، ومنها إحالة اسم الإشارة(ذلك) في قوله تعالى:(ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُواْ إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنْ اللّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَآؤُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاء بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ)[2]، فاسم الإشارة (ذلك) يحيل على مقطع ، يتمثل بكل ما سبقه في الآية.

وقد عرف هاليدي ورقية حسن الإحالة الممتدة بأنها الإحالات التي تختلف عن الإحالات الأخرى، في امتداد المحال عليه **The referent**، فهو عملية أو تعاقب من العمليات، ونحويا هو جملة أو مجموعة من الجمل[3]. ويمكن أن يُمثّل على ما سبق من خلال الآية السابقة، بأن العمليات (الأحداث) هي:

- (ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُواْ إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنْ اللّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ) .
- (بَآؤُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ).
- (وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ).

([1]) النازعات: ٤٢.

([2]) آل عمران: ١١٢ .

([3]) Cohesion in English p.52.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

ثالثا: تصنيف عبد المهدي الجراح للإحالة:عرض ونقد

يـرى الجراح أن الإحالة يمكن أن تصنف بحسب دلالتها وفعاليتها في الربط. وقد صنفها بناء على ذلك إلى:

- .إحالات سببية.
- إحالات تجريدية .
- إحالات إسنادية .
- إحالات الحذف .
- إحالات ارتكازية(تشبيكية) .
- إحالات تماثلية .
- إحالات تخالفية[1].

يبدو أن الجراح قد التفت عند تصنيفه السابق إلى مسائل متعددة، بعضها يتصل بدور الإحالة في الربط، ويخدم فكرته القائمة على محاولة وصف الكيفية التي تسهم الإحالة بها في تحقيق التماسك النصي، وبعضها يتصل بمسائل أخرى بدت للباحث غير ذات صلة بما يريد أن يشير إليه؛ فهو لم يتحدث- مثلا- عند حديثه عن الإحالة التخالفية عن دورها في التماسك النصـــي، إنمـــا جعلها مظهرا مقابلا لما أسماه الإحالة التماثلية. و لا ينبغي أن تدرس بعض المسائل التي التفت لها الجراح في إطار الروابط الإحالية؛ وستعرض الدراسة لعدد من مسائل الإحالة من خلال مناقشة الأقسام السابقة.

([1]) الخطاب وأثره في بناء نحو النص، ص: ٩٢- ٩٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

١.الإحالة السببية

ذكـــر الجراح أنه يقصد بالإحالة السببية الإحالة التي تكون فيها العلاقة بين المحيل والمحال إليه سببية تلازمية، ومثل عليها بقول امرئ القيس:

ويوم دخلت الحجر حجر عنيزة فقالت لك الويلات إنك مرجلي[1].

وذكـــر أن العلاقة بين المحيل والمحال إليه علاقة سببية؛ لأن الضمير المستكن خلف التاء في الفعل(فقالت) وهو(هي) يمثل إحالة إلى عنيزة، وهي سبب دخول المرسل إلى الخدر[2].

ويخالفه الباحث فيما ذهب إليه؛ فالمحيل في البيت السابق هو الضمير(هي) والمحال عليه هو لفظ(عنيزة)، فأين هي العلاقة السببية بين الضمير ومرجعه؟ إن العلاقة السببية في البيت السابق ليست في إطار البنية الإحالية، وإنما تتأتى من رابط تركيبي هو حرف العطف(الفاء) في(فقالت)، وهو يتوفر على معنى السببية مع دلالته على الترتيب؛ وهذا النوع من الربط يدخل ضمن الروابط التركيبية.

وقد ورد استخدام مشابه لمصطلح الإحالات السببية عند الدكتور سعيد البحيري حيث يقول معقباً على قوله تعالى:(**ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ**)[3]: فالإحالة هنا نتيجة لفعله الموضح في الآيات السابقة، ونكتفي بهذه الصورة من البنية الإحالية التعليلية أو السببية"[4].

إن السببية في الآية السابقة تتأتى من حرف الجر(الباء) في(**بما قدمت يداك**) والجار والمجرور السابقين إخبار عن العنصر الإحالي(**ذلك**)؛ ومن الطبيعي أن يكون محمول العنصر الإحالي محمولاً لمرجعه، سواء أكان هذا المحمول سبباً لحدوث المرجع الإحالي، أم كان شيئاً

([1]) شرح المعلقات العشر،الخطيب التبريزي، تحقيق فخر الدين قباوة، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١٩٩٧،١،ص: ٣٩.

([2])الخطاب وأثره في بناء نحو النص،عبد المهدي الجراح، ص: ٩٢.

([3]) الحج: ١٠.

([4]) دراسات لغوية تطبيقية، سعيد البحيري، ص: ١٤٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

آخر . وإذا قبلنا بما أسماه الجراح إحالات سببية، وما أشار إليه البحيري من بنية إحالية سببية أو تعليلية، قسماً من أقسام الإحالة، فإن هذا يستدعي تقسيم الإحالة، اعتماداً على طبيعة المحمول الذي تتوفر عليه التراكيب اللغوية التي يرد العنصر الإحالي فيها.

وثمة مظهر من مظاهر الإحالة يمكن أن يطلق عليه الإحالة السببية؛ يرتبط بما أشار له السيوطي، في معرض حديثه عن فوائد وضع الظاهر موضع المضمر، فقد ذكر أن من فوائده " التنبيه على علِّيَة الحكم؛ نحو:(**فبدل الذين ظلموا**)[1]، وقوله تعالى: **(فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا)**[2]، و قوله تعالى :**(فإن الله عدوّ للكافرين)**[3]. ولم يقل: لهم، إعلاما بأن من عادى هؤلاء فهو كافر، وإن الله إنما عاداه لكفره"[4]، فالصيغة المستخدمة للإحالة هي نفسها تتوفر على ما يبين السبب، و يمكن أن تعد النتيجة المرتبطة بالمرجع ضمن إطار البنية الإحالية؛ لأنها صارت جزءا من تصور المتلقي للمرجع قبل الإحالة.

نجد ما يشبه التصدي السابق للإحالة عند الدكتور تمام حسان، فهو يقول في معرض حديثه عن أسماء الإشارة:" أما إذا اتصلت بها الكاف فإنها تشير إلى المشبه به، ومن ثم يمكن دعوى أنها على معنى التشبيه، كما في قوله تعالى[5]: **(أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ)**[6].فإذا كان الجراح قد التفت إلى معنى السببية المتأتي من حرف العطف(**الفاء**) في(**فقالت**) والتفت البحيري إلى معنى السببية المتأتي من حرف الجر(**الباء**) في(**ذلك بما**)، فإن

([1]) البقرة: ٥٩.

([2]) البقرة: ٥٩.

([3]) البقرة: ٩٨.

([4]) معترك الأقران في إعجاز القرآن، ٣٦٤/١.

([5]) البيان في روائع القرآن، ٢/ ٢٢.

([6]) الأنعام : ١٢٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تمام حسان قد التفت إلى معنى التشبيه المتأتي من حرف الجر(**الكاف**)، ولا ينبغي إسقاط معاني الحروف المتصلة أو المجاورة لعناصر إحالية عليها.

و ذهب تمام حسان إلى أن أسماء الإشارة تكون" أحياناً على معنى الظرفية؛ وذلك إذا أضيفت إلى كلمة تحمل معنى الظرفية كعند وقبل [...] كما في قوله تعالى:

- **(إنما تقضي هذه الحياة الدنيا)** [1] أي أثناء هذه الحياة.
- **(فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم)**[2] أي بعد هذه اللحظة الحاضرة.
- **(يا ليتني مت قبل هذا)**[3] أي في ظرف سابق .
- **(فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا)**[4] أي بعد هذا العام الحاضر. إذ يكون لفظا(سابق، حاضر) ترجمةً لمعنى الإشارة المذكورة"[5].

إن العناصر الإحالية أياً كان نوعها" من حيث المحتوى في الاستعمال مأخوذة من العبارات التي تشترك معها في الإحالة "[6]، أو مما تحيل عليه في الإحالة الخارجية، ويشترك المحيل والمحال عليه في الإحالة على أحداث أو أزمنة أو أشخاص أو مفاهيم أو غير ذلك.

و تجدر الإشارة إلى أن الزمن الذي يدل عليه هنا اسم الإشارة زمن إحالي[7] يشترك مع زمن المحال عليه(مرجع أسماء الإشارة اللغوي)، وهذا الزمن يتعدد، يأتي ماضيا وحاضرا

([1]) طه : ٧٢.

([2]) البقرة : ١٧٢ .

([3]) مريم : ٢٣ .

([4]) التوبة : ٢٨ .

([5]) البيان في روائع القرآن ، تمام حسان،ج٢/٢١

([6]) النص والخطاب والإجراء، بوجراند، ص: ٣٢١.

([7]) الزمن نوعان إشاري وهو الزمن الذي يرد في النص لأول مرة، وإحالي وهو الزمن الذي يشترك مع زمن سابق(زمن إشاري).

انظر: نسيج النص، الأزهر الزناد، ص: ٨٩-٩٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومستقبلا، تبعا لزمن المحال عليه، ويتحدد زمن المضاف لاسم الإشارة تبعا للظرف المستخدم (قبل ذلك ، عند ذلك ، بعد ذلك ....) والزمن الذي يدل عليه اسم الإشارة في العبارات الثلاثة واحد إذا افترضنا أن المشار إليه واحد، فكيف تكون أسماء الإشارة نفسها مقابلة للفظي (سابق، و حاضر)؟.

٢.الإحالة الإسنادية

أشار الجراح إلى أن بعض الإحالات يمكن أن يطلق عليها مصطلح الإحالة الإسنادية، وذكر أن" هذا النوع من الإحالة يقوم بوظيفتين: الأولى إسنادية والثانية إحالية، فتأتي الإحالة ضمن إطار عملية إسنادية متكاملة [...] ومن ذلك قول الحارث بن حلزة اليشكري:

وهو الرب والشهيد على يو م الحيارين والبلاء بلاء [1]

أما الوظيفة الإسنادية التي يؤديها العنصر الإحالي وهو هنا الضمير المنفصل(هو) فتؤكد رغبة المرسل في إثبات بعض الصفات الحسية والمعنوية للمنذر[...]، وأما الوظيفة الإحالية فتكمن في إحالته إلى المنذر"[2].

ولم تكن مسألة الإسناد غائبة عمن تصدى للإحالة، فمثلا يقترب ما ذكره الجراح من رغبة المرسل في إثبات بعض الصفات للمنذر مما يقوله سعيد البحيري:" تحتل الأفعال المستندة إلى ضمير الإحالة(ضمير الجمع الدال على الذات الإلهية)، دلالات ينسبها الخالق لنفسه في صيغة مؤكدة ترد المتشككين؛ وقد وردت في هذه الأبنية:

إنا + أرسلنا + أعتدنا + أعطينا ... "[3].

([1]) شرح المعلقات العشر، ص: ٣٠٨.

([2]) الخطاب وأثره في بناء نحو النص، ص: ٩٤.

([3]) دراسات لغوية تطبيقية، ص: ٩٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وذكر بوجراند أن" رجوع اللفـظ الكنائي [الإحالي] إلى متقدم عليه يهيئ مركز ضبط، تضاف إليه المادة المتعلقة باللفظ الكنائي"[1]، وذكرت الدراسة في الفصل الأول أن السيوطي فرق بين نوعين من أنواع مرجع الضمير على أساس العلاقة بين الضمير ومرجعه، يرتبط الضمير في أحد هذين القسمين ارتباطا شكليا، ويرتبط الضمير في القسم الثاني ارتباطا إسناديا.

ويجب أن تختلف النظرة إلى الإسناد من منظور نحو النص، عن المفهوم النحوي له،وقد ذهب إلى مثل ذلك إبراهيم الفقي حيث يقول:" وإذا كانت علاقة الإسناد في النحو العربي قد جعلت من الجملة الوحدة الكبرى التي تحتوي المسند والمسند إليه، فإننا هنا نوسع دائرة الإسناد لتشمل السورة بصفتها الوحدة الكبرى، فالمسند إليه في هذه السورة [الفاتحة] هو الله – تعالى– والمسند هنا متعدد كما ذكرنا [وهو] الألوهية والعبودية وملك يوم الدين؛ يوم البعث والجزاء، والعبودية والاستعانة وحق الهداية والضلال ...الخ " [2].

يمكن أن تعرف الإحالات الإسنادية بأنها الإحالات التي يرد العنصر الإشاري اللغوي أو العنصر الإحالي فيها مكونا من مكونات جمل تتوفر على معلومات متعلقة بالمرجع، بحيث تكون صورته في سياق كل إحالة مختلفة عنها في سياق إحالة أخرى، وهي مرتبطة بتراكم المعلومات المقدمة عن هذا المرجع. وهذا– كما يرى الباحث– مدخل الإعلامية التي تعد عند بوجراند من معايير النصية[3].

وليس من مقاصد الدراسة في هذا السياق الحديث عن مفهوم الإسناد؛ إنما بيان طبيعة العلاقة بين العنصر الإحالي ومرجعه– أيا كان المعنى النحوي لهما؛ فمتى كان المرجع موضوعا

([1]) النص والخطاب والإجراء، ص: ٣٢٧.

([2]) علم اللغة النصي: ١/ ١٧٥– ١٧٦.

([3]) النص والخطاب والإجراء، ص: ١٠٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

من موضوعات النص، وتوفر التركيب المتضمن للعنصر الإحالي على معلومات متعلقة بهذا المرجع كانت الإحالة إسنادية، وكان المرجع مسندا إليه على مستوى النص، وكان العنصر الإحالي مسندا إليه على مستوى الجملة المتضمنة له.

إن المسند إليه من المنظور المشار إليه في قوله تعالى:(**وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ**)[1]، هو الضمير المتصل (**ها**) في(**فيها**)؛ فهو يحيل على لفظ(**الأنعام**) في قوله تعالى:(**وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ**)[2]، وهذه الآية تحدثت عن الأنعام بوصفها نعمة من نعم الله على الإنسان، و يرى الباحث أن توالي الإحالات عليها يجعلها موضوع الخطاب إلى أن تتوقف الإحالات عليها، وتتوالى على موضوع آخر، وقد تمت الإحالة عليها غير مرة. ويتمثل الإسناد لهذا المرجع(الأنعام) [3] بالتراكيب التي تضمنت ما يحيل عليه؛ سواء في ذلك العنصر الإشاري (**الأنعام**)، والضمير المتصل (**ها**)، والتراكيب التي تتوفر على معلومات تتعلق بهذا المرجع، هي :

- **وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا.**
- **لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ.**
- **وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ .**
- **وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ.**

يعتقد الباحث أن الإسناد بالمفهوم المشار إليه هو أبرز مظاهر التماسك بين مكونات النص، سواء أكانت هذه المكونات في حدود جملة، أم متجاوزة لحدودها؛ ولعل هذا ما يفسر أن نحاتنا

([1]) النحل: ٦.

([2]) النحل: ٥.

([3]) لم يميز الباحث كلمة الأنعام هنا إشارة إلى أن المقصود هو الأنعام بوصفها شيئا غير لغوي، بينما تم استخدام الحبر الثقيل مع الألفاظ المقتبسة من النص القرآني.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

اشترطوا وجود رابط يربط الخبر الجملة بما هي خبر عنه، أو الجملة الواقعة نعتا أو حالا، والرابط في الغالب يكون رابطا إحاليا كالضمير أو اسم الإشارة أو الموصول أو بإعادة الذكر، وقد يكون رابطا تركيبيا كواو الحال. وقد يتضافر الرابط التركيبي(الواو) مع الرابط الإحالي(الضمير) في ربط جملة الحال بصاحب الحال.

٣. إحالة الحذف

قصد الجراح بإحالة الحذف تلك الإحالة التي يكون فيها العنصر الإحالي محذوفا، وأشار إلى أن بوجراند سماها الإحالة لغير مذكور، ووصف كلامه بأنه على درجة كبيرة من التعميم[1].

ويبدو أن الجراح قد وقع في فهم خاطئ لما يقوله بوجراند ، فإحالة الحذف كما يعرضها الجراح هي الإحالة التي يكون فيها العنصر الإحالي محذوفاً، ويحيل على مذكور سابق، أما ما أسماه بوجراند الإحالة لغير مذكور**Exophoric Reference** فقد عرض فيه لمظاهر الإحالة التي لا يكون في النص عنصر إشاري يشترك مع العنصر الإحالي في الإحالة؛ وقد أشارت الدراسة فيما سبق من هذا الفصل أن الإحالة لغير مذكور هي الإحالة الخارجية، إلا أن بوجراند ضمنها ما يمكن عده من باب الإحالة الداخلية، وأيا كان الأمر فليس فيما عرضه بوجراند ما له صلة بما أسماه الجراح إحالة الحذف؛ لأن العنصر الإحالي فيها لا يكون محذوفا[2].

وتقوم بنية إحالة الحذف- كما يعرضها الجراح- على عنصر إشاري لغوي يحكم عنصراً إحالياً محذوفاً، ويمكن التمثيل عليها بقوله تعالى:(**أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ**)[3]، فالعنصر الإحالي المحذوف(هو، أو هذا) يحيل على مذكور

([1]) انظر: الخطاب وأثره في بناء نحو النص، ص: ٩٣.

([2])النص والخطاب و الإجراء، ص: ٣٣٢- ٣٣٩.

([3]) الدخان : ١٣-١٤ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

سابق، وهو العنصر الإشاري اللغوي(رسول)، ويرى الباحث أن هذا النوع من الإحالة نقيض الإحالة لغير مذكور؛ لأن الأخيرة تقوم على عنصر إشاري غير لغوي يفسر عنصرا إحاليا مذكوراً، كالإحالة التي نجدها في قوله تعالى: (عَمَّ يَتَسَاءلُونَ)[1]؛ فضمير الغائب(واو الجماعة) يحيل على ما هو غير مذكور، ويربط النص بالمقام مباشرة بغير توسط عناصر إشارية لغوية.

٤. الإحالة التجريدية

ذكر الجراح أنه يقصد بالإحالة التجريدية " أن يحيل العنصر الإحالي إلى شيء أو ماهية تستند عليها البنية النصية؛ فالشاعر الجاهلي كان يستند كثيراً إلى تجريد شخص أو أكثر ليحدثه [...] والشواهد على ذلك كثيرة، منها قول امرئ القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل [2].

فالملفوظ (قفا) يحيل إلى متصور ذهني يصعب الوصول إليه من خلال النص ؛ لذا فإن الملفوظ يتضمن الإحالة إلى رفقة جردها الشاعر "[3].

يعتقد الباحث أن لما أسماه الجراح الإحالة التجريدية مظاهر متعددة في الشعر العربي- قديمه وحديثه- كالعاذلة التي كان يخاطبها الشاعر- أو المرأة التي يخاطبها الشاعر الحديث لتكون رمزا، أو ليعبر من خلالها عن هموم تتجاوز الهم الفردي، وربما كان الشاعر يخاطب الأب أو الأم. وكل هذا يحسبه الباحث تجريدا يستند عليه الشاعر لبناء نصه.

ولعل سياق الحديث عن الإحالة التجريدية يستدعي الحديث عن الإحالات التي لا تتوفر على مرجع غير لغوي (خارج) موجود فعلاً، سواء في ذلك العناصر الإحالية أو العناصر الإشارية

([1]) النبأ : ١.

([2])شرح المعلقات العشر،الخطيب التبريزي ، ص: ٢٣.

([3]) الخطاب وأثره في بناء نحو النص، ص: ٩٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

اللغوية- التي يقدمها المرسل أو النص على افتراض صدق وجود مرجع، وتحظى من قبل المتلقي- شاكاً أو مكذباً- بالمقبولية التي تعد من معايير النصية، كالأشياء التي تتم الإحالة عليها في الحكايات الشعبية.

و ينبغي أن يلتفت إلى هذا النوع من الإحالة في الدراسات التطبيقية التي تتخذ من الإحالة أداة من أدوات التحليل؛ لأن كثيرا من النصوص الأدبية يستند بناؤها إلى ماهية يجردها منشئو هذه النصوص، ولعل نصوصا غير أدبية تُنشأ في مواقف معينة وظروف خاصة تستند إلى التجريد، كأن يجرد شخص ما ذاتا يخاطبها ليُعَرِّض بآخر،أو ليبدي انزعاجه من أمر ما، أو غير ذلك، ويتشابه مثل هذه النصوص مع المثال الذي ذكره الجراح في أن منشئ النص يخاطب ذاتا يجردها لبناء نصه، ولكن المخاطب الحقيقي والمتلقي الضمني موجود في ذهن المرسل، فما الرفقة التي جردها امرؤ القيس إلا تقليد فني.

ولعل سياق الحديث عن الإحالة التجريدية يستدعي- أيضا- الحديث عن مسألة الصدق أو الكذب في الإحالة. ومن الإحالات التي يمكن أن ننفي عنها صفة الصدق، إحالة لفظ **(الذئب)** في قوله تعالى على لسان أخوة يوسف عليه السلام: **(فأكله الذئب)**[1] ،و**(إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل)**[2]. فليس ثمة ذئب ولم يسرق أخ له من قبل، على أن نلتفت إلى أن مسألة الصدق، ليست تماما على النحو الذي سبق، إنما ترتبط- غالبا- بمدى تطابق مدلول الصيغة المستخدمة مع مفهوم المحال عليه، و يرى يول وبراون أن المهم هو أن تكون الإحالة صالحة للتعرف، لا أن تكون صادقة[3].

([1]) يوسف: ١٧.

([2]) يوسف: ٧٧.

([3])تحليل الخطاب، يول وبراون، ص: ٣٢٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

و تجدر الإشارة إلى أن النص القرآني يحيل على ذوات كـ(الملائكة والرسل...الخ)، وعلى أحداث بعضها يرتبط بالبعثة، ومواقف المكذبين والمنافقين وأقواله، وغزوات الرسول- صلى الله عليه وسلم- وبعض هذه الأحداث عاينها المخاطبون، وبعضها من قبيل إخبار الله عز وجل لنبيه، و تحيل سور القرآن العظيم وآياته على مواقف يخاطب بها اليهود كالإحالات على مواقف بني إسرائيل مثل اتخاذهم العجل، وعلى أزمنة وأحداث مستقبلية كيوم القيامة، و علو بني إسرائيل مرتين، ومشاهد يوم القيامة. ومسالة التصديق بها من أهم مقاصد النص القرآني،فالإيمان بالله وملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر، من أركان الإيمان، لا تجتمع صفة الإيمان ونكران أي منها في أحد.

و قد ورد بعض هذه الإحالات في سياق تثبيت النبي- صلى الله عليه وسلم- ومن معه، وتأكيد وحدة دعوة الأنبياء، وفضح نوايا المنافقين والتعريض بالمشركين وغير ذلك. وغاية الأمر أن النص القرآني يحيل على أشياء، يعرفها المخاطبون بخبراتهم، ومعايشتهم للأحداث المحال عليها، أو تكون وردت في كتبهم- إن كانوا أهل كتاب- وأشياء ترد من باب الإخبار عن الغيبيات وقصص الأنبياء والأمم السابقة، وليس في النص القرآني إحالات تجريدية.

٥.الإحالة الارتكازية أو التشبيكية

عرف الجراح ما أسماه الإحالة الارتكازية بقوله:" ويقصد بالإحالة الارتكازية ذلك الضرب الذي يتمتع بخصيصة الامتداد الأفقي في النصوص، بحيث يذكر العنصر الإحالي في نقطة ما

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

داخل النص، ليحيل إلى المحال إليه، والذي غالبا ما يكون بعد مجموعة من التراكيب"[1]. وقد مثل عليه بقول عمرو بن كلثوم[2]:

ألا هبـــي بصحنك فاصبحينـا ولا تبقي خمور الأندرينـــا [3].

مشعشعة كأن الحـص فيـــها إذا ما الماء خالطها سخينـــا[4].

تجور بذي اللبانة عن هـــواه إذا مـــا ذاقـــهـا حتـــى يلينـــا[5].

تـــرى اللحز الشحيح إذا أمرّت عليـــه لمـــا له فيـــها مهينـــا[6].

صددت الكأس عنا أم عمـــروٍ وكان الكأس مجراها اليمينـــا[7].

وما شرّ الثلاثـــة أم عمـــــروٍ بصاحبك الـــذي لا تصحـــبينـــا[8].

وقد علق على هذه الأبيات بقوله:" إن العنصر الإحالي في قوله(هبي) هو ضمير المخاطب المؤنث وهو كما نرى في هذه الأبيات يعود أو يحيل إلى أم عمرو في البيت الخامس. وهذا يمثل نقطة الارتكاز للشاعر، ومن ثم فإنه يغطي بالربط المتكامل جميع تراكيب الأبيات. والذي يلحظ أن العنصر الإحالي يحيل إلى محال إليه والمحال إليه نفسه يصبح عنصراً إحالياً، يحيل إلى محال إليه آخر". [9] و مثل عليه- أيضا- "[10] بإحالة الضمير(هن) في قول امرئ القيس:

([1]) الخطاب وأثره في بناء نحو النص، عبد المهدي الجراح، ص: ٩٧.

([2])المرجع السابق، ص: ٩٧- ٩٨.

([3])شرح المعلقات العشر،الخطيب التبريزي ، ص: ٢٥٢.

([4]) المرجع السابق، ص: ٢٥٣.

([5]) المرجع السابق، ص: ٢٥٤.

([6]) المرجع السابق، ص: ٢٥٤.

([7]) المرجع السابق، ص: ٢٥٤.

([8]) المرجع السابق، ص: ٢٥٥.

([9]) الخطاب وأثره في بناء نحو النص، ص: ٩٨.

([10])المرجع السابق، ص: ١٨٩- ١٩٠.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

ألا رب يوم لك منهن صالح ولا سيما يوم بدارة جلجل[1].

وعلق عليه بقوله:" فضمير النسوة(هنّ) في(منهن) هو إحالة إلى النسوة في الأبيات التالية للبيت الذي يشتمل عليه الضمير ويكون الامتداد الإحالي قد غطى تسعة أبيات كاملة بتراكيبها، فهو يحيل إلى العذارى و عنيزة والحبلى والمرضع"[2].

ويرى الباحث أن البنية الإحالية في المثال الثاني تختلف عما نجده في المثال الأول(أبيات معلقة عمرو بن كلثوم)، فالضمير(هنّ) يحيل على متعدد، بينما تشترك الضمائر في معلقة عمرو بن كلثوم مع العنصر الإشاري(أم عمرو) في الإحالة على شيء واحد، ويرى الباحث أن إحالة الضمائر في أبيات معلقة عمرو بن كلثوم السابقة إحالات مقامية(خارجية)؛ لأنها مؤداة بضمير المخاطبة، ولا يعني وجود لفظ يشترك معها في الإحالة أنها تحيل عليه أو يحيل عليها، و أغلب الإحالات الداخلية تقوم بنيتها على عنصر إشاري لغوي، وعدد من العناصر الإحالية المتعلقة به.

٦. الإحالات التماثلية:

أما ما أسماه الجراح بالإحالات التماثلية فقد قصد به " تغذية المحال عليه بمجموعة من العناصر الإحالية المتشابهة، فتجتمع هذه العناصر وتتآزر لتحيل على ماهية واحدة ".[3] وهذا النوع يتصل بأمرين: الأول ما يسمى بالإحالة المشتركة **Co-Reference** بين مجموعة من

([1])شرح المعلقات العشر، ص: ٣٤.

([2]) الخطاب وأثره في بناء نحو النص، ص: ١٩٠.

([3]) الخطاب وأثره في بناء نحو النص، ص: ٩٩ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

العناصر الإحالية داخل النص، والثاني ما يسمى بالمجموعة الإحالية،فالعنصر الإشاري اللغوي يشكل مع العناصر الإحالية المتعلقة به مجموعة إحالية[1].

و ينبغي أن ينظر لمفهوم الإحالة التماثلية في حدود البنية الإحالية المكونة من العنصر الإحالي ومرجعه، لا على مستوى النص، فتكون العلاقة بين المحيل ومرجعه علاقة تماثل دلالي أو إحالي، أما إذا نظر للمسألة على مستوى النص فمن الممكن استخدام مصطلح الامتداد الإحالي، وقد ورد هذا المصطلح عند الجراح في غير هذا الموضع[2]؛ غير أن المقصود هنا الامتداد الإحالي لعنصر إشاري ما من خلال وجود عناصر إحالية تشاركه في الإحالة.

ويشار دائما إلى أن الإحالة تخضع للقيد الدلالي(وجوب تطابق السمات الدلالية)، وقد أشار الباحث في الفصل الأول أن العلاقة قد تكون علاقة اجتزاء، فلا يتطابق العنصر الإحالي مع مرجعه. وستعرض الدراسة لهذه المسألة فيما يأتي من هذا الفصل.

٧.الإحالات التخالفية:

وضع الجراح هذا المصطلح في مقابل ما أسماه "الإحالات التماثلية" وقد قصد به" الجمع بين عنصرين إحاليين، يختلف أحدهما عن الآخر رغم اتفاقهما في اللفظ[3]. ومثل على هذا النوع بقول عمرو بن كلثوم[4]:

صددت الكأس عنا أم عمـــــرو وكان الكأس مجراها اليمينـــا[5].

([1]) نسيج النص، ص: ١٣٥.

([2]) الخطاب وأثره في بناء نحو النص، ص:١٩٠.

([3])الخطاب وأثره في بناء نحو النص، ص:١٠٠.

([4])المرجع السابق، ص: ١٠٠.

([5]) شرح المعلقات العشر، ص: ٢٥٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وما شرّ الثلاثــة أم عمـــــرو بصاحبك الــذي لا تصحــبينــا[6].

وكــأس قــد شــربــت بعــلبــك وأخرى في دمشق وقاصرينا[7].

وعلق على هذه الأبيات بقوله: " يظهر للقارئ أول وهلة أن كؤوس الخمر متشابهة، لكن الحقيقة خلاف ذلك "[8].

وقد ذكر السيوطي أن من فوائد وضع الظاهر موضع المضمر" إزالة اللبس حيث يوهم الضمير أنه غير الأول، نحو:(**قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء**)[9] ولو قال تؤتيه أوهم أنه الأول"[10]. ووقف تمام حسان على هذه المسألة، حيث يقول في معرض حديثة عن الآية السابقة:" إن تكرار لفظ (الملك) قد حقق المطابقة في اللفظ أما القصد فقد اختلف"[11]. وذكر تمام حسان أن إعادة الذكر قد تؤدي إلى اللبس؛ لذا يلزم الإضمار، كما في قوله تعالى:(**وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ**) فلو أعيد العنصر الإشاري(**داود**)لأوهم أنه غير الأول[12].أما إذا كان المقصود هو المذكور فهنا يستخدم ما يسمى بالضمائر الانعكاسية، مثل:(نفسه).

وتجدر الإشارة إلى ما يقوله بوجراند: " تتطلب إعادة اللفظ وحدة الإحالة بحسب مبدأي الثبات والاقتصاد، ولكنها تؤدي إلى تضارب في النص حين يتكرر المشترك اللفظي مع اختلاف

([6])المرجع السابق، ص: ٢٥٥

([7]) المرجع السابق، ص: ٢٥٥.

([8]) الخطاب وأثره في بناء نحو النص، ص: ١٠٠.

([9]) آل عمران: ٨٦ .

([10]) معترك الأقران في إعجاز القرآن:٣٦٢/١

([11]) البيان في روائع القرآن:١/ ١٣٨.

([12])البيان في روائع القرآن: ١٣٨/١

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المدلولات"[13]، ولكن الإحالات التخالفية هنا تسهم في تماسك النص، رغم عدم اشتراك المحيل والمحال عليه في الإحالة على شيء واحد.

ويرى الباحث إمكان توسيع مفهوم الإحالات التخالفية؛ ليشمل قسمين من أقسام مرجع الضمير التي أوردها السيوطي، وهما:

" وقد يجيء الضمير متصلاً بشيء وهو لغيره، نحو قوله تعالى: **(ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين)** [14]، يعني آدم ثم قال: **(ثم جعلناه نطفة)** [15] فهذا لولده ؛ لأن آدم لم يخلق من نطفة . ومنه أيضاً **(لا تسألوا عن أشياء أن تُبدَ لكم تسؤكم)** [16]، ثم قال : **(قد سألها)** أشياء أخر مفهومة من لفظ أشياء السابقة".[17]

وقد يعود الضمير على ما هو ملابس له، نحو قوله تعالى: **(إلا عشية أو ضحاها)** [18] أي ضحى يومها لا ضحى العشية نفسها، لأنه لا ضحى لها" [19].

([13]) النص والخطاب و الإجراء، ص: ٣٠٣.

([14]) المؤمنون: ١٢.

([15]) المؤمنون: ١٣.

([16]) المائدة: ١٠١.

([17]) معترك الأقران في إعجاز القرآن:٥٧٧/١

([18]) النازعات: ١٤٦.

([19]) معترك الأقران في إعجاز القرآن:٥٧٧/١

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

رابعا: تصنيف الباحث للإحالة

بعد أن عرضت الدراسة لأنواع الإحالة، وللمعايير التي روعيت عند تصنيفها، سيقدم الباحث على تصنيف الإحالة، اعتمادا على أمور يتصل بعضها بما سبق، وبعضها وقف عليه الباحث من تتبع الفعل الإحالي في النص القرآني، وبعضها يقدم عليه الباحث من منظور يتجاوز أفق إحالة العناصر الإحالية **anaphors** على ما تعود عليه، انطلاقا من أنه يرى أن بنى النص، قد تجبر المتلقي على التنقل في فضاء النص، لا لتأويل عنصر إحالي فحسب، وإنما لوظائف أخرى.

يمكـــن أن تصـــنف الإحالـــة بـــناء علـــى تعدد المحال عليه- والذي يشكل مع المحيل بنية الإحالة - أو انتفاء هذا التعدد إلى:

- الإحالة على مفرد.
- الإحالة على متعدد.

أولا: الإحالة على مفرد

ويُقصـــد بها الإحالات التي يكون فيها المرجع واحدا، يشكل مع ما يحيل عليه بنية الإحالة، ويمكن أن يصنف هذا النوع بناء على مساحة الحيز، الذي تشغله مكونات البنى الإحالية (المحيل والمحال عليه) إلى:

١.الإحالة بالصفر[1]

من المعروف أن تتبع الإحالة في أي نص، يتأتى بالوقوف على العناصر التي تحيل داخل النص أو خارجـــه- سواء أكانت هذه العناصر إحالية أم كانت إشارية- ولكن الاقتصار على العناصر

([1])هذا المصطلح من وضع الباحث.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الإحالية والإشارية التي لها صورة خطية- أو نطقية إذا كان النص منطوقا- لا يكفي؛ إذ لا بد من الوقوف على الإحالات التي تتم دون وجود عنصر إحالي أو إشاري مذكور صراحة.

ويقصد الباحث بالإحالة بالصفر الإحالة التي تتم عندما يصل المتلقي بالتتابع الخطي للنص إلى نقطة تجبره على الرجوع إلى سابق دون وجود عنصر إحالي مكتوب أو منطوق، حيث يقدر المتلقـي عنصرا إحاليا، يكون تقديره ضروريا للربط بين مكونين من مكونات جملة ما، كما في قـوله تعالى:(**قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ**)، إذ يقدر لفظ النار بـ(**ناره**)، لافتقار بدل الاشتمال لعنصر إحالي يربطه بالمبدل منه، ولا يتم ربط بدل الاشتمال إلا بالضمير، ويرى بعض النحاة أن(ال) في البدل(**النار**) هي الرابط[1].

وقـد يكون تقدير عنصر إحالي ضروريا لتحقيق الاكتمال النحوي لجملة من جمل النص، إضـافة إلى ضرورة وجود رابط، وذلك في المواضع التي يحتاج فيها إلى رابط، كجملة الصلة، ففي قوله تعالى:(**لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ**)[2]، نقدر الضمير(ـه) بعد الفعل(**تَعْبُدُونَ**) لتكتمل بنية الجملة، ذلك أن الفعـل السـابق فعل متعدٍ يحتاج إلى مفعول به، ولا بد أن يكون المكون المقدر عنصرا إحاليا؛ ليربط جملة الصلة بالموصول.

ويتأتـى إسـهام هذا النوع من الإحالة في اتساق النص من جهتين: الإحالة والحذف؛ فالحذف كالإحالـة يسـهم فـي اتسـاق الـنص؛ ذلك أن المتلقـي عـندما يقـدر محـذوفاً فإنه يسهم في تماسك النص[3].

([1]) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ص: ٦٥٧- ٦٥٨.

([2]) الكافرون: ٢.

([3]) عد هاليدي ورقية حسن الحذف من أدوات الاتساق؛ انظر: Cohesion in English, p144-155.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

و يشـــتمل هذا النوع من الإحالة على إحالة الضمائر المستترة؛ لأن لها فعلا إحاليا دون أن تظهـــر في بنية النص. ويمكن القول إن هذا النوع من الإحالة يشتمل- أيضا- على الحذف الذي يقدر المتلقي فيه المحذوف بناء على معطيات نصية سابقة سواء أكان العنصر المحذوف عنصراً إحالـــيا أم كـــان غير ذلك، كما ففي قوله تعالى:(**والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيـــراً والذاكرات**)[1] ندرك أن ثمة محذوفا بعد لفظ(**الحافظات**)، نقدره بـــ(**فروجهن**)، ومحذوف آخر نقدره بعد لفظ(**الذاكرات**) بـــ (**الله كثيراً**)؛ و يمكن أن يعد مثل هذا الحذف إحالةً بالصفر؛ لأن تقدير المحذوف يتأتى بالرجوع إلى سابق.

وتجـــدر الإشـــارة إلى أن الإحالة بالصفر قد تكون إحالة داخلية، وقد تكون إحالة خارجية، شأنها في ذلك شأن إحالة العناصر الإحالية التي تكون مذكورة في النص، كما في قوله تعالى:(**أنى لهـــم الذكرى وقد جاءهم رسول أمين ثم تولّوا عنه وقالوا معلّم مجنون**)[2]، فثمة عنصر إحالي محـــذوف مقدر في البنية العميقة للنص[3]، بعد الفعل (**قالوا**) نقدره بـــ(هذا أو هو) وهو يحيل على مذكور سابق لفظ(**رسول**).

وحينما تكون الإحالة بالصفر خارجية فهذا يعني أن ليس في البنية السطحية ظهور لأي من مكونـــي البنـــية الإحالية(العنصر الإحالي، والعنصر الإشاري)، فقوله تعالى:(**أم يقولون شاعر**

([1]) الأحزاب: ٣٥ .

([2]) الدخان : ١٣- ١٤.

([3]) استخدم الباحث مصطلحي البنية العميقة والبنية السطحية ، لغاية الوصف، مع التفاته إلى مسألة أن النص القرآني نص رباني؛ فهو- عز وجل - الذي يوجه أذهان المتلقين، ويعلم ما تحدثه فيهم مفردات نصه العظيم ولعل في استخدام هذين المصطلحين تجاوزا، إلا أن غاية الأمر الالتفات إلى النظام اللغوي، لإمكان استخدام الوصف ذاته لنفس الظاهرة في نصوص أخرى.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

نتربص به ريب المنون)[1]، يتوفر على إحالة خارجية، بعنصر إحالي محذوف، وليس في سورة الطور عنصر إشاري لغوي يشترك في الإحالة، مع العنصر الإحالي المحذوف(هو أو هذا) علـى أن في هذه الســورة ضمــائر خطاب سابقة، تشــترك معه في الإحالة. وبتقدير العنصر الإحالي يــتحقق الاكــتمال الــنحوي للجملة الاسمية(**شاعر**) أي هو شاعر، أو هذا شاعر، فالمحذوف هو المســند إليه، والحذف هنا يحقق الاختصار، ويفسح للمتلقي للنص القرآني أن يعمل ذهنه بتقديره للمكون المحذوف، وبتنقله في فضاء النص، فيتفاعل معه.

وقد تكون الإحالة بالصفر إحالة بعدية؛ ويمكن الاستدلال على ذلك بقوله تعالى: (**آتُونِـــي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا**)[2])، فالفعل(**آتوني**) يحتاج إلى مفعول به؛ وينظر النحاة لمثل هذه الجملة عادة في باب التنازع، أما مــن مــنظور نحو النص- كما يعتقد الباحث- فإن الأمر يفسر على أساس الإحالة على اللاحق لتحقيق الاكتمال النحوي لجملة (**آتُونِي**).

٢. الإحالة على الصفر[3]

يقصد الباحث بهذا المصطلح نوعا من أنواع الإحالة الداخلية يقع في مقابل الإحالة بالصفر، فالأخيرة تقوم بنيتها الإحالية على عنصر إشاري لغوي يحال عليه بمحذوف، أما في الإحالة على الصفر فإن المرجع اللغوي لا يكون مذكورا، لا لأن الإحالة تعتمد على عنصر إشاري غير لغوي

([1]) الطور: ٣٠ .

([2]) الكهف: ٩٦.

([3])هذا المصطلح من وضع الباحث.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

موجود في المقام كذات المتكلم أو المخاطب،أو بناء على خبرات مشتركة، أو ثقة بفهم السامع كما يقول السيوطي[1] بل تعتمد على معطىً نصي سابق.

وللإحالة على الصفر مظاهر عديدة، منها أن يكون المرجع اللغوي محذوفا، يتحقق بتقديره اكتمال نحوي لجملة من جمل النص؛ لذا فإنه يصبح جزءا من النص؛ سواء أحيل عليه بعد تقديره أم لم تتم الإحالة عليه. ويمكن التمثيل على ذلك بقوله تعالى:(**وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا حَتَّى إِذَا جَآؤُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَآ إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ**)[2] ، فالضمير المتصل(**ـه**) في كلمة(**يفقهوه**) واسم الإشارة(**هذا**) يحيلان على المفعول به المحذوف للفعل(**يستمع**). وتقوم بنية هاتين الإحالتين على عنصر إحالي وعنصر إشاري لغوي مقدر في البنية العميقة للنص.

وقد يكون المحال عليه فاعلا لفعل مبني للمجهول، فلا يظهر في البنية السطحية، ومن ذلك ما نجده في قوله تعالى:(**وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللّهِ يُكَفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا**)[3]، فالضمائر المتصلة بـ(**معهم، يَخُوضُوا، مِّثْلُهُمْ**) يفسرها فاعل الفعل(**يُستهزَأ**) أي المستهزئون.

([1]) معترك الأقران في إعجاز القرآن:١/٥٧٥.

([2]) الأنعام: ٢٥.

([3]) النساء: ١٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٣.إحالة كلمة على كلمة

وهـــي إحالـــة تتشكل بنيتها الإحالية من كلمتين: عنصر إشاري معجمي، وعنصر إحالي مذكور. وتعرف في الدرس اللغوي بالإحالة المعجمية، غير أن الباحث يلتفت هنا إلى شكل البنية الإحالـــية في النص- لا إلى ما تشترك العناصر الإحالية والإشارية في الإحالة عليه- فالعنصر الإحالي يقابله لفظ مفرد(كلمة أو ما هو بمنزلتها كالمصدر المؤول) في بنية الإحالة، ويرى الباحث أن هذا النوع من الإحالة هو أبسط أشكالها.

وتـــتعدد العناصر الإحالية التي يكون مفسرها كلمة، فقد يكون العنصر الإحالي في هذه البنـــية الإحالية ضميراً، كما في قوله تعالى:(**حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمـــئة**)[1]، فبنـــية هـــذه الإحالـــة تتشـــكل من العنصر الإشاري المعجمي(**الشمس**) و الضمير المتصل(**ـــه**) في الفعل (**وجدها**).

وقـــد يكون العنصر الإحالي اسم إشارة، كما في قوله تعالى:(**وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك**)[2]. فالبنية الإحالية لاسم الإشارة هذا في الآية السابقة تقوم على كلمتين: العنصر الإحالـــي(**هـــذه**) والعنصـــر الإشاري المعجمي(**سيئة**). وقد تتم الإحالة على العناصر الإشارية المعجمية باسم موصول، كما في قوله تعالى:(**فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي**)[3]، فالاسم الموصول(**التي**) يحيل رجوعاً على كلمة(**إحداهما**) ويشكلان معاً بنية الإحالة السابقة.

([1]) الكهف: ٨٦ .

([2]) النساء: ٧٨.

([3]) الحجرات: ٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقد تكون هذه الإحالة بإعادة الذكر، فيكون العنصر الذي يرد لاحقاً عنصراً إحاليا، لارتباطه بلفظ سابق واشتراكه معه في الإحالة؛ فمثلا أحيل على العنصر الإشاري المعجمي(**البحر**) بإعادة ذكـــره في قوله تعالى:(**قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل كلمات ربي ولو جئنا بمـــثله مـــدداً**) [1]، وربمـــا كانت الإحالة- هنا- بإعادة؛ لأن الآية الكريمة تركز على استحضار مفهوم(**البحر**).

وللإحالـــة بإعـــادة الذكر مقاصد ووظائف متعددة لا يتسع المقام لذكرها؛ لذا يكتفي الباحث بالإشارة إلى أن اللغويين عرضوا لهذه المسألة في باب الإظهار في مواطن الإضمار[2]، وأن تمام حسان عرض لها في حديثه عن الربط بإعادة الذكر[3]. وقد نظر عبدالله الهتاري لهذه المسألة على أنها عدول نحوي سياقي، وعرض للسياقات التي يعدل فيها عن الضمير إلى الاسم الظاهر[4].

وقـــد تقوم بنية هذا النوع من الإحالة على عنصر إشاري معجمي، وعنصر إحالي يتمثل بإعـــادة ذكر العنصر الإشاري متصلاً بأل العهد الذكري، كما في قوله تعالى:(**مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري**)[5]، فالعنصر الإحالي المتصل بأل العهد الذكري(**المصباح**) يحيل على لفظ(**مصباح**) السابق، وكذلك فإن لفظ (**الزجاجة**) يحيل على لفظ(**زجاجة**) السابق.

([1]) الكهف: ١٠٩.

([2])معترك الأقران في إعجاز القرآن:١/٣٦٢- ٣٦٧.

([3])البيان في روائع القرآن:١/ ١٢٨- ١٣٦.

([4])العدول النحوي السياقي في القرآن الكريم، عبدالله علي عبدالله الهتاري، رسالة دكتوراة،٢٠٠٤، جامعة اليرموك، ص: ١٠٥- ١١٥.

([5]) النور: ٣٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقد يتمثل العنصر المحال عليه بما هو مصحوب بأل العهد الذكري بعبارة مركبة من لفظ(كُل) وكلمة تختلف صيغتها الصرفية عن صيغة العنصر الإشاري المحال عليه، كما في قوله تعالى: **(يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ)**[1] .

وقد تتصل أداة التعريف(أل) باسم لم يسبق له ذكر، ولا تكون للعهد الذهني، أو للدلالة على الجنس، أو زائدة، ولكنها تكون متصلة باسم يشترك مع عناصر إحالية أو إشارية سابقة، ومن ذلك لفظ(السحرة) في قوله تعالى:**(أُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى)**[2]، فلم يسبق أن ذكر هذا اللفظ، ولكنه جاء معرفا؛ لأنه يشترك مع ضمير الخطاب في قوله تعالى:(**قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى)**[3] ،على أن هذا الاشتراك لا يعني التطابق لأن إحالة الضمير(كم) تجمع موسى- عليه السلام- مع السحرة- ويشترك- أيضا- مع لفظ(كيده) في قوله تعالى:**{فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى}**[4]. ويشترك- أيضا- في الإحالة مع ضمير الغيبة في قوله تعالى:**(قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِباً فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى)**[5]، وهذه الإحالات السابقة لكلمة(السحرة) تفسر مجيئها معرفة.

لعل من الجدير ذكره في هذا السياق أن علماء لغة النص ينظرون لأدوات التعريف على أنها ترد في سياق الحديث عن أشياء سبق ذكرها؛ لذا تسهم في اتساق النص من خلال الوحدة الإحالية بين ما هو مذكور في جزء من النص، وما هو مذكور في جزء سابق؛ فيشبه فعلها

([1]) الشعراء: ٣٧- ٣٨.

([2]) طه: ٧٠.

([3]) طه: ٥٩.

([4]) طه: ٦٠.

([5]) طه: ٦١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الإحالـــي العناصـــر التي تحيل إحالة داخلية؛ أما النكرات فهي تستخدم "لتقديم ما يسمى بكيانات جديدة"[1]؛ لذا يمكن القول إنها تشبه الإحالة الخارجية من حيث تسهم في تشكيل النص. والجدول الآتي يبين مكونات البنى الإحالية في الآيات السابقة:

الآية	العنصر الإشاري	العنصـــــر الإحالي	نوعه
حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها	الشمس	ها (وجدها)	ضمير
وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك	سيئة	هذه	اسم إشارة
فـــإن بغـــت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي	إحداهما	التي تبغي	اسم موصول
قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر	البحر	البحر	إعادة الذكر
مـــثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة	مصباح	المصباح	العنصـــــر الإشـــاري الســـابق متصـــلا بأل العهد الذكري

٤. إحالة كلمة على مقطع

تقوم بنية هذه الإحالة على عنصر إحالي، وعنصر إشاري يتمثل بمقطع من النص؛ وهي ما تسمى بالإحالة المقطعية، وتتأتى هذه الإحالات غالبا بأسماء الإشارة، ومنها إحالة اسم الإشارة

([1]) مدخل إلى علم اللغة النصي، فولفجانج هاينيه، وديتر فيهفيجر،ترجمة: فالح بن شبيب العجمي، جامعة الملك سعود، ١٩٩٩، ص: ٢٨– ٣٠، وانظر: تحليل الخطاب، ص: ٢٨١-٢٩٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ذلـك في قوله تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللَّـهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)، فهو يحـيل علـى مقطـع سـابق، وهو :(تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ).

وقـد يكون العنصر الإحالي في هذا النوع من الإحالة لفظ (بعض) كما في قوله تعالى: (ثُمَّ أَنـتُمْ هَـؤُلاء تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّـهُ بِغَافِـلٍ عَمَّـا تَعْمَلُـونَ)[1]، فلفظ(بعض) المتعلق بالفعل(أفتؤمنون) يحيل على قوله تعالى: (وإن يأتوكم أسارى تفادوهم)، بينما يحيل لفظ(بعض) المتعلق بالفعل(تكفرون) على قوله تعالى: (وهو محرم عليكم إخراجهم).

وقـد تـبدو دلالة (بعض) في الآية السابقة عامة، إلا أن كثيراً من العناصر الإحالية تكون عامـة الدلالـة، وتنطوي على إحالة داخلية، كإحالة(بعض) السابقة، ويمكن النظر إلى مثل هذه الإحـالات على أنها أسلوب من أساليب النص القرآني، يقوم على التعميم دون أن يكون فيه إلغاء للمرجعية.

٥. إحالة كلمة على نص

يقارب هذا النوع من الإحالة النوع السابق من حيث امتداد المحال عليه، ويختلف عنه فـي أن المحـال عليه يتجاوز كونه مقطعا، ويمكن الحكم بنصيته، وتختلف معايير النصية عند

([1]) البقرة: ٨٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

علماء لغة النص، فمثلا يرى هاليدي ورقية حسن أن النصية تتحقق بالاتساق، ويكون النص متسقا إذا توافرت أدوات الاتساق، وهي: أدوات الوصل، والإحالة، والاتساق المعجمي، والحذف[2]، أما بوجراند فيذكر سبعة معايير للنصية، وهي: الاتساق، والانسجام، والمقامية، والمقبولية، والإعلامية، والقصدية، والتناصية[3].

ويمكن الحكم على أجزاء كثيرة من النص القرآني بالنصية، فمثلا يمكن وصف آية- أو جزء من آية- بأنها نص حينما تتضمن حكم شرعيا، أو عالجت في سياق نزولها موقفا، ويمكن الحكم على الأقوال التي يتضمنها النص القرآني بأنها نصوص.ولا يعني ذلك عزل هذه النصوص عن سياقها فهي جزء من الخطاب القرآني.

وتتعدد العناصر اللغوية التي يمكن أن تحيل على نص، فقد يكون العنصر الإحالي في هذا النوع من الإحالة ضميرا، كما في قوله تعالى: **(وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ)**[4]فالضميران المتصلان بـ**(قُلْتُهُ، عَلِمْتَه)** يحيلان على**(اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ)**، ويمكن الحكم على المحال عليه بأنه نص.

وقد يحيل اسم الإشارة على نص؛ فمثلا اشترك اسم الإشارة**(هذا)** والضمير المنفصل**(هُو)** والضمير المتصل بـ**(تَحْسَبُوهُ، سَمِعْتُمُوه)**، مع العنصر الإشاري**(الإفك)** في الإحالة على نص الإشاعة في حادثة الإفك، وقد وردت هذه الإحالة في قوله تعالى: **(إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ**

---

(2) Cohesion in English p. ٥٢

(3)النص والخطاب والإجراء،ص:٥٤

(4) المائدة: ١١٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ)[1].

وقد تتأتى الإحالة على نص بالمصدر، كما في قوله تعالى:(فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا)[2]؛ فالمصدر(قولها) يحيل على ما جاء على لسان النملة في قوله تعالى: (حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ)[3].

وقد تحيل كلمة على نص دون أن يكون المحال عليه مفسرا لها، بل تنفي محتواه، كما في قوله تعالى: (وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ)[4] ،فكلمة(سبحانه) تحيل على النص الذي أوردته السورة على لسان المشركين، وهو قولهم(اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا).

ولعل مما يجب الإشارة إليه أن الأزهر الزناد ذكر أن ثمة نوع من الإحالة يمكن تسميته بالإحالة النصية، وعرفها بأنها"إحالة عنصر معجمي على مقطع من الملفوظ أو النص؛ وتؤديها ألفاظ من قبيل: (قصة)،(خبر)،(رأي)،(فعل)" [5]. ويختلف مفهوم الإحالة النصية عما أسماه الباحث إحالة كلمة على نص من حيث أن هذا النوع يتأتى بألفاظ عديدة جلها من العناصر الإحالية، وتختلف طبيعة المحال عليه هنا من حيث أشار الباحث إلى تحقق معايير النصية في المحال عليه.

([1]) النور: ١١- ١٢.

([2]) النمل: ١٩.

([3]) النمل: ١٨.

([4]) البقرة:١١٦.

([5]) نسيج النص، ص: ١١٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٦. إحالة نص على نص

وهـــو مظهر من مظاهر الإحالة في النص القرآني يتمثل بعدة أشكال، لعل أبرزها إحالة الناســـخ والمنسوخ؛ فالنص االناسخ يحيل عل المنسوخ على جهة إبطال الحكم الذي يتضمنه. وقد تكـــون إحالة الناسخ إحالةً على متعدد؛ فقد نسخت آية السيف كما يقول علماء التفسير مئة وأربع عشـــرين آيـــة[6]، وهذا يعني أنها تشكل مع مجموع الآيات التي تحيل عليها بنية إحالية، تتوزع مكوناتها على امتداد النص القرآني.

ويمكن القول إن علينا عندما نواجه انتقالا من موضوع إلى موضوع آخر في النص القرآني خاصـــة أن نلـــتفت إلى مسألة أن النص الفرعي الجديد قد يكون امتدادا لموضوع سابق، كما في ســـورة البقـــرة، فقد عرضت لآدم وحواء- عليهما السلام- في هذه الآيات التي يمكن عدها نصا فـــرعيا: **(وإذ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)** [7].

وبعـــد أن عرضت السورة لتنعمهما في الجنة، وأمر الله- عز وجل- لهما بعدم الاقتراب من الشجرة، وإغواء الشيطان لهما وهبوطهما من الجنة عرضت السورة لبني إسرائيل وإنعام الله عليهم ، وإنزال المن والسلوى وعدم صبرهم على طعام واحد ثم معاقبتهم بالهبوط(**اهبطوا مصرا**) في الآيات الآتية: **(وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً**

([6])الناسخ والمنسوخ في القرآن: دراسة وتحليل، سعد الدين زيدان، دار المناهج، عمان، ٢٠٠١، ط١، ص:١١٨.

([7]) البقرة: ٣٥-٣٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ)[1].

ويمكن القول إن الإحالات المتأتية بتشابه بنية النصين الفرعيين، وتكرار بعض المقاطع والألفاظ، تعكس تشابه موقف آدم وحواء في الجنة وعدم صبرهما على الشجرة، واستحقاقهما الهبوط بسبب المخالفة، مع موقف بني إسرائيل، ودخولهم القرية، وتنعمهم فيها، وإنزال المن والسلوى، وعدم صبرهم على طعام واحد، واستبدالهم الذي هو أدنى بالذي هو خير، واستحقاقهم الهبوط؛ وكأن من مقاصد الخطاب القرآني في هذه السورة أن تقول: يكون الإنسان في نعمة من نعم الله ولكنه لا يصبر، ويطلب ما هو أدنى فيستحق الهبوط بسبب استبداله ماهو أدنى بماهو خير.وتسهم هذه الإحالات المقارنة في الربط بين النصين الفرعيين،ومن ثم في تماسك السورة.والجدول الآتي يبين أوجه الشبه بين بنية النصين الفرعيين:

([1]) البقرة: ٥٧-٦١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

موضوع النص	المكان	الأعلى	الأدنى	السبب	النتيجة
آدم وحواء	الجنة	(وكُلا منْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا)	هذه الشجرة	فأزلهماالشيطان عنها (لم يصبرا)	فقلنا اهبطوا
بنو إسرائيل	القرية	(فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً)،(وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى)	ما تنبت الأرض	لن نصبر على طعام واحد	اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم

ومن مظاهر إحالة النص على نص أن تحيل آية يشكل محتواها نصا على أية أخرى تشكل هي الأخرى نصا، كما في قوله تعالى:(**الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ**(١) **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ**)[1].

يمكن القول إن الآيتين السابقتين يشكل كلا منهما نصا، ولا يعني ذلك عزلهما عن سياق السورة؛ فالآية الثانية تحيل على الأولى، وهذا يؤول إلى الربط بينهما من خلال الإحالة المقارنة.وتتأتى هذه الإحالة من خلال المقارنة بين المؤمنين والكافرين، حيث يتضافر الربط الإحالي مع التضامcollocation في تحقيق التماسك.

([1]) محمد: ١- ٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويمكن القول إن ما يسمى بالمعادل الموضوعي، والذي نجده في نصوص أدبية كثيرة كالشعر الجاهلي، يمكن النظر له على أنه إحالة نص على نص، وأن هذه الإحالات تندرج فيما يسمى الإحالات المقارنة.

وقد يحيل نص قرآني على نص قرآني آخر لنفيه وإبطاله كقوله تعالى: **(بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)**[1] ،فهذه الآية- وهي تشكل نصا من نصوص الخطاب القرآني- تحيل على النص الذي ورد على لسان بني إسرائيل في قوله تعالى: **(وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ)**[2]؛ ولهذا النوع من الإحالة دور كبير في تحقيق مقاصد الخطاب القرآني.

وتجدر الإشارة إلى أن إحالة نص على نص قد تكون إحالة خارجية، حيث يكون المحال عليه جزءا من نص آخر كإحالة بيت أو جزء منه على بيت آخر في قصيدة أخرى لنفيه أو إبطاله، كما في النقائض والمعارضات. وقد يتداخل هذا النوع من الإحالة مع التناص، و يبدو خروجاً عن مفهوم الإحالة، إلا أن الباحث يعده من باب الإحالة- دون أن ينفي كونه تناصاً- لأمرين:

١. وجود مرجع يتمثل بمقطع سابق من النص، أو في نص آخر.

٢. قصدية منشئ النص إرجاع المتلقي إلى المحال عليه.

([1]) البقرة: ٨١.

([2]) البقرة: ٨٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ثانيا : الإحالة على متعدد

ويقصد به مظهر من مظاهر الإحالة الداخلية، يقع في مقابل الإحالة على مفرد. وفيه يلتفت المتلقي إلى غير عنصر إشاري لغوي لتأويل العنصر الإحالي، ويرى الباحث أن هذا النوع من الإحالة يمكن تقسيمه إلى قسمين:

- قسم لا يمكن الجمع فيه بين عدد من العناصر الإشارية مع العنصر الإحالي في بنية إحالية واحدة، ويتأتى من احتمال غير عنصر إشاري لأن يكون مقابلا للعنصر الإحالي في بنية الإحالة.

- قسم يجتمع فيه عنصران إشاريان أو أكثر مع العنصر الإحالي في بنية إحالية واحدة؛ ويسمي الباحث هذا النوع الإحالات الاندماجية.

أما القسم الأول، وهو الذي لا يمكن الجمع بين غير عنصر إشاري مع العنصر الإحالي في بنية الإحالة فينقسم إلى قسمين:

١. إحالة الإبهام[1]

يقصد بهذا المصطلح الإحالات التي تتعدد فيها العناصر الإشارية اللغوية التي تحتمل أن تكون مرجعا ومفسرا للعنصر الإحالي؛ فتتعدد- تبعا لذلك- الدلالات المحتملة؛ كما في قوله تعالى:(وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ)[2] يقول السيوطي:" أعيد الضمير للصلاة، وقيل للاستعانة المفهومة من استعينوا". و يقول السيوطي معقبا على قوله تعالى:(إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ)[3] " يحتمل عود ضمير الفاعل في يرفعه

([1])هذا المصطلح من وضع الباحث.

([2]) البقرة ٤٥ .

([3]) فاطر: ١٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إلـــى ما عاد عليه ضمير إليه؛ وهو الله ويحتمل عوده على العمل .والعمل الصالح هو الذي يرفع الكلـــم الطيب . ويحتمل عوده إلى الكلم الطيب؛ أي إن الكلم الطيب- وهو التوحيد- يرفع العمل الصالح؛ لأنه لا يصح العمل إلا مع الإيمان"[4].

ولـــيس احتمال غير عنصر إشاري لأن يكون مفسر لعنصر إحالي مقتصرا على الإحالات الضـــميرية؛ فـــثمة عناصر لغوية أخرى تحيل داخل النص، ويكون في هذا النص غير عنصر إشـــاري يُحـــتمل أن يكـــون مفسرا لها، كما في قوله تعالى:{فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى}[5] فالعنصـــر الإحالـــي(**الأولـــى**) يحتمل أن يكون مفسره التكذيب والعصيان المفهومين من(**فكذب وعصى**)، ويحتمل أن تكون إحالته بين السور؛ بناء على ما يفهم من قول المفسرين: إن الأولى، هـــي قول فرعون: (**ما علمت لكم من إله غيري**) [6] في سورة القصص، أما الآخرة فقوله: (**أنا ربكم الأعلى**)[7].

٢. إحالة التعمية[8]

يُقصد بهذا المصطلح أن يورد منشئ النص- بقصد التعمية- عنصرين إشاريين يصلح كل منهما أن يكون مرجعاً لعنصر إحالي، كالإحالة التي نجدها في هذا النص من العقد الفريد:

" قـــال معاويـــة لصعصـــعة بن صوحان: اصعد المنبر، فالعن علياً، فامتنع من ذلك، وقال: أو تعفينـــي، قال: لا. فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: معاشر الناس، إن معاوية أمرني

([4])معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي، مج١/٣٦٧

([5]) النازعات: ٢٥.

([6]) القصص: ٣٨.

([7])صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، ج٣/٥١٥

([8])هذا المصطلح من وضع الباحث.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أن ألعن علياً، فالعنوه لعنه الله "[1]؛ فقد قصد المرسل أن يورد العنصر الإحالي(ـــه) في(فالعنوه، لعـــنه) بعـــد عنصـــرين إشاريين معجميين، ليظل مرجع الضمير محتملاً لأن يكون هو المحدَّث عنه(معاوية)، وأقرب مذكور(علياً).

ولعل مما ينبغي أن يشار إليه أن الباحث يقيد التعدد المشار إليه هنا بكونه مقصودا من قبل المرسل، وكونه جزءا من بنية النص وإستراتيجية الخطاب. وليس منه ما قد يحدث من عدم قدرة المتلقي على تحديد المرجع المقصود لأمور تتصل بظروف التلقي، أو لأن سياق الإحالة لا يتوفر على قرائن كافية؛ فيختلط الأمر على المتلقي.

الإحالة الاندماجية[2]

وهـــو القسم الثاني من أقسام الإحالة على متعدد، ويتمثل بالإحالات التي يتوفر فيها العنصر الإحالـــي على دلالات عدد من العناصر الإشارية اللغوية فتتشكل بنية الإحالة من عنصر إحالي، ومجمـــوعة من العناصر الإشارية اللغوية، كما في قوله تعالى:(**وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّـــمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً**)[3]؛ فاسم الإشارة (**أولئك**) يحيل على ثلاثة عناصر إشارية معجمية، ويشكل معها بنية الإحالة.

وقد توفرت الآية السابقة على مفهوم السمع والبصر والفؤاد من خلال العناصر الإشارية الدالة على هذه المفاهيم، .بينما تمت الإحالة عليها بعد ذلك بالعنصر الإحالي(**أولئك**)؛ ففيه اندمجت المفاهـــيم الـــثلاثة؛ وهو لا يتطابق دلاليا مع عنصر إشاري معجمي مفرد؛ إنما يتطابق مع غير عنصر إشاري.

([1]) العقد الفريد،أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، تحقيق: أحمد أمين، دار الكتاب العربي،بيروت،١٩٨٢،ج٢/٤٦٦.

([2])هذا المصطلح من وضع الباحث.

([3]) الإسراء: ٣٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وتختلف بنية هذا النوع من الإحالة عن بنى الإحالات الأخرى من حيث إن العنصر الإحالي يستطابق في السمات الدلالية مع عنصر إشاري يقابله في بنية الإحالة، فتتشكل هذه البنية من مكونين: عنصر إشاري وعنصر إحالي؛ أما في هذا النوع من الإحالة فإن العنصر الإحالي يقابله عدد من العناصر الإشارية في بنية الإحالة. ويرتبط هذا النوع من الإحالة بالعناصر الإحالية التي تحسيل على مثنى أو جمع، كالضمائر وأسماء الإشارة الدالة على المثنى أو الجمع؛ إذ يمكن لهذه العناصر أن تحيل على عدد من العناصر الإشارية اللغوية.

ومن الإحالات التي أحال فيها ضمير المثنى على متعدد إحالة الضمير المتصل بـ(أَيْدِيَهُمَا) في قوله تعالى: **(وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)** [1]؛ وقد تشكلت البنية الإحالية من العنصر الإحالي(ـهما) والعنصرين الإشاريين(**السَّارِقُ، والسَّارِقَةُ**). ومن الإحالات التي أحال فيها ضمير الجمع على متعدد إحالة الضمير المتصل بـ(رَأَيْتُهُم) في قوله تعالى:**(إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ)**[2].

ويمثل الباحث على إحالة أسماء الإشارة على متعدد بإحالة اسم الإشارة(**ذانك**) في قوله تعالى: **(وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولّى مدبراً ولم يعقب يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الأمنين اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم إليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك إلى فرعون وملأِه إنهم كانوا قوماً فاسقين)**[3]؛ فاسم الإشارة(**ذانك**) في

([1]) المائدة: ٣٨.

([2]) يوسف: ٤.

([3]) القصص: ٣١- ٣٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الآيـــة السابقة يحيل على انقلاب العصى حيةً، وخروج اليد بيضاء من غير سوء. ويمكن التمثيل لإحالـــة أسماء الإشارة على متعدد بإحالة اسم الإشارة(أُولَئِكَ) في قوله تعالى: (وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الأَيْكَةِ أُولَئِكَ الأَحْزَابُ)[4].

ويرى الباحث ضرورة الإشارة إلى أن العناصر الإحالية السابقة قد تحيل على عنصر إشاري يـــدل على متعدد، أو يدل على عموم كأسماء الشرط؛ ولا يعد الباحث مثل هذه الإحالات من باب الإحالة على متعدد؛ لأن العنصر الإحالي يقابله عنصر إشاري واحد في بنية الإحالة.

ونجـــد بعـــض الإشـــارات إلـــى أن بعـــض العناصـــر الإحالية الدالة على المفرد؛ كاسم الإشارة(ذلك) وضمير الغائب المفرد قد تحيل على متعدد، ومن ذلك ما يقوله عبد الخالق عضيمة يجـــري الضمير مجرى اسم الإشارة؛ فيكون مفردا ويرجع إلى مثنى أو متعدد، فإن اسم الإشارة وإن كان مفردا فقد يشار به إلى مجموع "[5]؛ وقد مثل عليه بقوله تعالى:(ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَـأٌ وَلاَ نَصَـبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ)[6]"

ويعتقد الباحث أن إحالة الضمير المتصل(ـــه) بـــ(بِهِ) في الآية السابقة يمكن تفسيرها بأن هذا العنصر الإحالي يشكل عددا من البنى الإحالية، أي أنه يشكل مع كل عنصر إشاري متعلق به بنـــية إحالـــية مســـتقلة، وأنـــه لـــم يخالف طبيعة فعله الإحالي؛ فهو أساسا يحيل على العنصر

([4]) ص: ١٣.

([5]) دراسات لأسلوب القرآن العظيم، محمد عبد الخالق عضيمة، دار الحديث،القاهرة،(د.ت)،القسم الثالث: ١/ ٤٧.

([6]) التوبة: ١٢٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الإشـــاري(ظَمَـــأٌ)؛ ولكن العطف أشرك العناصر الإشارية المعطوفة في الحكم المتعلق به. وهنا يتضافر العطف مع الإحالة في تحقيق الاختصار؛ إذ يمكن تصور أن العبارة القرآنية(**إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ**) مقدرة بعد كل عنصر إشاري متعلق بالضمير المتصل بـــ(بِهِ).

ويمكـــن التمثيل على إحالة أسماء الإشارة المفردة على متعدد في النص القرآني بإحالة اسم الإشارة(ذلـــك) في قوله تعالى:(**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِـنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ**)[٧]. وربما أمكن تفسير هذه الإحالة بأن المحال عليه تصور يتمثل بمجموع الأشياء التي تضمنتها هذه الآية؛ فلا يخالف اسم الإشارة(**ذلك**) طبيعة فعله الإحالي.

وقـــد ذكـــرت الدراسة في الفصل الأول أن قسمين من أقسام مرجع الضمير التي أوردها السيوطي يمكن تصورهما على أساس أنهما بنيتان إحاليتان متقابلتان؛ يرتبط الضمير في أحدهما بمرجع لغوي ارتباطا شكليا، ويرتبط بمتعدد ارتباطا إسناديا، أما في القسم الثاني فيرتبط الضمير بمرجعين أو أكثر ارتباطا شكليا، ويرتبط بأحدهما ارتباطا إسناديا، وهما:

" قـــد يذكـــر شيئان ويعاد الضمير إلى أحدهما، والغالب كونه الثاني نحو: (**واستعينوا بالصـــبر والصـــلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين**) [٨]؛ فأعيد الضمير للصلاة،وقيل للاستعانة المفهومة من استعينوا .و(**جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ**)[٩] أي القمر ؛لأنه الذي

---

(٧) آل عمران: ١٤.

(٨) البقرة: ٤٥.

(٩) يونس: ٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يعلـم به الشهور. و(**والله ورسوله أحق أن يرضوه**)[1] أي يرضوهما، فأفرد؛ لأن داعي الرسول هو داعي العباد، والمخاطب لهم شفاها، ويلزم من رضاه رضا ربه تعالى.

وقـد يثنـى الضمير ويعاد إلى أحد المذكورين، نحو:(**يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان**)[2]؛ وإنما يخرج من أحدهما"[3].

وقـد سـبقت الإشـارة إلى أن الباحث يقصد بالعلاقة الإسنادية أن الحكم أو المعلومات المتعلقة بالضمير تسند إلى المرجع، وأنه لا يقصد الإسناد بالمفهوم النحوي. وقد وقف الفراء على القسم الأول، حيث يقول معقبا على قوله تعالى:(**وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها**)[4]:" فجعل الهاء للتجارة دون اللهو [...] وذكروا أن النبي- صلى الله عليه وسلم- كان يخطب يوم الجمعة، فقدم دحية الكلبي بتجارة من الشام فيها كل ما يحتاجه الناس، فضرب بالطبل ليؤذن الناس بقدومه؛ فخرج الناس ثمانية نفر، فأنزل الله- عز وجل- (**وإذا رأوا تجارة**) يعني التجارة التي قدم بها، أو (**لهـوا**) يعني: الضرب بالطبل. ولو قيل انفضوا إليه، يريد اللهو كان صوابا كما قال:(**ومن يكسـب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا**)[5] ،ولم يقل بها ولو قيل بهما، وانفضوا إليهما كما قال: (**إن يكـن غنـيا أو فقيرا فالله أولى بهما**) [6] كان صوابا وأجود من ذلك في العربية أن تجعل الراجع من الذكر للآخر من الاسمين"[7].

([1])التوبة: ٦٢.

([2]) الرحمن: ٢٢.

([3]) معترك الأقران في إعجاز القرآن: ٥٧٧/١.

([4]) الجمعة: ١١.

([5]) النساء: ١١٢.

([6])معترك الأقران في إعجاز القرآن: ٥٧٨/١

([7]) معاني القرآن، يحيا بن زياد الفراء، عالم الكتب، بيروت،١٩٨٣: ٣ /١٥٧ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الإحالة الانقسامية[8]

يـــرى الـسباحث أن ثمـــة نوع من الإحالة يقع في مقابل الإحالة الاندماجية يمكن تسميته بالإحالـــة الانقســـامية؛ وهـــي الإحالـــة التي تقوم بنيتها الإحالية على عنصر إشاري وعنصرين إحاليين- أو أكثر- يتقاسمان محتوى العنصر الإشاري، كما في قوله تعالى :(**وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَـــذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ**)[9]، فمحتوى العنصر الإشاري(**البحران**) يتقاسمه العنصران الإحاليان:(**هذا عذب**) و(**هذا ملح**) .

وتعمـــل هذه الإحالات على تنامي النص من خلال انقسام المرجع اللغوي إلى عنصرين إحاليين- أو أكثر- يستقلان عن المرجع، فيتحول كل عنصر منهما إلى مرجع مستقل يرتبط به عنصـــر إحالي أو أكثر، ويسند لكل منهما على حدة، فالمعلومات المقدمة عن أحدهما- وصفا أو إخـــبارا- تـــرتبط به وحده، وهذا خلاف ما يحصل في ما أسماه الباحث الإحالة الاندماجية؛ ففي الأخيرة تتوحد عدد من الموضوعات لتصير موضوعا واحدا، ترتبط المعلومات المتعلقة بالعنصر الإحالـــي بغير مرجع(متعدد). و العلاقة بين مكونات البنية الإحالية في الإحالة الانقسامية ليست علاقة تماثل؛ إنما هي علاقة اجتزاء، فكل عنصر إحالي يحيل على مرجعه ويجتزئ منه، وهذا النوع من الإحالة يتوفر على إحالتين اجتزائيتين أو أكثر؛ تبعا لعدد انقسامات المرجع.

ويســـهم هذا النوع من الإحالة في تماسك النص من غير جهة؛ فالعناصر الإحالية المنقسمة إن صـــح التعبير ترتبط بمرجعها، وترتبط بوصفها مرجعا بعدد من العناصر الإحالية، ولما كان

([8])هذا المصطلح من وضع الباحث.

([9]) فاطر: ١٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كل عنصر إحالي يقابل- غالبا- العنصر الإحالي الآخر في بنية هذا النوع من الإحالة، من حيث الخبر أو الوصف المقدم عنه فإن هذا النوع من الإحالة يقارب الإحالة المقارنة، و يقارب أيضا ما يسمى بالتضام **Collocation**، وهو من أدوات الاتساق النصي عند هاليدي ورقية حسن[1].والشكل الآتي يوضح الامتداد الإحالي للعنصر الإشاري(**الْبَحْرَانِ**):

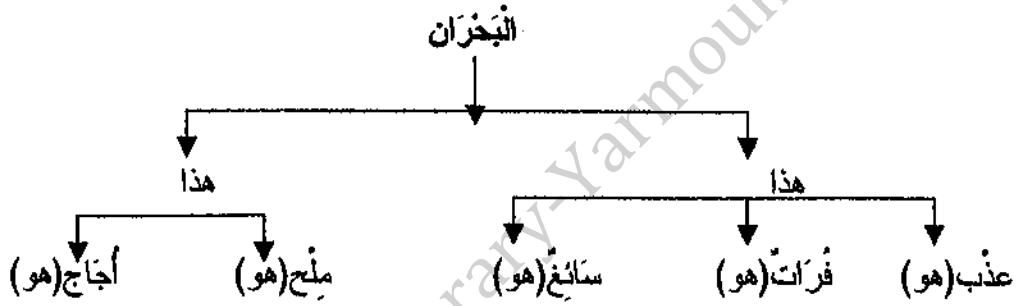

ويمكن الوقوف على الفرق بين بنية الإحالة الاندماجية و الإحالة الانقسامية بالنظر إلى أن بنية الأولى تقوم على عنصر إحالي وعنصرين إشاريين أو أكثر؛ أما الإحالة الانقسامية فتقوم بنيتها على عنصر إشاري وعنصرين إحاليين أو أكثر. والجدول الآتي يوضح الفرق بين بنية النوعين السابقين:

الآية	العنصر الإحالي	العنصر الإشاري	نوع الإحالة
وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ	هَذَا أَهَذَا	الْبَحْرَان	انقسامية
وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ	أُولَئِك	ثَمُودُ ، قَوْمُ لُوطٍ، أَصْحَابُ الْأَيْكَة	اندماجية

(1) انظر: لسانيات النص، ص:٢٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويمكـــن أن تصـــنف الإحالة الداخلية بناء على تفريق يول وبراون بين التعابير المحيلة، وغير المحيلة إلى قسمين، هما:

- قســم يعــتمد علـــى كون المحال عليه تعبيراً محيلاً؛ وهنا يشترك العنصر الإحالي مع العنصر الإشاري في الإحالة على مرجع(خارج). تعالى: (**وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُـوءَ الْعَـذَابِ يُذَبِّحُـونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاء مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ**)[1] ، فاسم الإشـــارة ذلـــك يحـــيل علـــى الفعلين:(يذبحون ويستحيون) وهذان الفعلان يحيلان على حدثين متحققـــين؛ وهما المرجع(الخارج) الذي يشترك العنصر الإحالي(**ذلكم**) مع العنصرين الإشاريين: (**يذبحون أبناءكم**) و(**يستحيون نساءكم**) في الإحالة عليه.

ويمكـــن التمثيل عليه- أيضا- بإحالة الضمير المستتر في(**تبَّ**) في قوله تعالى: (**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَـبٍ وَتَبَّ**)[2]، فهو يحيل على عنصر إشاري لغوي سابق(**أبي لهب**)، ويشتركان معاً في الإحالة على ذات أبي لهب.

- قسم يتمثل بكون المحال عليه تعبيراً غير محيل، كما في قوله تعالى: (**وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**)[3]، فالعنصر الإحالي(**ذلك**) يحيل على فعلي الشرط:(**تصبروا، تتقوا**) وليس لهمـــا إحالة أو تحقق، فهما لا يحيلان على حدث كإحالة الفعلين: (**يذبحون، يستحيون**) في الآية التـــي ســـبقت الإشارة إليها. وكما في قوله تعالى:(**مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا**

([1]) البقرة: ٤٩.

([2]) المسد: ١.

([3]) آل عمران: ١٨٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

حَـوْلَهُ ذَهَـبَ اللَّـهُ بِنُورِهِمْ)[٤]، فالموصول(الذي) يحيل على تصور؛ وليس له مرجع يشاركه العائد(ــه) في (حوله) في الإحالة عليه.

ويمكــن القــول إن ثمة نوعاً آخر يجمع بين النوعين السابقين، يقوم على التعميم دون أن يكون فيه إلغاء للمرجعية، ويرى الباحث أن له شكلين:

- شـكل يكـون المرجع مذكورا ثم ترد إحالة معممة، ولكنها تتضمن الإحالة على مذكور سابق، كما في قوله تعالى: **(وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَىَ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّـا تُنـبِتُ الأَرْضُ مِـن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّـذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُواْ مِصْراً فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآؤُواْ بِغَضَبٍ مِّـنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْـتَدُونَ}** [٥]، فقد جاءت إحالة الموصول(**الذي هو أدنى**) في الآية السابقة إحالة معممة، ولكنها تحيل في الوقت نفسه على ما سبق ذكره، وهو(**البَقْلِ والقِثَّاء والفُوم والعَدَس والبَصَل**).

ويمكــن القول إن إحالة الموصول(**الذي هو خير**) معممة-أيضا- ولكنها تحيل في الوقت نفســه علــى عنصريين إشاريين سابقين، هما:(**المن والسلوى**) في قوله تعالى: **(وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)**[٦].

---

(٤) البقرة: ١٧.

(٥) البقرة: ٦١.

(٦) البقرة: ٥٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أما الشكل الثاني الذي يقوم على التعميم دون إلغاء المرجعية فيتعلق بأسباب النزول، حيث تتنزل آيات القرآن وسوره لمعالجة المواقف والأحداث، فيتم تعميم الإحالة لتحقيق ديمومة الخطاب القرآنـــي، كما في قوله تعالى:(**وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يتزكى وما لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى وَلَسَوْفَ يَرْضَى**)[٧]، فقد" قال المفسرون: نزلت الآيات في حق أبـــي بكر الصديق حين اشترى بلالاً وأعتقه في سبيل الله، فقال المشركون: إنما فعل ليدٍ كانت له عنده فنزلت" (**إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى**)[٨]. ويعتقد الباحث أن إحالة العنصر الإشاري (**الأتقى**) والعناصر الإحالية المشاركة له في الإحالة(**الذي يؤتي ، وبقية ضمائر الغائب المتصلة والمستترة فـــي الآيـــات السابقة**) إحالة معممة؛ وإن نزلت الآية في سياق الحديث عن أبي بكر- رضي الله عنه- ونفي ما ادعاه مشركو مكة.

وقـــد نظـــر الزمخشـــري لهذا الأسلوب القرآني على أنه وجه من وجوه الإعجاز، ففي معـــرض ذكره لأوجه إعجاز سورة الكوثر عدَّ استخدام لفظ شانئك، كناية عن العاص ابن وائل وجها من وجوه الإعجاز في السورة، حيث قال: " إنما ذكره بصفته لا باسمه، ليتناول كل من كان في مثل حاله"[٩].

والعبـــرة كمـــا يقـــال بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وهذه من خصوصية الأسلوب القرآني في إيراد العناصر الإشارية والإحالية، حيث تتنزل آيات القرآن العظيم وسوره، لمعالجة

---

(٧) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني ج٥/٨٧

(٨) الليل: ١٧- ٢١.

(٩) إعجاز سورة الكوثر، جار الله أبو القاسم؛ محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق حامد الخفاف، دار البلاغة، بيروت، ط١، ١٩٩١ ، ص: ٥٩

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المواقـف والأحـداث، فتشكل السورة أو الآيات التي نزلت في مناسبة ما نصا مستقلاً في سياق نـزولها، وهي في الوقت نفسه جزء من الخطاب القرآني الذي أُنزل للناس كافة، وهذا النوع من الإحالة يبرز أهم الوظائف التي تؤديها الإحالة في الخطاب القرآني.

ويـرى الباحث أن أنواع الإحالة التي يشير إليها علم لغة النص، أو التي ذكرها الجراح، أو التي أشار لها الباحث فيما سبق من هذا الفصل، يمكن أن تصنف إلى:

١. إحالة تأويلية [10]

ويقصـد بها الإحالات التي يكون المرجع اللغوي مفسرا للعنصر الإحالي، فلا يتأتى فهم المتلقـي لدلالـة العنصـر الإحالـي إلا مسـتعينا ببنـية لغـوية سابقة، أو بقدرته على تذكر المرجع(الخارج) الذي أحالت عليه هذه البنية على اعتبار أن المتلقي قد لا يتذكر الصيغ الأصلية، ولكن يحتفظ بذاكرته لتصور عقلي للمرجع.

وغالبا ما يُشار إلى أن الإحالة تخضع لقيد دلالي، وهو وجوب تطابق السمات الدلالية بين العنصر الإحالي ومرجعه. ويرى الباحث من خلال تتبعه للفعل الإحالي في النص القرآني، ومن خـلال النظـر فـي بعض أقسام مرجع الضمير عند السيوطي، وما أشار له الجراح، أن بعض الإحـالات لا تخضع لهذا القيد الدلالي، وأن العنصر الإحالي قد لا يتماثل تماما مع مرجعه، وقد يخالفـه؛ ومع ذلك يرى الباحث أن بعض العناصر الإشارية قد تكون مرجعا لعنصر إحالي رغم انتفاء الوحدة الدلالية. ويرى الباحث أن الإحالة التأويلية تنقسم إلى ثلاثة أقسام، هي:

([10])هذا المصطلح من وضع الباحث.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- **الإحالات التماثلية**

وقد سبقت الإشارة إلى أن هذا المصطلح من وضع الجراح، ويتصل مفهومه بالقيد الدلالي الذي تخضع الإحالة له، وهو وجوب المطابقة بين العنصر الإحالي ومرجعه في الجنس والعدد، غير أن الجراح وضعه في مقابل ما أسماه الإحالة التخالفية، وربطه بمسألة تغذية المرجع بعدد من العناصر الإحالية التي تشكل امتدادا إحاليا له، وقد ركز على جانب الامتداد الإحالي؛ لأنه- كما يعتقد الباحث- كان مهتما ببيان كيفية إسهام الإحالة في التماسك النصي.

و يرى الباحث أن التماثل ينبغي أن ينظر له من حيث تحققه في إطار البنية الإحالية (العنصر الإحالي ومرجعه)، دون ربط المسألة بالاشتراك الإحالي بين مجموعة من العناصر الإشارية والإحالية.

والأصل في الإحالة أن تكون تماثلية؛ ولعل هذا ما يقصد به علماء لغة النص بالقيد الدلالي، وما يشار إليه من أن الاتساق إنما يتحقق من خلال الوحدة الدلالية بين ما هو مذكور في جزء من النص وما هو مذكور في جزء آخر، فقد أشار بوجراند- مثلا- أن إعادة اللفظ مع اختلاف الدلالة يؤدي إلى اضطراب النص، و أشارت الدراسة-أيضا- إلى ما ذكره السيوطي من أن توحيد الضمائر في المرجع أولى من تفريقها حذرا من التشتت.

ويرى الباحث أن التماثل يتحقق بالاشتراك التام بين العنصر الإحالي ومرجعه في الإحالة، كما في قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ)[11] فالضمير

([11])البقرة: ٢٥٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المتصـــل بـــ(آتاه) يشترك مع مرجعه اللغوي(**الذي حاج**) في الإحالة على ذات الملك(نمرود بن كنعان).

- **الإحالات التخالفية**

وقـــد ســـبقت الإشارة إلى أن هذا المصطلح من وضع الجراح، وإلى ضرورة عدم تقييد مفهـــومه بقيد الاتحاد في اللفظ؛ لأن هذا النوع من الإحالة يتأتى بالإحالات الضميرية، وليس فقط بالإحـــالات التـــي تكـــون بإعـــادة اللفظ، ومن الإحالات التخالفية بإعادة اللفظ، ما نجده في قوله تعالى:(**الَّـــذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**) [١٢]، فقد ورد لفظ(الناس) مرتين في الآية السابقة، وهو يحيل في المرة الأولى على مجموعة من الناس، ويحيل في المرة الثانية على مجموعة أخرى، ويعتقد الباحث أن هذا الضرب مـــن الإحالة يمكن أن يعد من أدوات الاتساق رغم انتفاء التماثل الإحالي، لأن التجانس الصوتي، والاشتراك في المعنى المعجمي، ووضوح كون الإحالة تخالفية- يسهم في تماسك النص.

وقـــد وقف الباحث على شكلين يمكن أن يُعدَّا من أشكال الإحالة التخالفية؛ مستفيدا من تقسيم الســـيوطي لمرجع الضمير، فأما القسم الأول فيحيل الضمير على عنصر إشاري سابق؛ يشترك معه في السمات الدلالية، ويخالفه في الإحالة، كما في قوله تعالى:(**وَلَقَدْ خلقنا الإنسان مِن سُلَالَةٍ مِّـــن طِـــينٍ ثُـــمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ**)[١٣]؛ فالمحال عليه بلفظ الإنسان هو ذات آدم عليه السلام، أما المقصود بالضمير(ـــه) في (**جعلناه**) فهو نسل آدم عليه السلام.

([١٢]) آل عمران: ١٣٧.

([١٣]) المؤمنون: ١٢- ١٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أمـــا الشكل الثاني من الإحالات الضميرية التخالفية فيختلف عن الشكل السابق من حيث إن المحـــال عليه هنا ليس من جنس ما يحيل عليه الضمير؛ وهو ما عبر عنه السيوطي بقوله: وقد يعود الضمير على ما هو ملابس له، كما في قوله تعالى: **(كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا)**[١٤] فليس للعشية ضحى كما يقول السيوطي[١٥].

- **الإحالات الاجتزائية**[16]

ويقصد الباحث بهذا المصطلح شكلا من أشكال الإحالة الداخلية؛ لا يتماثل العنصر الإحالي فـيه مـــع مـــرجعه تمـــاثلا تاما؛ إنما يحيل على جزء مما يحيل عليه مرجعه اللغوي، وترتبط المعلـــومات المـــتعلقة أو المسندة للعنصر الإحالي، والمُتضمَّنة في سياق الإحالة بما يجتزئه من العنصر الإشاري المقابل له في بنية الإحالة.

ولهـــذا النوع من الإحالة مظاهر عديدة؛ وقف الباحث على بعضها من خلال تتبع الفعل الإحالـــي فـــي الـــنص القرآني، وبعضها وقف الباحث عليه من خلال النظر في تقسيم السيوطي لمـــرجع الضـــمير. ولعـــل أبـــرز مظاهـــر الإحالات الاجتزائية يقع فيما أسماه الباحث الإحالة الانقســـامية؛ حيث يتقاسم عنصران إحاليان- أو أكثر- محتوى العنصر الإشاري المقابل لهما في بنـــية الإحالـــة، كما في قوله تعالى:**(وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَـــتِلَانِ هَـــذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ**

---

(١٤) النازعات: ٤٦.

(١٥) انظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، مج١،ص:٥٧٦ .

(16)هذا المصطلح من وضع الباحث.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ)[١٧]. ويبدو جليا أن العلاقة بين العنصر الإحالي ومرجعه ليست علاقة تماثل تام؛ إنما هي علاقة اجتزاء.

ومن الإحالات التي يعتقد أنه ينطبق عليها مصطلح الإحالات الاجتزائية، ما يتمثل بأحد أقسام مرجع الضمير عند السيوطي؛ وهو أن يعود الضمير على بعض ما تقدم، كما في قوله تعالى: (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاء فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ) [١٨]، وفي هذه الآية يتمثل الامتداد الإحالي للعنصر الإشاري (أولادكم) بالعديد من الإحالات الاجتزائية، وقد تمت الإحالة عليه بالضمائر المتصلة بـ (كُنَّ، فَلَهُنَّ) والضمير المستتر في(كَانَتْ) والمتصل بـ(فَلَهَا) وهذه الضمائر تحيل على بعض ما يحيل عليه العنصر الإشاري(أولادكم).

وقد ذكر السيوطي آية أخرى يمكن القول إنها تتوفر على إحالة اجتزائية، وهي قوله تعالى: (وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوَءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)[١٩]، فالضمير المتصل(هن) بـ (بعولتهن)- كما يقول السيوطي- خاص بالرجعيات، والعائد عليه عام فيهن وفي غيرهن"[٢٠].

([١٧]) القصص: ١٥.

([١٨]) النساء: ١١ .

([١٩]) البقرة: ٢٢٨.

([٢٠]) معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي:٥٧٦/١ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٢.إحالة غير تأويلية[1]

ويُقصد بها الإحالات التي يتم فيها استدعاء مذكور سابق،لا لتأويل عنصر إحالي؛ إنما لوظيفة أخرى كما في الإحالات المقارنة؛ فهي تتأتى بالمقارنة بين شيئين من حيث أوجه الشبه أو الاختلاف، ولعل من الصعب في هذا النوع من الإحالة الحديث عن بنية إحالية، أو القول بمرجعية أحد الشيئين المقارن بينهما للآخر.ولا يعني ذلك نفي هذا النوع من الإحالة؛ فالمقارنة تجبر المتلقي على استدعاء مذكور سابق، وهذا الاستدعاء يشكل- كما يعتقد الباحث- امتدادا إحاليا للعناصر الإشارية.

ولعل الإحالات التكرارية المتمثلة بتكرار مجموعة من الألفاظ إحالات غير تأويلية؛ لأن المتلقي لا يعود إلى الوراء لتأويل عنصر إحالي. ومن الإحالات التي يمكن وصفها بأنها إحالات غير تأويلية ما ذكره الباحث من أن بعض الألفاظ تحيل على مقطع أو نص لنفيه. وترتبط الإحالات غير التأويلية بوظائف الإحالة، وستعرض الدراسة لها في الفصل الرابع.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

([1])هذا المصطلح من وضع الباحث.

الفصل الثالث

مظاهر الإحالة في النص القرآني

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الإحالة الشخصية

الإحالة الإشارية

الإحالة الخارجية

الإحالة الداخلية

الإحالة بالصفر

الإحالة على الصفر

الإحالة الانقسامية

الإحالة الاندماجية

الإحالة التكرارية

الفصل الثالث

مظاهر الإحالة في النص القرآني

يمكن القول إن أول ما ينبغي الإقدام عليه- إذا أردنا الوقوف على أشكال الإحالة في أي نص هو تتبع الفعل الإحالي في قراءة خطية، وتحديد طبيعة العناصر اللغوية التي تجعلنا نلتفت إلى الوراء،أو ننتظر اللاحق، أو تجعل المتلقي يلتفت إلى خارج النص؛ ليستعين بأشياء حسية غير لغوية، وأن لا نقدم معتمدين على أن العناصر الإحالية التي نعرفها مسبقا كافية لوصف مظاهر الإحالة في هذا النص.

إن القراءة الخطية للنص القرآني تدل على أن العناصر اللغوية التي يمكن عدها عناصر إحالية، تتجاوز ما يسمى في الدرس اللغوي عناصر إحالية **Anaphors**، فثمة عناصر لغوية متعددة في النص القرآني تجبر المتلقي على الرجوع إلى سابق أو انتظار اللاحق، وليست مما يسمى عناصر إحالية، ومنها لفظ(سؤلك) في قوله تعالى:**(قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى)**[1] فلا يمكن تحديد الدلالة الفعلية لهذه المفردة إلا باستدعاء سابق؛ يتمثل بنص تضمنته الآيات الآتية:**(قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيراً)** [2]، أي أن لفظ (سؤلك) في هذه السورة يفسره عنصر إشاري لغوي، ويشكلان معا بنية إحالية.

([1]) طه: ٣٦

([2]) طه: ٢٥-٣٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقد نجد ألفاظا تجبرنا على انتظار ما يرد ذكره لاحقا، ككلمة(تجارة) في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ)[1]، فهي تحيل على متأخر، وهو(تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ).

ويمكـــن بناء على ما سبق رفض اعتراض أحد الباحثين على الأزهر الزناد، حيث يقول: "يضاف إلى ذلك ما يقحمه بعض الدارسين في إطار الإحالة من ألفاظ كثيرة، من مثل: نفس وعين وبعض"[2]. والحقيقة أن الألفاظ التي أضافها الزناد ليست هي التي سبق ذكرها، وهي ألفاظ تقارب من حيث طبيعة فعلها الإحالي إحالة(سؤلك) المشار إليها، يقول الأزهر الزناد في معرض حديثه عمـــا أســـماه إحالـــة نصـــية:"تـــؤديها ألفـــاظ مـــن قبـــيل:(قصـــة،خبر، رأي، فعل)" [3].

ويمكن القول إن بعض الإحالات في النص القرآني تقوم على آلية أخرى تتمثل ببعض الألفاظ القرآنية التي تجبرنا على استدعاء سابق، لأنها تشير إليه لنفيه وإبطاله، كلفظ (سبحانه) في قوله تعالى:(وَقَالُواْ اتَّخَذَ اللّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ)[4]، فكلمة (سبحانه) اكتسبت نصيا القدرة على استدعاء مذكور سابق ونفي مضمونه. ولا نكاد نسمع

([1]) الصف: ١٠-١١.

([2]) تطور أدوات الاتساق النحوي والمعجمي في الخطاب الشعري العربي،محمد أحمد سامي أبو عيد، رسالة دكتوراة، جامعة اليرموك،٢٠٠١، ص: ٤٤.

([3]) نسيج النص، ص: ١١٩.

([4]) البقرة: ١١٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أو نقرأ كلمة(سبحان) في النص القرآني دون أن ندرك أنها تنفي عن الله- عز وجل- ما يصفه به كفار مكة أو المشركون، ويمكن تسمية هذا النوع من الإحالة بإحالة النفي. والجدول الآتي يوضح البنى الإحالية في الآيات السابقة:

المحال عليه	المحيل	نوع الإحالة
(قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيراً)	سؤلك	قبلية إحالة كلمة على نص
تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ	تِجَارَةٍ	بعدية إحالة كلمة على مقطع
اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا	سُبْحَانَهُ	قبلية إحالة كلمة على نص

الأدوات التي تحيل داخل النص القرآني متعددة؛ تتجاوز الضمائر وأسماء الإشارة والموصولات وحتى الألفاظ التي "تعد من الناحية النسبية خلو من أي محتوى ذاتي"[1] ومن الألفاظ القرآنية الأخرى التي يمكن أن يُستدل بها على ما سبق لفظ(غضب)في قوله تعالى:(بِئْسَمَا اشْتَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ بَغْياً أَن يُنَزِّلُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ فَبَآؤُواْ بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ)[2]؛ فالآية تعني" أن الله غضب على اليهود في قولهم

([1]) النص والخطاب والإجراء، ص: ٣٢٠.

([2]) المائدة: ٦٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(**يد الله مغلولة غلت أيديهم**) [1] ثم غضب عليهم في تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم حين دخل المدينة"فلكي يتم فهم الآية لا بد من الرجوع إلى ما يحيل عليه لفظ (**غضب**) في(**على غضب**) وهو قوله تعالى:(**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا**) [2].

وسيحاول الباحث أن يقف على مظاهر الإحالة في النص القرآني، انطلاقا مما أشار إليه، وهو أن مسألة الإحالة لا ترتبط بعناصر إحالية محددة، ومما أشار له الباحث في الفصول السابقة من أن للإحالة في القرآني أشكالا متعددة.

أولا: الإحالات الشخصية

ذكرت الدراسة في الفصل الثاني أن الإحالات الشخصية، ترتبط بثلاث مجموعات من العناصر الإحالية؛ وهي:محددات الملكية، وضمائر الملكية، والضمائر الشخصية، وذكرت أيضا أن اللغة العربية تخلو من محددات الملكية، وضمائر الملكية، وأننا نقابلهما في العربية بعبارة مركبة من حرف الجر(اللام) وأحد الضمائر المتصلة، أو بإضافة الشيء إلى أحد الضمائر.

ويمكن التمثيل لإحالة ضمائر الملكية بإحالة الضمير المتصل(ـــه) في قوله تعالى: (**إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ**)[3]؛ أما محددات الملكية فيمكن أن يُمثل لها بإحالة الضمير المتصل بـــ(لي) في قوله تعالى:(**وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاء مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي**)[4].

([1])المؤمنون: ٣١.

([2]) المائدة: ٦٤.

([3]) يوسف: ٤.

([4])فصلت: ٥٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أمـــا الضمائر الشخصية فتتضمن الأسماء الموصولة، وأسماء الإشارة، والضمائر، وتجدر الإشارة هنا إلى أن الإحالة الممتدة المؤداة بهذه العناصر تُعد عند هاليدي ورقية حسن نوعا خاصا مـــن الإحالات الشخصية؛ وستعرض الدراسة لهذه العناصر الإحالية في مبحثي الإحالة الداخلية والإحالة الخارجية فيما يأتي من هذا الفصل.

ثانيا:الإحالات الإشارية

أشارت الدراسة في الفصل الثاني إلى أن الإحالات الإشارية تتمثل بالعناصر التي تؤشر على المكان أو الزمان، أو تؤشر على شيء بتحديد موقعه قربا وبعدا، ويرى الباحث أن العناصر الـستي تحيل إحالة إشارية في النص القرآني هي:هنا، وهنالك، والآن، وإذاً، وبعض أسماء الإشارة من مثل(تلك،هؤلاء، هذا، هذان) وستعرض الدراسة لهذه العناصر الإحالية كلا على حدة.

هنا

ورد العنصر الإحالي هنا في النص القرآني باستخدامين مختلفين؛ يقارب الأول الاستخدام العادي له، ليؤشر على المكان القريب، دون أن تتضمن إحالته تسليط الضوء على طبيعة المكان المؤشر عليه؛ ويرتبط بالسياقات التي يرد فيها هذا العنصر الإحالي على لسان أشخاص في سياق القص، كما في قوله تعالى: **{قَالُواْ يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ)**[1] وقوله تعالى: **(يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لاَ يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا**

([1])المائدة: ٢٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا) [1]، وقوله تعالى: (أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ) [2]. وقد وردت هذه الآية على لسان صالح عليه السلام.

أما الاستخدام الثاني لهذا العنصر الإحالي، فيتمثل بما يسبق الإحالة من وصف للمحال عليه، وهذا يعني أن المتلقي يمتلك تصورا عنه، وقد ورد هذا الاستخدام مرة واحدة في قوله تعالى:(خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ)[3] فالإشارة إلى المكان تنص على طبيعته؛ فهو جهنم التي توعد الله بها الكافرون والعصاة.

هنالك

يتمثل المحال عليه باسم الإشارة(هنالك) في النص القرآني بالزمن المشار إليه، وما يتضمنه من أحوال آل إليها المحدث عنه في سياق الإحالة؛ لذا يمكن القول: إن هذا العنصر الإحالي تتضمن إحالته وصف الزمن المحال عليه؛ وهذا الإحالات تشعرنا بإحساس المحدث عنه بثقله، كما في قوله تعالى:(هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا)[4]، فهذه الآية تتحدث عن حال المسلمين في المدينة، وقد اجتمعت عليهم الأحزاب، ونقض بنو قريظة عهدهم، وكان المسلمون قد حفروا حول المدينة خندقا، إلا من جهة بني قريظة، فلما نقض هؤلاء العهد، اشتد الأمر على

([1]) آل عمران: ١٥٤.

([2]) الشعراء: ١٤٦.

([3]) الحاقة: ٣٥.

([4]) الأحزاب: ١١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المسلمين، وبات أحدهم لا يأمن على نفسه؛ هذا هو الزمن الذي يؤشر عليه(هنالك). وقد تضمنت وصفه الآيتين الآتيتين:(**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا**)[1].

و قد يكون إحساس المحدث عنه بالزمن المحال عليه على نحو آخر، كما في قوله تعالى:(**هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ**)[2]، فقد كان دعاء زكريا – عليه السلام– بعد أن لاحظ أنه كلما دخل المحراب، وشاهد مريم– عليها السلام– وجد عندها رزقا، وكان يسألها عن مصدره، فتقول هو من عند الله، فتذكر قدرة الله، ودعا ما دعا،(**فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيّاً مِنَ الصَّالِحِينَ**) [3].

وتتشابه الآيتين السابقتين في أن كليهما يعرضان لقدرة الله– عز وجل– وأنه لا يترك عباده الصالحين؛ فقد نصر المؤمنين في المدينة، إذ أرسل ريحا هزمت الأحزاب، وكفى الله المؤمنين شر القتال.أما في الآية الثانية فقد استجاب الله لزكريا.

وفي مقابل ذلك أن نجد أن اسم الإشارة(هنالك) يرد في سياق الحديث عن المكذبين بدعوة الأنبياء، أو بناصرهم، فتجري الإحداث لتنتهي إلى حال يغلبون فيه، كما في قوله تعالى:(**فَغُلِبُواْ**

([1]) الأحزاب: ٩– ١٠.

([2]) آل عمران: ٣٨.

([3]) آل عمران: ٣٩.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

هُنَالِكَ وَانقَلَبُواْ صَاغِرِينَ}[1]، فهذه الآية جاءت بعد أن جمع فرعون السحرة، وإذا بعصا موسى- عليه السلام- تلقف ما يأفكون.

وقد يرد في سياق الحديث عن حلول العذاب بالمكذبين، كما في قوله تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاء أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ)[2]، و كقوله تعالى:(فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ)[3].

وقد يحيل اسم الإشارة (هنالك) على زمن مستقبلي يتمثل بيوم القيامة، وما يتضمنه من أحداث ومشاهد، كما في قوله تعالى:(هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّواْ إِلَى اللّهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ)[4]، وكقوله تعالى: (وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا)[5].

الآن

ويشبه ورود هذا العنصر الإحالي في النص القرآني اسم الإشارة هنا،من حيث إن له استخدامين؛ يشير في الأول إلى زمن دون أن ترتبط هذه الإشارة بأمور أخرى، أي أنه لا تسبقه تراكيب تتضمن ما يُمكّن المتلقي من تصور لطبيعة الزمن المحال عليه، وكل ما يحصل من خلال

([1]) الأعراف: ١١٩.

([2]) غافر: ٧٨.

([3]) غافر: ٨٥.

([4]) يونس: ٣٠.

([5]) الفرقان: ١٣.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

الإحالة أن الحديث يرتبط بتحديد الزمن، فليس ثمة معلومات عنه قبل الإحالة،تضاف إليها المعلومات المعطاة عن هذا الزمن في سياق الإحالة، كما في قوله تعالى: **(وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا)**[1]، أما الاستخدام الثاني فتتضمن الإحالة ما آل إليه المحدث عنه في سياق الإشارة من أحوال، أي أن ثمة معرفة سابقة لدى المتلقي عن المرجع، توفر عليها مما قدمه النص سابقا، كما في قوله تعالى والحديث عن فرعون لحظة غرقه:**(آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ)**[2]، وكقوله تعالى:**(وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا)**[3].

وقد يرتبط الزمن المحال عليه بتحقق أمر ما، كما في قوله تعالى:**(قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ وَلاَ تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لاَّ شِيَةَ فِيهَا قَالُواْ الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ)**[4]، فالإحالة الإشارية بهذا الظرف تشير تقديم موسى- عليه السلام- لأوصاف البقرة التي أمروا بذبحها، وأقروا بتعرفهم إليها، فذبحوها وما كادوا يفعلون.

إذا

يمكن القول إن كلمة (إذاً) من العناصر التي تحيل إحالة إشارية في النص القرآني، وترد غالبا بعد جمل الشرط وقد ذكر ابن هشام أن الأكثر أن تكون جوابا لـ(إن، ولو) [5]؛ لذا يمكن القول:

([1])الجن: ٩.

([2]) يونس: ٩١.

([3])النساء: ١٨.

([4])البقرة: ٧١.

([5]) انظر: مغني اللبيب، ص:٣٠- ٣١.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

إنها تحيل على زمن مستقبلي غير متحقق لحظة التكلم، وتحققه مرتبط بتحقق الشرط؛ وترد في سياق حذر المتكلم من وقوع أمر ما كما في قوله تعالى على لسان أصحاب الكهف:(**إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا**)[1]، وكما في قوله- تعالى- مخاطبا نبيه محمدا- صلى الله عليه وسلم- ومخبرا له ما يرد به على كفار مكة، محذرا له من اتباع أهوائهم:)**قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قُل لاَّ أَتَّبِعُ أَهْوَاءكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ**)[2].

وهناك بعض العبارات المركبة التي يمكن القول إنها تحيل إحالة إشارية من مثل: (يوم، وحين) مضافين إلى مفرد- أو جملة- يتحدد به الزمن المشار إليه، وهو بهذا يشبه الموصول حيث لا يتحدد مرجعه إلا بجملة الصلة. ويمكن التمثيل على هذه الظروف بما في قوله تعالى:(**وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ**)[3]، وقد تأتي هذه العبارات مضافة للظرف(إذ) كما في قوله تعالى:(**وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ**)[4]، وقوله تعالى:(**مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ**)[5].

ويتمثل القسم الثاني من العناصر التي تحيل إحالة إشارية، ببعض أسماء الإشارة التي تؤشر على شيء في المكان- لا على المكان نفسه- وتعد إحالاتها غالبا إحالات داخلية، لأن في النص

([1]) الكهف: ٢٠.

([2]) الأنعام: ٥٦.

([3]) آل عمران: ١٦٦.

([4]) الواقعة: ٨٤.

([5]) الأنعام: ١٦.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

القرآني غالبا ما يشاركها في الإحالة، وتتأتي ببعض أسماء الإشارة من مثل: هذا، وهذه وتلك، وهذان وهؤلاء. والجدول الآتي يتضمن بعض الإحالات الإشارية بأسماء الإشارة السابقة:

الآية	العنصر الإحالي	المشار إليه
)وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ)[1].	هذا	كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ
)قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ)[2].	هذه	الناقة
)وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى) [3].	تِلْك	العصا
)قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى) [4].	هذان	موسى وهارون
(وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُواْ أَهَؤُلاء مَنَّ اللّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ)[5].	هؤلاء	ما يدل عليه بعض في(بِبَعْضٍ)

ثالثا: الإحالة الخارجية

يشير علماء لغة النص إلى أن الأدوار الرئيسة في النص تكون للمتكلم والمخاطب، أما الذوات الأخرى فلها أدوار ثانوية، ولعل هذا التصور هو ما انطلق منه سعيد البحيري حين عرض البحيري للبنية الإحالية لضمير الذات في النص القرآني، وأشار إلى ضمائر الجمع المحيلة

([1]) الأنعام: ٧.

([2]) الشعراء: ١٥٥.

([3]) طه: ١٧.

([4]) طه: ٦٣.

([5])الأنعام: ٥٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

على ذات المرسل-عز وجل- " بوصفها عناصر مركزية في السياقات[...]، ترتكز عليها الأحداث التي يريد الخالق أن يؤكدها للمخاطبين(المرسل إليهم الخطاب) وأنها من فعله وحده"[1].

ويرى الباحث أن الحديث عن الإحالات الخارجية في النص القرآني، يجب ألا يقتصر على تتبع إحالة ضمائر التكلم المحيلة على ذات المرسِل- عز وجل- وضمائر الخطاب المحيلة على ذات المرسَل- صلى الله عليه وسلم-؛ ففي النص القرآني يتعدد الخطاب والمخاطبون، والنبي محمد- صلى الله عليه وسلم- هو المتلقي الأول للنص القرآني والمبلغ له. وقد يكون الخطاب موجها مباشرة لغير الرسول- صلى الله عليه وسلم- كما في قوله تعالى: **(إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)**[2]، فقد وردت هذه الآية في سياق تحريض المؤمنين على القتال، ونصرة النبي- صلى الله عليه وسلم- والخطاب هنا مباشر بضمير الجمع.

وقد ذكرت الدراسة في الفصل الثاني أن الإحالة الخارجية تقسم إلى قسمين: إحالات خارجية عامة، وإحالات خارجية محددة.وأغلب هذه الإحالات تكون بضمائر التكلم والخطاب، كما في أول ما نزل من القرآن، وهو قوله تعالى:**(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)**[3]، فضمير المخاطب المستتر في الفعل(اقرأ) والمتصل في لفظ(ربك) يحيلان على النبي محمد صلى الله عليه وسلم،

([1]) دراسات لغوية تطبيقية، سعيد البحيري، ص: ٩٨.

([2]) التوبة: ٤٠.

([3]) العلق: ١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وكما في قوله تعالى: (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ)[1]، فضمير الجمع المستتر في الفعل (نشرح) يحيل على ذات المرسل عز وجل بينما تحيل ضمائر الخطاب في(لك، صدرك) على ذات المخاطب محمد صلى الله عليه وسلم .

ويرى الباحث أن السياقات التي ترد فيها إحالات خارجية على ذات المرسل- عز وجل- سياقات متعددة ومختلفة من حيث الوظيفة التي تؤديها، فقد تكون في سياق تثبيت النبي وامتنان المرسل عز وجل بنعمه عليه، كما في قوله تعالى:(أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ)[2]. وقد تكون لبيان الوظيفة الموكلة إلى النبي محمد- صلى الله عليه وسلم- كما في قوله تعالى:(إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ)[3].

وقد تكون لتعظيم القرآن كما في قوله تعالى:(إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ)[4]. وقد ترد في سياق الحديث عما أعده الله للكافرين يوم القيامة، كما في قوله تعالى:(إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا)[5].

ولا تقتصر الإحالات الخارجية على ضمائر التكلم والخطاب، فقد ترد ضمائر الغائب لتحيل على مرجعها مباشرة، دون أن يكون في النص عنصر إشاري لغوي يشاركها في الإحالة. ويغلب أن يكون المحال عليه في مثل هذه الإحالات هو النبي محمد صلى الله عليه وسلم، والقرآن

([1]) الشرح: ١.
([2]) الشرح: ١.
([3]) فاطر: ٢٤.
([4]) القدر: ١.
([5]) الإنسان: ٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومشركو مكة، فهذه العناصر الإشارية غير اللغوية هي التي غالباً ما تفسر ضمير الغائب في إحالاته الخارجية.

وقد أشار محمد حسين صبرد إلى المسألة السابقة حيث ذكر من صور" مرجع ضمير الغائب في القرآن الكريم أن يعود [...] على غير مذكور،[ويقول] ونجد في التراكيب كلمة أو أكثر تدل عليه، وأكثر ما يكون ذلك حينما يكون المرجع هو القرآن الكريم ومشركو مكة وتبليغ الدعوة"[1].

وترتبط الإحالات الخارجية لضمائر الغيبة بسياقات متعددة، ولعل أبرزها ما يرد في سياق الحديث عن إنكار مشركي مكة للقرآن ونبوة محمد، فتجتمع في مثل هذه السياقات الإحالة على النبي والقرآن ومشركي مكة بضمير الغائب؛ ويكون السياق دالا على مرجع الضمير، كما في قوله تعالى:(**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاه**)[2]، وقوله تعالى:(**أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ**)[3].

وتجتمع في بعض السياقات الإحالة الخارجية بضمير المتكلم أو المخاطب مع الإحالة الخارجية بضمير الغائب، كما في قوله تعالى:(**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ**)[4]، فضمير الجمع يحيل على ذات المرسل– عز وجل– ويحيل ضمير الغائب المتصل بـ(**أنزلناه**) على القرآن الكريم. وقد اجتمعت الإحالة الخارجية بضمائر التكلم والغائب والمخاطب في قوله تعالى:(**فإنما يسرناه بلسانك**)، فقد

([1])مرجع الضمير في القرآن الكريم، محمد حسنين صبرة، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة،٢٠٠١،ص:١٧.

([2]) السجدة: ٣.

([3]) الطور: ٣٣.

([4]) القدر: ١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أحال ضمير الجمع على ذات المرسل-عز وجل- وأحال ضمير الغائب على القرآن الكريم، وأحال- أيضا- ضمير المخاطب على النبي محمد- صلى الله عليه وسلم.

و ترد الإحالات الخارجية في السياقات التي تتضمن الطلب إلى النبي عدم الحزن على كفار مكة لعدم إيمانهم، كما في قوله تعالى:(**وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللّهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ**)[1].

وقد ترد الإحالات الخارجية بضمائر الغائب الجمع في سياق الإجابة عن أسئلة يُسألها النبي، كما في قوله تعالى:(**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**)[2] وقوله تعالى: (**وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاء قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاء اللَّاتِي لاَ تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا**)[3].

وقد يحيل ضمير الغائب على مرجعه مباشرة في سياقات أخرى، وهي تقارب ما ذكره السيوطي من أن المرجع يضمر ثقة بفهم السامع[4]، وما ذكره ابن قتيبة حيث قال:" ومن الاختصار أن تضمر لغير مذكور كقوله- عز وجل:(**حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ**) يعني الشمس، وقوله

([1])النمل: ٧٠.

([2]) البقرة: ١٨٦.

([3]) النساء: ١٢٧.

([4])معترك الأقران في إعجاز القرآن: ١/ ٥٧٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تعالى:(مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ)[1] يريد على الأرض، وقال: (فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا) [2] يعني الوادي وقال: (وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا)[3] يعني الدنيا أو الأرض[4].

ومن المسائل التي يجب الالتفات لها أن بعض الإحالات الضميرية بضمير الغائب قد تعد خارجية بالالتفات إلى سياق القص، كما في قوله تعالى: (قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ) [5]، فموضوع الحديث بين ابنة مدين- عليه السلام- وأبيها هو موسى- عليه السلام- وسياق الموقف يجعل مثل هذه الإحالة صالحة للتعرف، أما إذا التفتنا إلى المتلقي للنص القرآني فسيجد في السورة غير لفظ يشارك الضمير في الإحالة.

ومن الإحالات الخارجية التي تعتمد على سياق الموقف إحالة الضمير المتصل(ـه) بـ(عَلَيْهِ) في قوله تعالى:(وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ)[6]، فقد تكررت هذه الآية خمس مرات في سورة الشعراء على لسان كل من نوح وهود ولوط وصالح وشعيب ومحمد عليهم الصلاة والسلام، ليحيل هذا العنصر الإحالي في كل مرة (ـه) على تبليغ النبي للدعوة.

ويعتقد الباحث أن إحالة أسماء الإشارة- التي تعد إحالاتها إحالات إشارية- يمكن تصنيفها إلى إحالات داخلية وإحالات خارجية؛ لأن المشار إليه يكون مذكورا في معظم السياقات، إما

([1]) فاطر: ٤٥.

([2]) العاديات: ٤.

([3]) الشمس: ٣.

([4]) تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، تحقيق، أحمد صقر، المكتبة العلمية، بيروت ١٩٨١، ط٣،ص:٢٢٦.

([5]) القصص: ٢٦.

([6]) الشعراء: ١٨٠،١٦٤،١٤٥،١٢٧،١٠٩.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

متأخرا عنه في حالة الإبدال منه، أو سابقا- وهنا يختلف المدى الإحالي قربا وبعدا- وقد يكون غير مذكور في بعض السياقات. .

ومما يجدر ذكره هنا أيضا أن أغلب السياقات التي تؤشر فيها أسماء الإشارة دون توسط عناصر إشارية لغوية، يكون المحال عليه فيها هو القرآن الكريم كما في قوله تعالى: **(تِلْكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ)**[1] .فاسم الإشارة(هذا) في الآية السابقة يحيل على مرجعه(القرآن) وليس في سياق الإحالة عنصر إشاري لغوي يدل عليه؛ كالكتاب،أو الذكر، أو الفرقان، أو أي اسم يدل على هذا المرجع.

وقد يكون المحال عليه بأسماء الإشارة دون ذكر اسم المشار إليه مشركي مكة، كما في قوله تعالى: **(أُوْلَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاء فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَافِرِينَ)**[2].

وقد تعتمد الإحالة بأسماء الإشارة على مرجعها مباشرة على سياق الموقف، كما في قوله تعالى:**(وَعَدَكُمُ اللّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا)**[3] فاسم الإشارة(هذه) يحيل على غنائم خيبر، وهذه الإحالة صالحة للتعرف وقت نزول الآية؛ بينما نحتاج لمعرفة أسباب النزول لنتعرف إلى مرجع اسم الإشارة(هذه).

([1]) هود: ٤٩.

([2]) الأنعام: ٨٩.

([3]) الفتح: ٢٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

رابعا:الإحالة الداخلية

سبق الحديث في الفصل الثاني عن أنواع الإحالة، وعرضت الدراسة فيه أنواعا يعتقد الباحث أنها يمكن أن تضاف إلى أنواع الإحالة الداخلية، ويمكن استثمارها لوصف الامتداد الإحالي؛ فغالبا ما يوصف بتتبع العناصر الإحالية المرتبطة بعنصر إشاري ما، تتطابق معه دلاليا، بينما يرى الباحث أن للامتداد الإحالي للعناصر الإشارية أشكالا أخرى، وستحاول الدراسة الوقوف في هذا المبحث على مظاهر الإحالة الداخلية في النص القرآني، ويرى الباحث أن يُبتدأ بأقسام الإحالة الداخلية، باعتبار تقدم المرجع أو تأخره.

١.الإحالة القبلية

سبقت الإشارة إلى أن الأصل في الإحالة أن تكون إحالة داخلية قبلية، كما يشير علماء لغة النص، وكما ورد عند السيوطي؛ لذا فمن الطبيعي أن نجد أن الإحالة الداخلية القبلية في النص القرآني هي الأكثر ورودا.

والإحالات المعجمية أو إحالة كلمة على كلمة- بالنظر شكل البنية الإحالية في النص- هي الأكثر أنواع الإحالة الداخلية ورودا في النصوص عامة[1]، ولا تكاد تخلو مفردة من مفرداته من ضمير متصل أو ضمير مستتر، ومن المعروف أن الضمير- غالبا- يعود على مفسر، يتمثل بكلمة مفردة(اسم) أو ما هو بمنزلتها، كالمصدر المؤول أو المتصيد. ويمكن إدراك وفرة الإحالات المعجمية في النص القرآني إذا عرفنا أن العناصر التي تُؤدى بها هذه الإحالات لا تقتصر على الضمائر؛ فعلى سبيل المثال نجد في قوله تعالى:(**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ**

([1]) انظر: نسيج النص، الأزهر الزناد، ص: ١١٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا)[1] عددا من الإحالات القبلية، وهي الإحالة على لفظ الجلالة (الله) بـــ (الذي، هو(أنزل، يجعل)، ـــه(عبده)، والإحالة على العنصر الإشاري(الكتاب) بـــ (ـــه) في (له)).

وتسهم الإحالات الداخلية القبلية بشكل جلي في تحقيق التماسك النصي، من خلال الوحدة الإحالية بين المحيل والمحال عليه، والامتداد الإحالي؛ حيث يسهم هذا الامتداد في الوحدة الموضوعية، وذلك عندما تتوالى الإحالات على عنصر إشاري ما، وتكون هذه الإحالات مُتضمّنة في تراكيب تتوفر على معلومات يقدمها النص عن المرجع؛ الذي تشترك العناصر الإحالية مع العنصر الإشاري في الإحالة عليه.

ولا يعني ما سبق أن العناصر الإحالية لا تتمايز فيما بينها؛ فالضمائر- غالبا- ترد للاختصار، ولتجنب تكرار العنصر الإشاري، ولا ترتبط إحالاتها- كما يعتقد الباحث- بجعل المتلقي يلتفت إلى تصور للمرجع؛ يتأتى بتراكم المعلومات المقدمة عنه قبل الإحالة؛ إنما ترتبط بتحديد المرجع الذي تحيل عليه هذه الضمائر. ويعدل عن الضمائر للموصولات لأغراض متعددة منها إرادة وصف المرجع، وقد أشار تمام حسان لهذه المسألة[2].

أما أسماء الإشارة فهي ترد في كثير من الأحيان بعد أن يسبق ذكر وصف أو أفعال، أو أقوال متعلقة بالمرجع، ثم ترد أسماء الإشارة بعد أن تمكن المتلقي من تصور المرجع؛ لذكر مصيرهم، أو الحكم عليهم بأمر ما. ويمكن الوقوف على الفرق بين وظائف العناصر الإحالية الثلاثة السابقة من خلال الآيات الآتية: (الم ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ

([1]) الكهف: ١.

([2]) انظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان: ١/١٣٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ أُولَئِكَ عَلَى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [1].

يتمثل الامتداد الإحالي للعنصر الإشاري(المتقين) في الآيات السابقة، بتوفرها على ثلاثة أنواع من العناصر الإحالية؛ وهي: الأسماء الموصولة(الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ، وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ) والضمائر المتصلة بـ(يُؤْمِنُونَ وَيُقِيمُونَ يُؤْمِنُونَ يُوقِنُونَ) والضمير المنفصل(هُمْ) التي تحيل عليه. أما النوع الثالث من العناصر الإحالية، فيتمثل بـ(أُولَئِك) وهو اسم إشارة. ويتمثل دور الضمائر والأسماء الموصولة بورودها في سياق وصف المرجع، ولما تنتهي الآيات من وصف المرجع وتحديده، وبناء التصور الذهني له، يأتي دور اسم الإشارة لتقديم معلومة جديدة، فالمرسل- عز وجل- يخبرنا أن من تنطبق عليهم الأوصاف السابقة لاسم الإشارة، ينطبق عليهم الحكم والخبر الذي يحمله اسم الإشارة للمرجع.

ويرى الباحث هنا ضرورة الإشارة إلى مسألتين: الأولى أن الإحالات السابقة لاسم الإشارة- وهي مؤداة بالموصولات والضمائر- إحالات غير إسنادية؛ أما الإحالة المؤداة باسم الإشارة (أولئك) فهي إحالات إسنادية،أما المسألة الثانية فهي أن ثمة فرقا بين إحالة اسم الإشارة (أولئك) والإحالات السابقة؛ فهي وإن اشتركت في الإحالة على مرجع واحد إلا أن المحال عليه باسم الإشارة يتمثل بتصور يتضمن الأوصاف السابقة جميعا.

---

(1) البقرة: ١- ٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولهذا الاختلاف في طبيعة العمل الإحالي له دور واضح في تحقيق مقاصد النص القرآني، ومن ثم في تحقيق نصيته؛ ويرى الباحث أن من الممكن أن نعد الآيات السابقة نصا من نصوص الخطاب القرآني.

وثمة عناصر لغوية غير الضمائر والموصولات وأسماء الإشارة تحيل على السابق، وهي تتشابه مع العناصر الإحالية السابقة من حيث تكتسب دلالتها من مرجعها الذي تحيل عليه، وتختلف عنها من حيث تتوفر على سمات دلالية غير الجنس والعدد؛ وقد ذكرت الدراسة في بداية هذا الفصل عددا من هذه الألفاظ.

ولعل أبرز العناصر الإحالية التي تحيل على السابق هي الضمائر وأسماء الإشارة، وتقتصر الدراسات اللغوية التي تعرض للإحالة على هذه العناصر؛ ولكن تتبع الفعل الإحالي- كما ذكر الباحث في بداية هذا الفصل- يعكس غير ذلك، فالأسماء الموصولة، والوصف، والظروف، والمصدر، والمعرف ب(أل) قد تحيل على السابق،والجدول الآتي يتضمن عناصر أخرى تحيل إحالة داخلية:

الآية	العنصر الإحالي	نوعه	المرجع (العنصر الإشاري)	نوعه
(ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ) [1]	ـــه(فيه)	ضمير	**الكتاب**	عنصر إشاري معجمي
(مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُأُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَواوَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّار)[2]	تِلْكَ	اسم إشارة	**الْجَنَّةِ**	عنصر إشاري معجمي

(1) البقرة: ١

(2) الرعد: ٣٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي[1]	الَّتِي	اسم موصول	إِحْدَاهُمَا	عنصر إشاري معجمي
(فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى)[3]	الآخرة	وصف	قول فرعون (أنا ربكم الأعلى)[2]	نص
	الأولى	وصف	قول فرعون(ما علمت لكم من إله غيري)[4]	نص
(فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا) [6]	قَوْلِهَا	مصدر	(يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ)[5]	نص
(وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُواْ يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ)[8]	الرِّجْزُ	وصف	(الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ)[7]	عناصر إشارية معجمية متعددة

٢. الإحالة البعدية

يمكن القول إن العناصر التي تحيل على متأخر في النص القرآني متعددة، تتجاوز ضمير الشأن أو الضمير المتأخر في اللفظ دون الرتبة، وقد أشارت الدراسة في الفصل الثاني إلى أن هذا النوع من الإحالة ينظر له مراعاة للمتلقي؛ فالألفاظ التي تحيل على اللاحق هي التي تجبر المتلقى

([1]) الحجرات: ٩.

([2]) النازعات: ٢٤.

([3]) النازعات: ٢٥.

([4]) القصص:٣٨.

([5]) النمل: ١٨.

([6]) النمل: ١٩.

([7]) الأعراف: ١٣٣.

([8]) الأعراف: ١٣٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

على الانتظار لمعرفة المرجع الذي ترتبط به- غالبا- المعلومات المُتضمَّنَة في الجمل المتوفرة على عنصر إحالي مبهم؛ لا يشترك مع عناصر إشارية سابقة في الإحالة[1]، ولا يمكن للمتلقي تأويله اعتمادا على سياق الموقف.

وتتمثل الإحالة البعدية في النص القرآني مظاهر متعددة، أبرزها:

- عود الضمير على متأخر

وقد أنكر محمد الشاوش أن تعد إحالة الضمير المتأخر في اللفظ دون الرتبة، من قبيل الإحالة البعدية، غير أن الباحث يرى أن وصف الفعل الإحالي يرتبط بالمتلقي وبشكل بنية النص دون الالتفات إلى القيود النحوية للإضمار، وهذا الضمير متقدم على العنصر الإشاري المفسر له، ويجبر المتلقي على انتظار اللاحق.وقد وقف الباحث على ثلاثة إحالات في النص القرآني ورد فيها الضمير متأخرا في اللفظ، وهي: قوله تعالى: **(فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ)** [2]، وقوله تعالى:**(قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ)**[3] وقوله تعالى:**{فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى)**[4].

أ.إحالة الضمير على البدل في حالة الإبدال من المضمر ، كما في قوله تعالى : **{لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّواْ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ)**[5].

([1]) النص والخطاب والإجراء، ص: ٣٢٧.

([2]) الرحمن: ٣٩.

([3]) القصص: ٧٨.

([4]) طه: ٦٧.

([5]) الأنبياء: ٣.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

- إحالة ضمير الشأن

وتختلف طبيعة الفعل الإحالي لضمير الشأن من عدة وجوه،[1] منها: أنه لا يفسر بمفرد، إنما تفسره جملة لاحقة؛ وهذا يعني أن إحالته تكون بعدية بناء على تأخر العنصر الإشاري، وتكون من قبيل الإحالة الممتدة، فهو كما يقول سعيد البحيري: يتيح امتداد الخبر.

وقد عرض البحيري لعدد من وظائف ضمير الشأن في النص القرآني، وعرض أيضا لبعض المسائل الخلافية بين النحاة والمفسرين حول هذا الضمير، وأبرز هذه الخلافات ينعكس على تصورنا لشكل البنية الإحالية، وتحديد العنصر الإشاري المشارك للضمير في الإحالة، وذلك حينما يحتمل هذا الضمير أن يكون ضميرا شخصيا، يشترك مع عنصر إشاري سابق في الإحالة، كما في قوله تعالى:(جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا)[2]، ففي هذه الآية يحتمل أن يكون العنصر الإشاري المشارك للضمير المتصل بـــ(إنه) هو لفظ(الرحمن)، وقد يكون ضمير شأن فتكون إحالته بعدية[3].

وقد عد تمام حسان بعض أسماء الإشارة ضمائر شأن، تفسرها جملة لاحقة، حيث يقول: "يستعمل ضمير الإشارة استعمال ضمير الشأن فيدخل على جملة تامة التركيب يتضح بها المضمون الذي أشير إليه بضمير الإشارة، فكأن الإشارة للشأن تشير إلى متأخر لفظا ورتبة"[4]،

([1]) انظر: مغني اللبيب، ابن هشام، ص: ٦٣٦- ٦٣٧.

([2]) مريم: ٦١.

([3]) دراسات لغوية تطبيقية، سعيد البحيري، ص: ١١٧.

([4]) البيان في روائع القرآن، تمام حسان،ج١، ص: ٤٤- ٤٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومن الأمثلة التي ذكرها قوله تعالى:(ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا)[1]، "أي إنه جزاؤهم جهنم"[2]

ويختلف شكل ظهور هذا العنصر الإحالي؛ فقد يكون متصلا، كما في قوله تعالى:(إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ) [3]، وقد يكون منفصلا، كما في قوله تعالى: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) [4]، وقد يكون مقدرا فتكون إحالته مما يسميه الباحث الإحالة بالصفر، كما في قوله تعالى:(وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)، فاسم(أنْ) في (كأن لم يسمعها) إذا عددنا (أن) مخففة من الثقيلة، هو ضمير الشان المحذوف.

إحالة أسماء الإشارة على البدل

تعتمد استعمال أسماء الإشارة- غالبا- على ذكر المشار إليه، فتتشكل بنية إحالية مكونة من اسم الإشارة والعنصر الإشاري اللاحق(البدل)، ولعل هذه البنية الإحالية من أبسط أشكال الإحالة لتجاور مكوناتها؛ فما إن يصل المتلقي إلى العنصر الإحالي حتى يقدم له النص عنصرا إشاريا لغويا يفسره. ومن أمثلته في النص القرآني إحالة اسم الإشارة في قوله تعالى:(ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ) [5]. ويكون العنصر الإشاري وسيطا بين العنصر الإحالي ومرجعه،

([1]) الكهف: ١٠٦.

([2]) المرجع السابق، ج٢، ص: ٢١- ٢٢.

([3]) المؤمنون: ١٠٩.

([4]) الإخلاص: ١.

([5]) البقرة: ٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقد يتوسط العنصر الإشاري بين اسم الإشارة ومرجع لغوي لاحق، كما في قوله تعالى: **(وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاء مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ)** [1].

الاسم الموصول(ما)

وتقوم الإحالة البعدية لهذا العنصر الإحالي على التفصيل بعد الإجمال، ويكون المحال عليه ممتدا؛ لذا فإن هذه الإحالة تعد إحالة بعدية ممتدة؛ تتوفر على عناصر إشارية متعددة، تُسند لها المعلومات (الحكم) المُتضمن في الجملة التي ورد العنصر الإحالي فيها، كما في قوله تعالى:

(قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)[2].

وقد أوردت الآية السابقة الموصول ما مجمل، ثم جاء تفصيله لاحقا؛ وجملة الصلة تنص صراحة على أن الآتي هو تفسير للعنصر الإحالي. ويرتبط مجيء البنية الإحالية على هذا النحو بالسياق؛ فالمتلقي يريد أن يتعرف إلى حقيقة المرجع، الذي اشترك الموصول مع العناصر الإشارية المتأخرة عنه في الإحالة على هذا المرجع.

وفي النص القرآني عناصر لغوية يمكن القول إنها تحيل على اللاحق؛ كلفظ(**خير، وشر، وتجارة، وميثاق، الأخسرين**) في الآيات الآتية:

([1]) الحجر: ٦٦.

([2]) الأنعام: ١٥١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- (قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ)[1].
- (قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللّهِ مَن لَّعَنَهُ اللّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَاناً وَأَضَلُّ عَن سَوَاء السَّبِيلِ)[2].
- (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ)[3].
- (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لاَ تَسْفِكُونَ دِمَاءكُمْ وَلاَ تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ)[4].
- (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً) [5]

الإحالات ذات المدى القريب

أشارت الدراسة في الفصل الثاني إلى أن الإحالة الداخلية، تقسم بناء على المسافة الفاصلة بين العنصر الإحالي ومرجعه إلى قسمين: إحالة في حدود الجملة؛ فتكون ذات مدى قريب، وإحالة متجاوزة لحدود الجملة؛ فتكون ذات مدى بعيد. وأشارت الدراسة- أيضا- إلى أن

([1]) آل عمران: ١٥.

([2]) المائدة: ٦٠.

([3]) الصف: ١٠- ١١.

([4]) البقرة: ٨٤.

([5]) الأنعام: ١٠٣- ١٠٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الباحث يميل إلى اتخاذ كون الإحالة في حدود آية أو متجاوزة لها معيارا لبعد الإحالة أو قربها؛ وذلك لطبيعة النص القرآني.وغالبا ترتبط الإحالات في حدود الآية بعنصر إشاري واحد يكون هو المحدث عنه؛ فتكون الإحالة في حدود الآية الواحدة صالحة للتعرف .

ونجد في النص القرآني- كما أشارت الدراسة في فصل أنواع الإحالة- إحالات ذات مدى قريب تكون في آية واحدة، يجتمع فيها العنصر الإحالي ومرجعه اللغوي؛ ولا يبرح المتلقي للنص القرآني حدود هذه الآية لتأويل العنصر الإحالي، أو لمعرفة الوظيفة التي تؤديها الإحالة؛ إذا كانت- مثلا - لنفي المحال عليه أو إثباته.

والأغلب في الإحالات أن تكون ذات مدى قريب؛ لأن طول المسافة بين المحيل والمحال عليه ، قد تجعل الإحالة غير صالحة للتعرف، مما يؤدي إلى توقف التواصل بين المتلقي والنص، بسبب عدم تمكنه من فهم المحيل، ومن الإحالات ذات المدى القريب، ما نجده في قوله تعالى: **(الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السماوات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم)**[1]

فقد أحيل على لفظ الجلالة (الله) غير مرة ، والعناصر الإحالية التي تحيل عليه ، هي :

- الضمير المنفصل (هو) مرتين (**هو الحي القيوم \ وهو العلي العظيم**).

- الضمير المستتر في (**الحي ، القيوم ، يعلم ،شاء ، العلي ، العظيم**).

- الضمير المتصل (**تأخذه ، له ، عنده ، بإذنه ، علمه ، كرسيه ،يؤوده**).

([1]) البقرة: ٢٥٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وجميع هذه الإحالات في حدود الآية، تربط بين عدد من مكوناتها لفظ الجلالة والعناصر التي تحيل عليه ؛ ولعل توالي الإحالات على هذا المرجع اللغوي (لفظ الجلالة) هو ما يشعرنا بتماسك هذه الآية ، وشدة ترابطها فموضوعها المتمثل بالمرجع غير اللغوي – وهو ذات المرسل عز وجل– هو ما تشترك العناصر الإحالية السابقة ، ومرجعها اللغوي لفظ الجلالة، في الإحالة عليه.

الإحالات ذات المدى البعيد

وفي النص القرآني إحالات، يتجاوز مداها الإحالي الآية الواحدة فتحيل على آية مجاورة لها ، أوتحيل بين الآيات المتباعدة في فضاء النص القرآني؛ كما في قوله تعالى:

(وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَىَ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُواْ مِصْراً فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآؤُواْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ)[1].

فالاسم الموصول (الذي هو خير) يحيل على آية أخرى سابقة، تضمنت المرجع اللغوي الذي يفسره –وإن كان هنا عام الدلالة – وهو متعدد (المن والسلوى) وهو ما تضمنته الآية الآتية:

(وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)[2].

([1]) البقرة ٦١

([2]) البقرة ٥٧

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

و يحيل الاسم الموصول (**الذي هو أدنى**) في حدود الآية ؛ فهو يحيل – وإن كان يحتمل عموم الدلالة أيضا– على(**البقل والقثاء والفوم والعدس والبصل**). ويبدو واضحا الربط الذي تحدثه مكونات الجملة القرآنية(**أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير**) بين أجزاء النص القرآني المتجاورة والمتباعدة.

ومن الإحالات الضميرية بين الآيات ما نجده في قوله تعالى:(**قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاء اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ**)[1]، فالضمير المنفصل (هي) يحيل على لفظ(البقرة) في آية سابقة، وهي قوله تعالى: (**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُواْ بَقَرَةً قَالُواْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ**)[2].

وفي النص القرآني بعض الإحالات المتجاوزة لحدود السورة الواحدة، يحيل جزء منها على سورة أخرى، ومن هذه الإحالات ما نجده في قوله تعالى: (**ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ**)[3]. و قوله تعالى: (**ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ**)[4] فلفظا: (قرنا ، وقرونا) يحيلان على سورة الأعراف، و(قرنا) يعني:(عاد) و(قرونا) تعني: ثمود، وقوم لوط، ومدين، وقوم شعيب. أما لفظ رسولا في قوله تعالى:(**فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ**)[5] فالمقصود به هود– عليه السلام–أما في قوله تعالى: (**ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ**

([1]) البقرة ٧٠

([2]) البقرة ٦٧

([3]) المؤمنون: ٣١.

([4]) المؤمنون: ٤٢.

([5]) المؤمنون: ٣٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أُمَّةٌ رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضاً وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْداً لِقَوْمٍ لا يُؤْمِنُون) [1] فالمقصود بلفظ (رسلا) هو: صالح ولوط وشعيب عليهم السلام[2].

ومن الإحالات المتجاوزة لحدود السورة إحالة لفظ (غضب) في قوله تعالى:(بِئْسَمَا اشْتَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ بَغْياً أَن يُنَزِّلُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ فَبَآؤُواْ بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِين)"[3] فكلمة (غضب) الثانية تحيل على سورة المائدة، فهذه الآية تعني "أن الله غضب على اليهود في قولهم(وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِم)[4] ثم غضب عليهم في تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم حين دخل المدينة" [5] فلكي يتم فهم الآية لا بد من الرجوع إلى ما يحيل عليه لفظ (غضب)في (على غضب)وهو قوله تعالى على لسان اليهود (**يد الله مغلولة**)،وهذه الإحالة من قبيل الإحالة التخالفية فالغضب في (**بغضب**) ليس نفسه في (**على غضب**) .

ومن الإحالات بين السور إحالة سبقت الإشارة إليها، وهي إحالة الاسم الموصول(**ما**) في قوله تعالى: (وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تَأْكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ)[6]، فالتفصيل الذي تتحدث عنه الآية- كما يقول أكثر المفسرين- تضمنته الآية الثالثة من سورة المائدة[7].

([1]) المؤمنون: ٤٦.

([2]) سبقت الإشارة إلى هذه الإحالات في مبحث الإحالة على متعدد (فصل أنواع الإحالة)، وسيعرض لها مرة أخرى فيما يأتي من هذه الفصل في مبحث الإحالة التكرارية في النص القرآني.

([3]) البقرة: ٩٠.

([4]) المائدة: ٦٤.

([5]) معاني القرآن، الفراء:٦٠١١.

([6])الأنعام: ١١٩.

([7]) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين النيسابوري، تحقيق: زكريا عميرات ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٦: ١٥٢/٣.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

ومن الإحالات بين السور إحالة لفظ (الآخرة) في قوله تعالى: **(فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى)** [1]؛ يرى بعض المفسرين، منهم ابن عباس أن الآية تعني:" فأهلكه الله عقوبة له على مقالته الأخيرة **(فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى)**[2] والأولى وهي قوله " [3]:**(ما علمت لكم من إله غيري)**[4]. وهذا يعني أن الآية في سورة النازعات تحيل على سورة(القصص)؛ لأنها تضمنت المرجع المحال عليه، وهو ما جاء على لسان فرعون في قوله تعالى: **(وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ)**[5] .

الإحالة بالصفر

يُقصد بهذا المصطلح الإحالة التي تتم داخل النص دون عنصر إحالي له صورة خطية أو صوتية، وترد هذه الإحالات- كما يرى الباحث- في صورتين؛ وهما:

١. استتار الضمائر

وهذه المسألة مرتبطة بالنظام اللغوي؛ وتتبع الفعل الإحالي لهذا النوع من الإحالة في النص القرآني- وفي غيره- يستدعي معرفة مسبقة بالصيغ الصرفية التي تستتر فيها الضمائر.

([1]) النازعات: ٢٥.

([2]) صفوة التفاسير: ٥١٥/٣.

([3]) النازعات: ٢٤.

([4]) القصص٣٨

([5]) القصص: ٣٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولعل الأفعال هي أبرز المفردات اللغوية التي تستتر فيها الضمائر؛ ومن المعروف أن الضمائر المستترة في الأفعال لا تكون من حيث المعنى النحوي إلا مسندا إليه؛ فقد تكون فاعلا أو نائب فاعل، كما في قوله تعالى: (**يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ**)[1]، فثمة ضمير مستتر في الفعل(فيسقي) يحيل على كلمة (أحدهما)، والإحالة هنا تسند هذا الفعل لمرجعه على أساس الفاعلية؛ وثمة ضمير مستتر أيضا في الفعل المبني للمجهول(فيصلب)، وإحالته تسند الفعل لمرجعه(الآخر) على نحو يختلف عن الإسناد السابق.

وقد يكون الضمير المستتر اسما لفعل ناقص، كما في قوله تعالى: (**وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا**) [2]، فثمة ضمير مستتر في الفعل الناقص(كان) يحيل على لفظ الجلالة، وهذه الإحالة تسند الخبر(غفورا رحيما) لهذا المرجع.

أما بقية الصيغ الصرفية التي تستتر فيها الضمائر فهي ما يسميه النحاة الوصف أو المشتق؛ كاسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة وغير ذلك، وهي كثيرة في النص القرآني، ويكفي التمثيل على ما سبق بسورة من السور القصار كسورة الناس؛ فقد توفرت هذه السورة على غير مشتق، وهي:(**رب الناس، ملك الناس، إله الناس \ الوسواس، الخناس**).

([1]) وسف: ٤١.

([2]) النساء: ١٠٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٢. الحذف

ولا يقصد الباحث أننا أينما وجدنا حذفا عددنا ذلك إحالة، إنما يقصد الباحث الحذف الذي يُقدَّر فيه عنصر إحالي يتمم به المتلقي بنية الجملة، أو يقدر المحذوف بالرجوع إلى سابق؛ سواء أكان المحذوف عنصرا إحاليا، أو كان غير ذلك؛ ومن صور الحذف في النص القرآني حذف عائد الصلة، كما في قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ [1]، وحذف المبتدأ؛ كما في قوله تعالى:﴿كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلاَ يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[2]؛ ففي كلتا الآيتين السابقتين حذف نقدره بعنصر إحالي يتمم بنية الجملة القرآنية(كتاب) فتُقدَّر بـــ(هو كتاب، أو هذا كتاب)، أما في الجملة الفعلية(تورون) فإن تقدير العنصر الإحالي(ـــه) متصلا بالفعل (تورون) يتمم بنية الجملة، ويربط جملة الصلة بالموصول.

ولا يتسع المقام لتتبع الحذف في النص القرآني؛ لذا يكتفي الباحث بالإشارة إلى السياقات التي يقع فيها الحذف، وما أشار إليه في الفصل الثاني، ولعل ما سبق يقدم صورة واضحة بنية الإحالة بالصفر في النص القرآني.

الإحالة على الصفر

يتمثل هذا النوع من الإحالة في النص القرآني بالإحالات التي تجبرنا على الرجوع إلى سابق غير أننا لا نجد عنصر إشاريا ظاهرا في بنية النص، ومع ذلك يكون المرجع جزءا من عالم النص بفعل تراكيب وجمل سابقة؛ لا بفعل الإحالة، ولو كان بفعل الإحالة لكانت الإحالة خارجية.

([1]) الواقعة: ٧١.

([2]) الأعراف: ٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وتقوم بنية هذا النوع من الإحالة على عنصر إحالي وعنصر إشاري مقدر في البنية العميقة للنص. وللإحالة بالصفر في النص القرآني صور متعددة، يجمعها كون العنصر الإشاري لا يظهر في البنية السطحية للجملة التي يرد فيها، ومنها أن يكون المحال عليه فاعلا لفعل مبني للمجهول، فقد ترد بعض الجمل المبنية للمجهول، دالة على الفاعل رغم عدم ذكره صراحة؛كما في قوله تعالى: **(إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ)** [1]؛فالضمير المتصل(ـه) في(**إنه**) والضمير المستتر(هو) في (**القادر**) يحيلان على ذات المرسل- جل وعلى- وهو غير مذكور؛ ولكن جملة الفعل المبني للمجهول (**خُلِق**) في قوله تعالى:(**فلينظر الإنسان مما خلق**)[2] تتضمن ما يدل عليه- عز وجل- في بنيتها العميقة.

ويمكن التمثيل- أيضا-بقوله تعالى:(**وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ**)[3] فاسم الإشارة(هذا) يحيل على من يتلو المفهوم من تتلى، وهو مقدر في البنية العميقة للجملة(**وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا**)؛لأن الفاعل لا يظهر في جملة المبني للمجهول.

وقد يكون المحال عليه مفعولا به، يقدر المتلقي عنصرا إشاريا يتمم به بنية الجملة، كما في قوله تعالى: (**وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا حَتَّى إِذَا جَآؤُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَآ إِلاَّ أَسَاطِيرُ**

([1]) الطارق : ٨ .

([2]) الطارق : ٥ .

([3]) سبأ: ٤٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الأَوَّلِينَ)[1].وقد عرضت الدراسة لهذه الآية في الفصل الثاني وذكرت أن الضمير المتصل(ـــه) في (يفقهوه) واسم الإشارة (هذا) يحيلان على المفعول به المحذوف للفعل(يستمع)، وهو مقدر في البنية العميقة للجملة.

وقد يكون المحال عليه جزء من بنية النص قبل الإحالة على نحو لا يختلف كثيرا عما سبق، كما في قوله تعالى: **(بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ)**[2]، فالمحال عليه بالعنصر الإحالي(هو)- وهو القرآن الكريم يستدعيه لفظ(تكذيب)، فثمة شبه جملة تُقدر قبل الوصول إلى نقطة الإحالة، وهي(بالقرآن)؛ وربما أمكن القول: إنها إحالة بالصفر على لاحق، إذا عددنا أن المحذوف يقدر بناء على اللاحق(**بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ**).

الإحالة الانقسامية

أشار الباحث في الفصل الثاني إلى أن ثمة نوع من الإحالة يمكن تسميته بالإحالة الانقسامية؛ وهي الإحالة التي تقوم بنيتها الإحالية على عنصر إشاري وعنصرين إحاليين- أو أكثر- ينقاسمان محتوى العنصر الإشاري. وأشار الباحث- أيضا- إلى أن هذه الإحالات تعمل على تنامي النص من خلال انقسام المرجع اللغوي إلى عنصرين إحاليين- أو أكثر- يستقلان عن المرجع، فيتحول كل عنصر منهما إلى مرجع مستقل يرتبط به عنصر إحالي أو أكثر، وينفصل عن الآخر؛ فالمعلومات المقدمة عن أحدهما- وصفا أو إخبارا- ترتبط به وحده، وهذا خلاف ما

([1]) الأنعام: ٢٥.

([2]) البروج: ١٩- ٢٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يحصل في ما أسماه الباحث الإحالة الاندماجية؛ ففي الأخيرة يتوحد عدد من الموضوعات لتصير موضوعا واحدا، ترتبط به المعلومات المتعلقة بالعنصر الإحالي.

وتتعدد مظاهر الإحالة الانقسامية في النص القرآني، تبعا لاختلاف العناصر الإحالية التي تشكل مع العنصر الإشاري بنية هذه الإحالة؛ وأبرز مظاهر هذا النوع في النص القرآني تكون باسم الإشارة هذا، كما في قوله تعالى:

(وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)[1].

فلفظ (البحران) في الآية السابقة عنصر إشاري عامل؛ يرتبط به العنصران الإحاليان(هذا، وهذا)، ويستقل هذان العنصران الإحاليان عن مرجعهما، ويرتبط كل منهما بعناصر إحالية، وتراكيب تتعلق به وحده دون الآخر؛ فالعنصر الإحالي الأول **(هذا)** يفسر الضمائر المستترة في**(عذب، وفرات، وسائغ)** بينما يفسر العنصر الإحالي الثاني**(هذا)**الضمائر المستترة في **(ملح، وأجاج)**.

وتسهم هذه الإحالة في التماسك من خلال ارتباط العنصرين الإحاليين**(هذا، هذا)** بالعنصر الإشاري**(البحران)**، وبكون كل منهما مرجع لعدد من العناصر الإحالية. ويسهمان من جهة أخرى في التماسك من خلال التضام **Collocation**المتأتي بالتضاد بين خبر كل من العنصرين الإحاليين.

([1]) فاطر:١٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وفي النص القرآني إحالتان انقساميتان أخريان يشكل فيهما المرجع اللغوي مع اسم الإشارة(هذا، هذا) بنية الإحالة،الأولى وردت في قوله تعالى:(**وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا**)[1].

وتتشابه بنية هذا الإحالة مع بنية الإحالة السابقة شكلا ومضمونا، غير أن اسمي الإشارة **(هذا وهذا)** يتساويان هنا في عدد العناصر الإحالية المتعلقة بهما؛ إذ يفسر كل منهما ضميرين فقط. ويتشابه الفعل الإحالي بين الإحالتين السابقتين في أن كلتيهما يتبعان بإحالة اندماجية، بحيث يسند للعنصرين الإحاليين معا، فقد ورد في هذه الآية الكريمة إحالة اندماجية متمثلة بإحالة الضمير المتصل(**هما**) في (**وجعل بينهما**)؛ وفي التي سبقتها أسند للعنصرين الإحاليين معا بقوله تعالى:(**ومن كل تأكلون لحما طريا**).

أما الإحالة الثانية فقد وردت في قوله تعالى:(**وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ**)[2] فاسم الإشارة(**هذا من شيعته**) يحكم عددا من العناصر الإحالية،وهي:(**الَّذِي مِن شِيعَتِهِ**) في الآية نفسها، و(**الَّذِي اسْتَنصَرَهُ**) والضمائر المستترة في(**استنصره، يستصرخه، لَغَوِيٌّ، مُّبِينٌ**) والضميرين المتصلين في (**له، إنك**) في قوله تعالى: (**فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ**

([1])الفرقان:٥٣.

([2]) القصص: ١٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ) [1] .ويرتبط العنصر الإحالي(هذا من عدوه) بعدد أقل من العناصر الإحالية، وهي:(الذي من عدوه، والضمير المتصل بـــ(فَوَكَزَه، فَقَضَى عَلَيْهِ).

وقد تتشكل بنية الإحالة الانقسامية في النص القرآني من عنصر إشاري ولفظا(أحدهما والآخر)، كما في قوله تعالى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ}[2] . فلفظ(ابْنَيْ آدَمَ) يشكل مع العنصرين الإحاليين (أَحَدِهِمَا، الآخر) بنية الإحالة، ويتحولان إلى مرجع يحكم كل منهما عددا من العناصر الإحالية؛ إذ يحكم لفظ (الآخر) الضمير المستتر في (قال، ولأقتلنك)، ويفسر لفظ (أَحَدِهِمَا) الضمير المستتر في(قال) وضمير الخطاب المتصل بـــ(لأقتلنك).

ومن الإحالات الانقسامية التي يقابل العنصر الإشاري في بنية الإحالة لفظا(أَحَدِهِمَا،الآخر) ما نجده في قوله تعالى:(وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانَ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ)[3]، وقوله تعالى:(وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لاَ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لاَ يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)[4]، وقوله تعالى:

([1])القصص: ١٨.

([2])المائدة: ١.

([3]) يوسف: ٣٦.

([4])النحل: ٧٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا)[1].

وقد تتشكل بنية الإحالة الانقسامية في النص القرآني من عنصر إشاري ولفظا(إِحْدَاهُمَا ،والأُخْرَى) كما في قوله تعالى: (وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)[2].

وفي الآية السابقة ينقسم العنصر الإشاري إلى عنصرين إحاليين:(إحداهما، الأخرى)، ويرتبط إحداهما بعدد من العناصر الإحالية، وهي:(الَّتِي تَبْغِي، والضمير المستتر في تبغي، وتفيء، وفاءت)، ثم تعمل الإحالة على توحدهما مرة أخرى من خلال الإحالة الاندماجية،المتأتية بالضمير المتصل بـــ(بينهما)؛ ليرتبط بكليهما الحكم المفهوم من(فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا).

ومن الإحالات الانقسامية التي ينقسم العنصر الإشاري إلى(إِحْدَاهُمَا، والأُخْرَى) ما نجده في قوله تعالى: (وَاسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ من رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاء أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى)[3].

وقد يرد لفظ صاحبه مع لفظ أحدهما ليقابلا العنصر الإشاري في بنية الإحالة الالقسامية، كما في قوله تعالى:(وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعاً كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَراً وَكَانَ لَهُ

([1])الكهف: ٣٢.

([2]) الحجرات: ٩.

([3]) البقرة: ٢٨٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً) [1] وستعرض الدراسة لهذه الإحالة في الفصل الرابع.

وفي النص القرآني آية يرى الباحث إمكان عدها من هذا النوع من الإحالة، وهي قوله تعالى:(إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)[2]. فقد ورد في هذه الآية لفظ يدل على مثنى، وهو(اثْنَيْن) ويحيل على ذات النبي محمد- صلى الله عليه وسلم- وصاحبه أبي بكر- رضي الله عنه- إذ يقع الضمير المستتر في(يقول) والمتصل في (لصاحبه) في مقابل (صاحبه)، على أن الضميرين السابقين يشتركان مع الضمائر المتصلة في(تَنصُرُوهُ، نَصَرَهُ، أَخْرَجَهُ)، ويفسر لفظ (صاحبه) الضمير المتصل(ـــه) في(عليه).

وقد تتشكل بنية الإحالة الانقسامية في النص القرآني من عنصر إشاري والاسم الموصول(مَن)، كما في قوله تعالى:(مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا)[3]؛ فمجموع ما يدل عليه العنصر الإشاري(رجال) يُدَل عليه بعد ذلك بعنصرين إحاليين، هما الاسمان الموصولان:(مَّن قَضَى نَحْبَهُ، مَّن يَنتَظِرُ).وتعمل الإحالة الاندماجية بعد ذلك على توحدهما؛ فيرتبط بهما ما أُسند إليهما معا، في(وما بَدَّلُوا تَبْدِيلًا).

([1]) الكهف: ٣٢-٣٤.

([2]) التوبة: ٤٠.

([3])الأحزاب: ٢٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقد يُحال على العنصر الإشاري بعنصرين إحاليين يتمثلان بالموصول المشترك(ما)، كما في قوله تعالى:(قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ)[1].والجدول الآتي يبين مكونات البنى الإحالية في الآيات السابقة:

الآية	العنصر الإشاري	العناصر الإحالية
وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ	البحران	هَذَا، هَذَا
وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا	الْبَحْرَيْنِ	هَذَا، هَذَا
وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلاَنِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ	رَجُلَيْنِ	هَذَا، هَذَا
وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ	ابْنَيْ ، آدَمَ	أحدهما،الآخر
وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانَ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا	فَتَيَانَ	أحدهما،الآخر

(1) الأعراف: ٣٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ		
وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا	طَائِفَتَانِ	إِحْدَاهُمَا، الْأُخْرَى
وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ من رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى	شَهِيدَيْنِ	إِحْدَاهُمَا، الْأُخْرَى

وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعاً كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَراً وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً.	رَجُلَيْنِ	أحدهما، صَاحِبِه
تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ.	هُمَا	الضمير المستتر (يقول)، صَاحِبِه
(مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا)	رِجَالٌ	مَّن قَضَى نَحْبَهُ، مَّن يَنتَظِرُ
(قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ)	الْفَوَاحِشَ	مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الإحالة الاندماجية

يقوم هذا النوع من الإحالة في النص القرآني على إيراد مجموعة من العناصر الإشارية المتعاطفة، ثم تتم الإحالة عليها بلفظ يتطابق معها في الجنس والعدد، كما في قوله تعالى:(**إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا**)[1]؛ فقد تشكلت بنية إحالة الضمير المتصل بـــ(**لهم**) من عنصر إحالي، وعشرين عنصرا إشاريا.

وقد يحيل ضمير المثنى على عنصرين إشاريين سابقين، كما في قوله تعالى:(**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ**).

ويمثل الباحث على إحالة أسماء الإشارة على متعدد بإحالة اسم الإشارة(**ذانك**) في قوله تعالى: (**وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولّى مدبراً ولم يعقب يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الأمنين اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم إليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك إلى فرعون وملإِه إنهم كانوا قوماً فاسقين**)[2]. فاسم الإشارة(**ذانك**) في الآية السابقة يحيل على انقلاب العصى حيةً، وخروج اليد بيضاء من غير

([1]) الأحزاب: ٣٥.

([2]) المائدة : ١ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

سوء. ويمكن التمثيل-أيضا- على إحالة أسماء الإشارة على متعدد بإحالة اسم الإشارة(أُولَئِكَ) في قوله تعالى: (وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ)[1].

ويرى الباحث ضرورة الإشارة إلى أن العناصر الإحالية السابقة قد تحيل على عنصر إشاري يدل على متعدد، أو يدل على عموم كأسماء الشرط؛ ولا يعد الباحث مثل هذه الإحالات من باب الإحالة على متعدد؛ لأن العنصر الإحالي يقابله عنصر إشاري واحد في بنية الإحالة.

ولا تقتصر العناصر اللغوية التي يمكن أن تحيل على متعدد في النص القرآني على ما يسمى في الدرس اللغوي عناصر إحالية **Anaphors**، فهذه الإحالات يمكن أن تتأتى بمفردات لغوية أخرى تأخذ محتواها الفعلي- لا المعجمي- من عناصر إشارية لغوية متعددة، ويمثل الباحث عليها بإحالة لفظ(الْأَجَلَيْنِ) في قوله تعالى:(قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ)[2]. ويرى الباحث أن لفظ(الْقُرَى) في قوله تعالى:(تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآئِهَا}[3] يحيل على متعدد يتمثل بالأقوام الذين عرضت لهم سورة الأعراف، وهم: بنو إسرائيل، وفرعون وملأه وقوم نوح، وعاد، وثمود، وقوم لوط، ومدين. والجدول الآتي يبين أشكال البنى الإحالية السابقة:

([1]) ص: ١٣.

([2]) القصص: ٢٧- ٢٨.

([3]) الأعراف: ١٠١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الآية	العنصر الإحالي	العناصر الإشارية (المحال عليها)
(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ)	هِمَا(إِثْمُهُمَا)	الْخَمْرِ، الْمَيْسِرِ
(إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا)	هم (لَهُم)	الْمُسْلِمِين،الْمُسْلِمَات الْمُؤْمِنِينَ ،الْمُؤْمِنَات الْقَانِتِين،الْقَانِتَات الصَّادِقِينَ، الصَّادِقَات الصَّابِرِينَ، الصَّابِرَات الْخَاشِعِينَ، الْخَاشِعَات الْمُتَصَدِّقِينَ، الْمُتَصَدِّقَات الصَّائِمِين، الصَّائِمَات الْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ الْحَافِظَات الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا، الذَّاكِرَات.
وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولّى مدبراً ولم يعقب يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الأمنين اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم إليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك إلى فرعون وملأه إنهم كانوا قوماً فاسقين	فذانك	انقلاب العصى حيةً، وخروج اليد بيضاء من غير سوء.
{وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الأَيْكَةِ أُولَئِكَ الأَحْزَابُ}	أُولَئِك	ثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الأَيْكَةِ.
قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ	الْأَجَلَيْن	ثَمَانِيَ حِجَجٍ، عَشْراً.
(تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآئِهَا وَلَقَدْ جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللّهُ عَلَىَ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ)	الْقُرَى	بنو إسرائيل، وفرعون وملأه، وقوم نوح، وعاد، وثمود، وقوم لوط، ومدين.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقد يعتمد هذا النوع من الإحالة على قدرة المتلقي على استدعاء عناصر إشارية في أجزاء متعددة ومتباعدة؛ وهنا يكون للربط الإحالي تميز عن الربط بحروف العطف؛ فهذا لا يربط إلا بين عناصر متجاورة فقط.

ولعل مما تجدر الإشارة إليه في هذا السياق أن مفهوم ما أسماه الباحث الإحالة الاندماجية يختلف عن الإحالات الممتدة؛ فقد تكون العناصر الإشارية التي تشكل مع عنصر إحالي بنية الإحالة غير متجاورة، كما في قوله تعالى:(**قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى**)[1]. فاسم الإشارة(**هذان**) وضمائر المثنى في(**يُرِيدَانِ، يخرجاكم، يذهبا، بِسِحْرِهِمَا**)، تحيل على عنصرين إشاريين غير متجاورين، الأول: لفظ هارون؛ الذي ورد في قوله تعالى:(**وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي} {هَارُونَ أَخِي**)[2] والثاني: لفظ موسى عليه السلام؛ في قوله تعالى:(**قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى**)[3]. و تفصل بينهما الآيات من الآية الثلاثين حيث ورد لفظ (**هارون**) إلى الآية السابعة والخمسين حيث ورد لفظ(**موسى**)لأول مرة.

ولا يعني الباحث أن اسم الإشارة (**هذان**) في الآية السابقة يجبر المتلقي لها على الرجوع إلى الآية التي ورد فيها العنصر الإشاري(**موسى**)، ثم إلى الآية التي ورد فيها العنصر

([1]) طه: ٦٣.

([2]) طه : ٢٩-٣٠.

([3]) طه : ٥٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الإشاري(هارون)، لتأويل هذا العنصر الإحالي؛ وقد أشارت الدراسة في الفصل الأول إلى أن يول وبراون رفضا فكرة أن الإحالة على السابق ترتبط بالعودة إلى الصيغة الأصلية [1].

ولا يقتصر دور هذا النوع من الإحالة على الربط بين أجزاء النص؛ وإنما- إضافة إلى ما سبق- يسهم في تحقيق الاتساق بكونه يجعل عددا من موضوعات النص موضوعا واحدا؛ بحيث ترتبط المعلومات المتعلقة بالعنصر الإحالي، بالمتعدد المحال عليه، كما في قوله تعالى: **{ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ}**[2]؛ فبعد أن ذكرت السورة عددا من قصص الأقوام السابقين، وما حل بهم من عذاب؛ لتكذيبهم الأنبياء أحيل على هذه القصص بالعنصر الإحالي (ذلك)، لتصير موضوعا واحدا يخبر عنه بأنه من أنباء الغيب؛ لتأكيد صدق نبوة محمد- صلى الله عليه وسلم- ولتعيد الحديث إلى بداية السورة؛ فقد ابتدأت بالحديث عن مواقف كفار مكة. وما هذه القصص التي ذكرتها السورة إلا لخدمة الموضوع الرئيسي، وهو توعد المشركين بما أصاب الأمم السابقة، وحثهم على أخذ العبر.

ومن أبرز الوظائف التي يؤديها هذا النوع من الإحالة أنها تمكن المتكلم من إنهاء نصه، و من إخبار المتلقي بأن هدف النص قد تحقق، فيورد المتكلم جملة تختصر هذا النص، وغالبا ما تكون جملة اسمية من مبتدأ وخبر؛ يكون كلاهما عنصرا إحاليا، يحيل الذي أخذ موقع المبتدأ على نص المرسل، ويحيل الذي أخذ موقع الخبر على ما يريد المتلقي معرفته، أو ما يريد المرسل

([1]) انظر: تحليل الخطاب، يول وبراون، ص: ٣١٥.

([2]) هود: ١٠٠.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

إبلاغه له، ويمكن التمثيل على ذلك بالعديد من الجمل الشائعة الاستعمال من مثل:(هذا ما سألتني عنه)، و(هذا ما جرى)... .

ويمكن التمثيل على ما سبق بقوله تعالى على لسان(الخضر) في سورة الكهف:(**ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا**)[1]؛ فالاسم الموصول(**ما**) في الآية السابقة يحيل على متعدد:

- عدم صبر موسى على خرق الرجل الصالح للسفينة، والذي ورد في قوله تعالى:(**فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً**)[2].

- عدم صبر موسى عليه السلام على قتل الرجل الصالح للغلام، وورد في قوله تعالى:(**فانطلقا حتى إذا لقيا غلاماً فقتله قال أقتلت نفساً زكية بغير نفس لقد جئت شيئاً نكرا**)[3].

- اعتراض موسى للرجل الصالح على بناء الجدار بعد أن رفض أهل القرية أن يضيفوهما وهو ما ورد في قوله تعالى، على لسان موسى عليه السلام:{ **لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً**}[4].

والإحالة السابقة تتضمن الأسئلة التي اعتملت في ذهن موسى- عليه السلام- فسأل عن بعضها، ودفعه البعض الآخر إلى الاعتراض على الخضر- عليه السلام.

أما اسم الإشارة(**ذلك**) في الآية السابقة، فهو يحيل على تفسير الرجل الصالح لموسى عليهما السلام، الأحداث الثلاثة:

([1]) الكهف: ٨٢.

([2]) الكهف: ٧١.

([3])الكهف: ٧٤.

([4])الكهف: ٧٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- تفسيره خرقه للسفينة في قوله تعالى على لسان الرجل الصالح:{ **فأما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا** }[1].

- تفسيره لقتله الغلام:(**وَأَمَّاالْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَاأَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْرا**)[2].

- تفسيره بناءه للجدار في:(**وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي**)[3].

وقد تقوم بنية الإحالة الاندماجية على الإحالة بين السور؛ فيكون دورها في الربط والاختصار أكثر وضوحا، ويمكن من خلال الوقوف على هذه الإحالات تصور تماسك النص القرآني بوصفه نصا واحدا؛ وتصور البنية الكلية للنص القرآني.

ومن الإحالات التي يمكن أن توضح ما سبق هي إحالة لفظ(قرنا) في قوله تعالى:(**ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُوناً آخَرِين**)[4]؛ فهذه الآية من سورة (المؤمنون) تحيل على ثلاثة نصوص فرعية سابقة في سورة الأعراف، وهي النصوص الفرعية التي عرضت قصة كل من صالح ولوط وشعيب عليهم الصلاة والسلام. فلفظ (قرونا) في الآية السابقة يحيل على ثلاثة عناصر إشارية ، يتوفر كل نص فرعي من النصوص الفرعية السابقة على أحد هذه العناصر؛ فإحالة التعبير المحيل (قرونا)؛إحالة على متعدد في أحياز متعددة.

([1]) الكهف: ٧٩.

([2]) الكهف: ٨٠.

([3]) ٨٢.

([4]) المؤمنون:.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

ومـــا يـــرجح كـــون هـــذه الآيـــة مـــن ســـورة(المؤمـــنون) تحـــيل علـــى ســـورة (الأعراف) أن النص القرآني في سورة الأعراف وهود والشعراء والقمر يعرض بعد قصة نوح علـيه الســـلام قصة هود ولوط وصالح وشعيب عليهم السلام؛ وتمثل قصة كل نبي من هؤلاء الأنبـياء نصـــا فرعيا، والبنية الكلية لهذه النصوص الفرعية متشابهة، ويعكس هذه التشابه وحدة دعـــوة الأنبـــياء، وتشابه مواقف أقوامهم.أما سورة المؤمنون فتعرض قصة نوح عليه السلام مع قومه، ثم تعرض قصة قوم مع النبي الذي بعث فيهم، من غير أن يرد في هذا النص الفرعي اسم القوم أو اسم النبي الذي بعث فيهم؛ ولكننا نستدل من خلال أحداث القصة أن النبي هو هود عليه السلام، وأن القوم هم قومه عاد[1].

و تعمل الإحالات الاندماجية في النص القرآني باتجاهين؛ الأول يتمثل بالإحالات القبلية، ويتمثل الثاني بالإحالات البعدية؛ وتقوم الإحالات الاندماجية البعدية على ورود عنصر إحالي(مبهم يحتاج إلى ما يفسره)، ثم ترد بعد ذلك العناصر الإشارية المفسرة له؛ فهي من قبيل التفصيل بعد الإجمال، وهي بهذا تتشابه مع عمل ما أسماه الباحث الإحالات الانقسامية، أما الإحالات الاندماجية القبلية فيقوم عملها على التكثيف أو الاختصار.

ويمكن أن نقف على سبق من خلال تأمل الفعل الإحالي في قوله تعالى:

(قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إِمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي

---

(1) انظر: صفوة التفاسير، محمد الصابوني،١/٢٣٢

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)[1]؛ فهذه الآية تطالعنا بإحالة الموصول(ما) على العناصر الإشارية اللاحقة(أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا، وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا، وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إِمْلاَقٍ، وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ، وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ)، ثم ترد في السورة إحالة انقسامية تتمثل بإحالة الموصولين (مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ)؛ إذ يتطابق مجموعهما مع العنصر الإشاري السابق (الْفَوَاحِشَ)، وهما تفصيل له؛ ويشكلان معه بنية الإحالة. ثم نجد في الآية إحالة اندماجية قبلية، تتمثل بإحالة اسم الإشارة ذلك على العناصر الإشارية السابقة مشتركا مع اسم الموصول (ما) في (ما حرم عليكم) في بداية الآية اختصارا للعناصر الإشارية، وتجنبا لتكرارها.

الإحالة التكرارية

يشير الأزهر الزناد إلى نوعٍ من الإحالة القبلية هو الإحالة التكرارية، ويتمثل في تكرار لفظ أو عدد من ألفاظه في بداية كل جملة قصد التأكيد[2] ويمكن.ومن أمثلة الإحالة التكرارية في النص القرآني تكرار اسم الإشارة (أولئك) في قوله تعالى:(وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ الأَغْلاَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدونَ)[3]، وهنا يتجاوز دور الإحالة التكرارية للتوكيد؛ فالآية تؤكد حقيقة البعث من خلال ذكر مصير هؤلاء المنكرين له، وتؤكد هذا المصير.

وقد تكو ن الإحالة التكرارية ذات مدى بعيد، تفصل بين الإحالة التكرارية ومرجعها عدد من الآيات؛ كتكرار(تبارك الذي) في سورة الفرقان، وقد وردت في الآيات الآتية:

([1]) الأنعام: ١٥١.

([2]) نسيج النص، ص: ١١٩.

([3]) الرعد: ٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا)[1].

- (تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاء جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا)[2].

- (تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاء بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا)[3].

وللإحالة التكرارية في النص القرآني مظاهر أخرى متعددة؛ فقد تكون على شكل إعادة لفظ أو عدد من الألفاظ المصدرة بهمزة الاستفهام كما في قوله تعالى:(مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ)[4]؛ فتكرار(ألم تعلم) تأكيد لقدرة الله.

ومن الإحالات التكرارية المصدرة باسم الاستفهام تصدير الآيات الأربع الآتية من سورة النمل بـــ(أمن): (أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ

([1]) الفرقان: ١.

([2]) الفرقان: ١٠.

([3]) الفرقان: ٦١.

([4]) البقرة: ١٠٦- ١٠٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) [1].

تتضمن الآيات السابقة إحالة تكرارية أخرى تمثلت بتكرار الجملة القرآنية(أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ) في سورة النمل في أربع آيات، غير أنها لم ترد في بداية هذه الآيات؛ وهذا يعني أن صورة الإحالة التكرارية هذه تختلف عما يشير إليه الزناد. وتقوم الإحالة التكرارية في بداية الآيات السابقة على تأكيد أن الله هو- وحده- المتصرف في هذا الكون، ثم تأتي الإحالة التكرارية المتمثلة بتكرار(إله مع الله) لتقرير وحدانيته.

وقد تؤدي الإحالة التكرارية وظائف أخرى غير التوكيد، كأن تكون افتتاحا لنص جديد، وهذا النوع يسهم في اتساق النص بشكل جلي؛ لأن تكرار جملة ما على نسق واحد يشعر بتماسك الخطاب، ويربط بين أجزائه؛ ويمكن التمثيل على هذا الشكل من الإحالة بتكرار الجملة القرآنية **(يسألونك)** في سورة البقرة، ويكون السؤال في كل مرة عن شيء مختلف؛ فهم:(**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ**) [2] و(**يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ**)[3]، و(**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ**)، و [4](**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ**)[5]، و(**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى**)[6]، و(**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ**)[7] وفي كل مرة يكون السؤال عن شي مختلف؛ فهي ليست للتوكيد، وربما أمكن القول إنها إحالات تخالفية؛ لأن إحالة مكونات الجملة(يسألونك) في كل مرة تحيل على شيء مختلف، باستثناء ضمير

([1]) النمل:٦٠- ٦٤.

([2]) البقرة: ١٨٩.

([3])البقرة: ٢١٥.

([4])البقرة: ٢١٧.

([5])البقرة: ٢١٩.

([6])البقرة: ٢٢٠.

([7])البقرة: ٢٢٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المخاطب،إذ لا يتحقق الاشتراك الإحالي إلا من خلاله، والمحال عليه بهذا العنصر الإحالي هو ما يجمع بقية الذوات المحال عليها.

وقد تكون الإحالة التكرارية متجاوزة تكرار لفظ أو مجموعة من الألفاظ في بداية الآيات والجمل القرآنية إلى تكرار آية كاملة؛ حيث تتكرر إحدى الآيات بعد كل أية أخرى غيرها أو بعد مجموعة من الآيات كما في سورتي الرحمن والمرسلات فقد تكررت الآية **(فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)**[1] سورة الرحمن إحدى وثلاثين مرة، وهي تحيل في كل مرة على الآية السابقة أي على النعمة المذكورة، وعلى مجموعة الآيات السابقة أي على مجموعة النعم السابقة المذكورة في السورة. ويتضح هنا جلياً دور الإحالة التكرارية في التأكيد من خلال التكرار، وفي تماسك النص بما اشتملت عليه من إحالات داخلية.

وتكررت الآية القرآنية **(ويلٌ يومئذٍ للمكذبين)**[2] عشر مرات في سورة المرسلات، وهي تحيل إحالة بعدية؛ فالوعيد الذي تتضمنه الآية يفسر بالآيات التي تليها، وهي في هذا تخالف البنية الإحالية في سورة الرحمن حيث إن علاقات الإحالة التكرارية في سورة الرحمن علاقات سابقة.

وثمة شكل آخر للإحالة التكرارية، نجده في سورة الأعراف وهود والمؤمنون والشعراء والقمر؛ فهذه السور يشتمل كل منها على مجموعة من النصوص الفرعية، وتؤدي الإحالة التكرارية دورا هاما في تحقيق مقاصد الخطاب القرآني في هذه السور؛ وهي تأكيد وحدة العقيدة التي بعث بها الأنبياء جميعا، والحديث عن تشابه مواقف المكذبين، والعاقبة التي كانت تحل بأقوامهم؛ لتثبيت النبي- صلى الله عليه وسلم- ولإنذار المكذبين بما جاء به.

([1]).الرحمن: ١٦،١٣، ١٨، ٢١،

([2]) المرسلات: ١٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وتتداخل الإحالات التكرارية في السور المشار إليها مع الإحالات المقارنة؛ لأن كل نص فرعي يحيل على النص السابق، وتحيل كل جملة أو عبارة قرآنية فيه على جملة أو عبارة قرآنية سابقة؛ لذا فهي تسهم في تماسك السور التي ترد فيها. فمثلا عرضت سورة الأعراف هذه السورة لدعوة الأنبياء: نوح وهود وصالح لوط وشعيب- عليهم السلام- ويمكن أن نعد قصة كل نبي نصاً فرعياً. وهذه النصوص متداخلة تداخلاً واضحاً تؤدي الإحالة التكرارية فيها إلى تحقيق التماسك فيما بينها؛ فبنية كل نص فرعي من هذه النصوص تحيل على النص الفرعي الأول؛ وهو النص الذي تضمن قصة نوح- عليه السلام- ويشكل كل جزء من هذه النصوص الفرعية إحالة تكرارية على جزء في هذا النص.

ويتمثل النص الفرعي الأول؛ والذي عرض لنوح عليه السلام بالآيات الآتية:

(لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً عَمِينَ)[1].

وتتمثل الإحالات التكرارية في هذه السورة، بتكرار ما يرد على لسان الأنبياء المشار إليهم، فقد جاء على لسان نوح- عليه السلام- الجملة القرآنية(**اعبدوا الله ما لكم من اله غيره**)، وتكررت على لسان هود وصالح وشعيب- عليهم السلام- والإحالة التكرارية هنا تعكس وحدة

([1]) الأعراف: ٥٩- ٦٤.

© Arabic Digital Literary-Yarmouk University

دعوة الأنبياء وتنطوي على خطاب لمنكري نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم؛ فما دعوته إلا دعوة الأنبياء من قبل.

ووردت الجملة القرآنية (**أبلغكم رسالات ربي وانصح لكم**)على لسان نوح عليه السلام؛ وجاء على لسان هود عليه السلام **{أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَاْ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ}** [1] فالإحالة التكرارية هنا تربط بين النص الفرعي الذي عرض لهود عليه السلام مع النص السابق.

وقد جاء على لسان هود- عليه السلام- قوله تعالى: **{أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذْكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُواْ آلاء اللّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }**[2]؛ فهذه الآية تحيل على قوله تعالى على لسان نوح:**{أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}**[3]. وتتأتى هذه الإحالة بالتكرار وبما نصت عليه من ذكر نوح عليه السلام.والتي جاءت على لسان هود عليه السلام، وتعكس هذه الإحالة تشابه أحوال المكذبين وتعجبهم من دعوة الأنبياء، و تحيل- أيضا- على مواقف المكذبين بدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم.

وتتشابه بنية الإحالة التكرارية في سورة الأعراف مع بنية الإحالة التكرارية في سورة المؤمنون؛ فقد عرضت سورة المؤمنون قصة نوح عليه السلام، وافتتحت بقوله تعالى:**(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ)**[4]، وثمة إحالة تكرارية على هذه الآية في النص الفرعي الذي ورد في السورة بعد ذلك، فقد ورد فيه قوله

([1]) الأعراف: ٦٨.

([2]) الأعراف: ٦٩.

([3]) الأعراف: ٦٣.

([4]) المؤمنون:٢٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تعالى:(ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ)[1]، وتتمثل الإحالة التكرارية بتكرار ما جاء على لسان نوح:(اعبدوا الله ما لكم من اله غيره) وتختلف بنية الإحالة التكرارية في هاتين السورتين فقد تضمنت سورة الأعراف قصة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام، أما سورة المؤمنون فقد عرضت لنوح عليه السلام، ثم ذكرت بغير تفصيل أن الله قد انشأ أقواماً آخرين من بعد نوح وبعث فيهم رسولاً لذا يمكن القول أن في سورة المؤمنون إحالة على سورة الأعراف تفصيل (قرونا آخرين) (وأرسلنا فيهم رسولاً) في سورة المؤمنون موجود في سورة الأعراف. وهذه الإحالة تحقق الاختصار الذي هو من أهم وظائف الإحالة غير أن الاختصار هنا اختصار لنصوص كاملة، وهو من باب العلاقات القائمة بين سور النص القرآني.

وقبل أن تعرض الدراسة للحديث عن بنية الإحالة التكرارية في سورة الشعراء يرى الباحث ضرورة أن نعرض للحديث عن السورة كاملة.

يمكن القول أن هذه السورة تتكون من عدد من النصوص الفرعية أو عدد من الموضوعات. والموضوع الأول خطاب لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إذ ينكر البارئ عليه حزنه وضيقه بعدم إيمان المشركين، ويخبره أن لو شاء الله لأنزل عليهم عذاباً. وينتهي هذا النص الفرعي الأول بآيتين هما: (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) [2]، وهاتان الآيتان تتكرران في نهاية كل نص فرعي آخر يعرض لأحد الأنبياء. وهذا يعني أن وظيفة هذه الإحالة التكرارية إلى جانب التوكيد هي إشعار المتلقي أو السامع أو المخاطب بانتهاء نص،

([1]) المؤمنون: ٣١- ٣٢.

([2]) الشعراء: ٨- ٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وافتتاح نص جديد؛ فقد عرضت السورة بعد خطاب النبي محمد- صلى الله عليه- وسلم لموسى- عليه السلام- وقصته مع فرعون واختتمت بالآيتين السابقتين ثم عرضت لإبراهيم ونوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام وكان يختتم الحديث عن كل نبي بالآيتين السابقتين.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الرابع
وظائف الإحالة في النص القرآني

- تشكيل النص
- الاختصار
- الربط
- الاتساق
- التوكيد
- المقارنة
- تنامي النص
- التكثيف
- النفي
- الإبطال

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الثالث

وظائف الإحالة في النص القرآني

يقصر الحديث عادة عند تعداد وظائف الإحالة، على بعض الوظائف؛ فيشار إلى دور الإحالة الداخلية في تماسك النص، من خلال الربط الذي تحدثه بين أجزائه، وإلى دور الإحالة الخارجية في تشكيل النص، و يشار- أيضا - إلى وظيفة الاختصار الذي تؤديه العناصر الإحالية؛ فقد تغني عن إعادة ذكر لفظ، أو عدد من الألفاظ، أو مقطع من نص أو نص بأكمله.

إن الاقتصار على هذه الوظائف، في الدراسات العربية نتيجة لالتفات أصحابها إلى ما يشير إليه هاليدي وحسن، في كتابهما **Cohesion in English** في معرض تفريقهما بين ما تؤديه الإحالة الداخلية، وما تؤديه الإحالة الخارجية[1]. وهو أيضا نتيجة لاقتصار الدرس اللغوي عند التصدي للإحالة على ما يسمى بالعناصر الإحالية **Anaphors**، وهي الألفاظ التي ليس لها دلالة ولا إحالة، إنما تكتسب خاصية الإحالة نصياً " فشرط وجودها هو النص". ويشير الأزهر الزناد إلى وظيفة أخرى، تتمثل في دور الإحالة التكرارية في التوكيد[2].

ولعل أبرز وظائف الإحالة التي يشير إليهما علماء لغة النص، تتمثل في نظرة هاليدي ورقية حسن للإحالة على أنها أداة من أدوات اتساق النص، تسهم في تماسكه، ومن ثم في نصيته؛ لأن النصية كما يريان تتحقق بتحقق الاتساق[3].

---

(1) Cohesion in English, p33.

(2) نسيج النص، ص: ١١٨.

(3) لسانيات النص، ص: ١٣، وانظر: علم اللغة النصي، ص: ١٠٣.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

يمكن القول إن وظائف الإحالة لم تنل حقها في الدرس اللغوي، وأن ثمة وظائف لم يعرض لها الدارسون، فكل اهتمامهم يقتصر على الوظائف المشار إليها، ولعل كون معظم الدراسات التي تصدت للإحالة هي دراسات تطبيقية هو السبب في ذلك.

وجل الدراسات التي وقف عليها الباحث تقوم برصد العناصر الإحالية في النصوص التي يعرضون لها، ويشيرون إلى أن الإحالة أسهمت في اتساق النص، دون أن يخرجوا من دراساتهم التطبيقية بنتائج تتعلق بالإحالة ذاتها. وقد أشار الجراح إلى هذه المسألة، حيث قال:" كان تركيز معظم علماء لغة النص في بحثهم للإحالة على ما يمكن تسميته بالبعد الظاهر من الفعل الإحالي، فخرجت بحوثهم- وإن اختلفت لغاتها- بنتيجة واحدة وهي أن الإحالة تؤدي إلى انسجام النص وتماسكه. أما كيف تؤدي ذلك فهذا ما لم يعط حقه من البحث إلى الآن"[1].

أما الوظائف التي يشار إليها عادة فتنحصر فيما سبقت الإشارة إليه، وهي:

١. تشكيل النص

يرتبط الحديث عن هذه الوظيفة بالإحالة الخارجية، فعلماء لغة النص يفرقون بين وظيفة الإحالة الداخلية التي تسهم في تماسك النص، و الإحالة الخارجية التي تسهم في تشكيله؛ ولم يقف الباحث على أي دراسة تجاوزت المقولة السابقة؛ وهذا- كما يعتقد الباحث- لأن هاليدي ورقية حسن اهتما بالإحالة الداخلية بوصفها أداة من أدوات الاتساق؛ فلم يعيرا اهتماما كبيرا للإحالة

([1]) الخطاب وأثره في بناء نحو النص، ص: ٩١.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

الخارجية، لأنها لا تسهم وفق نظريتهما في تماسك النص، فنظرية الاتساق عندهما-كما يشير الخطابي- تقوم على أن الاتساق يتحقق عندما يتوقف فهم جزء منه على جزء آخر[1].

ويعتقد الباحث أن دور الإحالة الخارجية في تشكيل النص، يتأتى من كون هذا النوع من الإحالة يرتبط- غالبا- بالأدوار الرئيسة في الكلام(المتكلم والمخاطب)؛ ولعل هذا التصور لوظيفة الإحالة الخارجية يصلح لتحليل الأحداث الكلامية، والخطابات المباشرة- إن صح التعبير- ولا يصلح لكثير من النصوص؛ ومن الطبيعي أن نرفض هذا التصور لوظيفة الإحالة الخارجية في النص القرآني، فهو ليس خطابا عاديا تفرضه معطيات الموقف، والمرسل هو الله عز وجل والمخاطب ليس هو النبي محمد- صلى الله عليه وسلم- وحده.

ويمكـــن- مع أن الامر يستدعي الاحتراز- التمثيل على دور الإحالة الخارجية في تشكيل الـــنص بـــبعض نصـــوص الخطاب القرآني، كخطاب المرسل- عز وجل- لنبيه موسى- عليه السلام- في قوله تعالى: **(فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي إِنَّ السَّـــاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى فَلا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى قَالَ خُذْهَا وَلا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا**

([1]) لسانيات النص، ص: ١٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الْكُبْرَى اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى)[1].

والإحالة الخارجية- كما أشارت الدراسة في الفصل الثاني- لا تقتصر على ضمائر الحضور، ونجد مثل هذا التصور للإحالة الخارجية عند بوجراند[2]؛ ويعتقد الباحث أن الإحالة الخارجية تسهم في تشكيل النص من حيث تقدم للنص كيانات جديدة، ليست قبل الإحالة عليها جزءا من عالم النص؛ وإذا كان إسهام الإحالة الخارجية في تشكيل النص على هذا النحو، فيمكن القول إن العناصر الإشارية تسهم في تشكيله أيضا. أما نراه من إشارة علماء لغة النص إلى دور الإحالة الخارجية في تشكيل النص، من غير أن يشار إلى دور العناصر الإشارية في ذلك؛ فيعتقد الباحث أن هذا لأنهم يوردون هذا الحديث في سياق التفريق بين وظيفة الإحالة الداخلية، ووظيفة الإحالة الخارجية، والالتفات إلى اعتماد العناصر الإحالية على السياق لتأويلها. وهم يشيرون إلى هذه المسألة في سياق التفريق بين المعرفة والنكرة في النص، ويذكرون أن أدوات التعريف تتصل بما سبق ذكره، أما أدوات التنكير فتتصل بالأسماء التي ترد لأول مرة.

([1]) طه: ١١- ٣٧.

([2]) لسانيات النص، ص: ١٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

سورة القدر- مثلا- تطالعنا بإحالتين خارجيتين؛ الأولى بضمير الجمع، ويحيل على ذات المرسل- عز وجل- والثانية بضمير الغائب (ـــه) وتحيل على القرآن الكريم ، ونجد في السورة إحالات بعناصر إشارية، وهي : ليلة القدر، الملائكة، والروح ، والفجر- ولفظ الفجر هنا تعبير محيل؛ لأنه لا يعني أي فجر بل فجر ليلة القدر. ويرى الباحث أن الإحالات السابقة- جميعا- تسهم في تشكيل السورة.

أما الإحالات الداخلية المتمثلة بالإحالة على العناصر الإشارية السابقة: تكرار لفظ(ليلة القدر)، وإحالة الضمير(هي) في (سلام هي)، والضمير المتصل (ـــها) في(فيها) ، والإحالة بضمير الغائب الجمع (هم) في (ربهم) على المتعدد (الملائكة والروح) واشتراك الوصف (ربهم) مع ضمير الجمع (نا) في (إنا) في الإحالة على ذات المرسل- عز وجل- فإنها تسهم في تماسك السورة .

ويمكن القول إن الإحالة التخالفية تسهم في تشكيل النص- أيضا- لأن العنصر الإحالي في بنيتها لا يشارك العنصر الإشاري المقابل لها في هذه البنية، إنما يحيل على شيء آخر، وهذا النوع من الإحالة إذن يضيف إلى النص كيانات جديدة.

٢.الاختصار

وهذه الوظيفة من أهم الوظائف التي تؤديها الإحالة، سواء في ذلك الإحالة الداخلية والإحالة الخارجية؛ فاستخدام العناصر الإحالية يغني عن إعادة ذكر العناصر الإشارية اللغوية في

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الإحالة الداخلية، يقول الزناد: " تختصر [...] الوحدات الإحالية العناصر الإشارية وتجنب مستعملها إعادتها وتكرارها"[1].

و في الإحالة الخارجية تسهم العناصر الإحالية في تحقيق الاختصارلأنها تغني عن ذكر عنصر إشاري لغوي، وهي في الغالب" أقصر مما يشاركها في الإحالة"[2]، فعلى سبيل المثال أغنى الضمير في قوله تعالى: **(إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ)**[3] عن ذكر لفظ القرآن؛ وقد أحيل على القرآن بالضمير المتصل بـــ(**أنزلناه**)، وهو مبني على حرف واحد.

ويتصل مظهر الاختصار السابق بالنظام اللغوي، والاقتصاد الذي يحدثه هذا النظام ويرتبط بتجنب النظام اللغوي لإعادة اللفظ بالإضمار (ضمائر الغيبة) وتجنب استخدام العناصر الإشارية للإحالة على المتكلم والمخاطب . وقد يحيل ضمير الغائب على مرجعه غير اللغوي مباشرة اعتمادا على سياق الموقف**Context** أو على خبرات مشتركة. وبما أن الإحالة الداخلية أكثر شيوعا في النصوص، فإن دورها في الاختصار أكثر وضوحا من الاختصار الذي تحدثه الإحالات الخارجية.

وللاختصار الذي تحققه الإحالة في النص القرآني مظاهر متعددة،أبرزها الإحالة على مقطع سابق، وهو الأغلب فالإحالة على متعدد تختصر عددا من العناصر الإشارية، وقد أغنت إحالة الضمير المتصل(هم) عن إعادة ذكر عشرين عنصرا إشاريا في قوله تعالى:(**إِنَّ الْمُسْلِمِينَ**

([1]) الأزهر، ١٢١

([2]) النص والخطاب والإجراء، بوجراند، ص:

([3]) القدر: ١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) [1]؛ وقد عرض السيوطي لهذه الآية، حيث قال:" قام قوله تعالى(أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً)، مقام خمسة وعشرين كلمة، لو أتي بها مظهرة"[2]. ويبدو أن السيوطي قد عد هذه الإحالة من باب عود الضمير على مقطع؛ فأحصى جميع كلمات الآية السابقة للضمير بما فيها الفعل(أعد).

ويكون الاختصار الذي يتحقق بفعل الإحالة أكثر وضوحا حينما يكون المحال عليه مقطعا من النص، كما في قوله تعالى:(وَهُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُواْ إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)[3] وقد سبقت الإشارة إلى أنَّ الإحالة على مقطع أو متعدد تتأتى بمعظم العناصر الإحالية على اختلاف أنواعها.

وقد يغني استخدام عنصر إحالي عن إعادة ذكر نص أو عدد من النصوص الفرعية، كما في قوله تعالى:(ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ) [4]، فقد أغنى العنصر الإحالي(ذلك) عن إعادة النصوص التي عرضتها السورة.

([1]) الأحزاب: ٣٥.

([2]) معترك الأقران، السيوطي:١/٥٧٥.

([3])الأنعام: ٩٩.

([4]) هود: ١٠٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقــد يتم اختصار عدد من النصوص اعتمادا على البنية الكلية للنص القرآني؛ ويمكن التمثيل علــى ذلك بقوله تعالى: (ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّــهَ مَــا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ)[1]، وقوله تعالى: (ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَــهُمْ بَعْضاً وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْداً لِقَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ)[2]؛ فالآيات السابقة من سورة المؤمنون، تتحدث عدد من الأمم السابقة، والأنبياء الذين بعثوا فيهم، وتكذيبهم، وهؤلاء الأنبياء هم هود ولوط وصــالح وشعيب عليهم السلام، ونستطيع التعرف إلى مرجع(رسولا، وقرنا، قرونا، رسلا) في الآيــات الســابقة من خلال ملاحظة الشبه بين البنية الكلية لسورة المؤمنون، وسورتي الأعراف وهــود، والــباحث يعد هذه الإحالات من قبيل الإحالات بين السور واعتماد بعضها على بعض، والإحالة هنا تغني ذكر عدد من النصوص القرآنية، وتحقق الربط بين سور القرآن الكريم.

٣. الربط

إن الوقوف على مظاهر الربط الإحالي في أي نص، يتأتى بالنظر إلى مكونات هذا النص، التي تترابط فيما بينها لتشكل بنيته الكلية. والروابط الإحالية " تختلف من حيث مداها ومجالها، فبعضها يقف عند حدود الجملة الواحدة يربط بين عناصرها الواحد بالآخر ، وبعضها يتجاوز

([1]) المؤمنون: ٣١- ٣٢.

([2])المؤمنون: ٤٢- ٤٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الجملة الواحدة إلى سائر الجمل في النص ، فيربط بين عناصر منفصلة ومتباعدة من حيث التركيب النحوي ... [1].

الربط في حدود الجملة

يرى الباحث ضرورة الإشارة إلى نوعين من الربط الإحالي في حدود الجملة، فثمة ربط واجب، وربط غير واجب، فأما الربط الواجب فيتصل بالمواضع التي يُحتاج فيها إلى ضمير أو أي عنصر إحالي آخر يقوم بوظيفة الربط.

وقد تحدث النحاة عن المواضع التي يحتاج فيها إلى رابط، وما من كتاب من كتب النحو إلا وعرض لهذه المسألة؛ لذا فإن الباحث هنا لا يحيل على كتاب دون آخر. ويعتقد الباحث أن للإسناد دور كبير في هذا الربط؛ فالجملة الواقعة خبرا لا تسند إلى المبتدأ إلا بوجود رابط إحالي، وغالبا ما يكون ضميرا، وأما الموصول فإن ضرورة وجود عائد في الصلة تتأتى من كونه مبهما، ولا بد من ضمير في صلته تسند له معلومة ما يتحدد بها، ولما كان العائد والموصول يشتركان في الإحالة فإن الموصول يتعرف بالعائد عليه، وهو ما يُتعرف عليه أولا من خلال ما أسند له، ثم يعرف الموصول لمشاركته للعائد في الإحالة، وقد سبقت الإشارة أن الباحث لا يقصد الإسناد بالمفهوم النحوي، إنما يعد كل معلومة يتوفر عليه السياق لمرجع ما إسنادا.

وقد يعرف المرجع من خلال ما أسند له في سياقات لا يكون فيها العنصر الإحالي مكونا من مكونا جملة صلة، كما في:(قال تعالى، وقال صلى الله عليه وسلم) .

([1]) نسيج النص، ص: ١٢٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وتتشابه الكيفية التي يتحدد بها مرجع الموصول(خارجه) مع بعض الظروف التي تضاف إلى جملك(إذ)؛ فيشترك الظرف مع زمن تتوفر عليه الجملة المضاف إليها؛ولعل هذا يدعو للقول بأن(إذ) والموصولات تحيل على اللاحق، وإن كان فيما سبق من النص ما يشاركهما في الإحالة.

الربط بين الجمل

أما الربط المتجاوز للجملة في النص القرآني فله مظاهر عديدة، منها:

الـربط بـين الجمـل المتجاورة ، ويتأتّى هذا الربط ببنية إحالية تقوم على عنصر إشاري يفسر عنصـراً إحالياً أو أكثر في جملة أخرى ، كما في قوله تعالى : **(كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا إِذِ انْبَعَثَ أَشْـقَاهَا فَقَـالَ لَهُـمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَـوَّاهَا وَلا يَخَافُ عُقْبَاهَا)**[1]؛ فللإحالة دور واضح في تحقيق تماسك هذه الآيات؛ فقد ورد في الآيـة **(كـذبت ثَمُـودُ بِطَغْـوَاهَا)** عنصـر إشـاري **(ثمـود)** وأحـيل عليه بالضمير(ها) في (بطغـواها) وهذه الإحالة تربط بين مكونات الجملة القرآنية (**كذبت ثمود بطغواها**)، ثم أحيل علـى هـذا العنصر الإشاري بالضمير المتصل **(ها)** في الآية اللاحقة (**إذ انبعث أشقاها)** وهذه الإحالـة تسهم في ربط هذه الآية بالآية السابقة مع الرابط الزمني المتمثل بالزمن الإحالي في**(إذ انـبعث)** ، فهو يرتبط بزمن إشاري سابق تضمنه الفعل(كذبت)، ويمكن عد هاتين الآيتين جملة واحـدة لـتعلق الظرف**(إذ)** بالفعل(**كذبت**)، وتربط إحالة الضمير المتصل(هم) في قوله تعالى: (**فقـال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها)** هذه الآية بالآية السابقة (**كذبت ثمود بطغواها**) وهذه الآية تضمنت عناصر إشارية لغوية،هي: **(رسول الله ، ناقة الله ، لفظ الجلالة)**، وقد مهد ورود

([1]) الشمس: ١١- ١٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

هــذه العناصــر الإشارية للإحالة عليها في الآيتين: (**فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا وَلا يَخَافُ عُقْبَاهَا**)؛ فلفظ(**فكذبوه**) يشتمل على عنصرين إحاليين: الأول(**واو الجماعة**)، ويحــيل على العنصر الإشاري(**ثمود**)، والثاني هو الضمير المتصل(**ــه**) ويحيل على العنصر الإشاري(رسول الله)، و يشتمل الفعل(**فعقروها**) على عنصرين إحاليين أيضاً،هما: (**واو الجماعة**) ويحيل على ثمود والضمير المتصل (**ها**) ويحيل على العنصر الإشاري (**ناقة الله**)، ويشترك الوصــــــــــف(**ربهـــــــــم**) والضمــــــــــير المســــــــــتتر فــــــــــي (**فسوّاها، ولا يخاف**) في الإحالة مع العنصر الإشاري (لفظ الجلالة) في الآية السابقة، ويتضح مما سبق تداخل البنى الإحالية للعناصر الإشارية (**ثمود ، رسول الله ، ناقة الله ، لفظ الجلالة**) ؛ ولهــذا التداخل دور في تماسك الآيات السابقة يؤديه مع الرابط الزماني الذي سبقت الإشارة إليه بالإضافة إلى الروابط التركيبية المتمثلة بحرف العطف (**الفاء**) في (**فقال ، فكذبوه ، فعقروها ، فدمدم ، فسواها**) وحرف الاستئناف(**الواو**)في(**ولا يخاف عقباها**).

وقد يتجاوز الربط الإحالي الربط بين الجمل، ليربط بين النصوص الفرعية، وهذا المظهر من مظاهر الربط الإحالي في النص القرآني نجده غالباً في السور الطوال، فمعظم هذه السور تتضمن نصوصاً فرعية، تسهم الإحالة في الربط بينها، كما في سور الأعراف، فهذه السورة تتضمن عدداً من النصوص الفرعية ، فقد أوردت بإيجاز قصة كل من (نوح وهود وصالح ولوط وشعيب ، عليهم السلام) ، ويمكن أن نعد قصة كل نبي من هؤلاء الأنبياء نصاً فرعياً؛ حيث إن الإحالة على النص السابق تربط بينهما، فبعد أن عرضت السورة لقصة نوح- عليه السلام- عرضت السورة لقصة هود- عليه السلام- وجاء على لسانه: (**أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ**

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)[1].

وتتمثل مظاهر الربط الإحالي بين هذين النصين الفرعيين بـــ :

- الإحالة التكرارية المتمثلة بتشابه أقوال كل من(**نوح وهود**) عليهما السلام ، وتشابه ما جاء على لسان كل من (**قوم نوح وقوم هود (ثمود**)) وتشابه مصيرهم .
- الإحالة المتمثلة بذكر قوم نوح على لسان هود في قوله تعالى:(**واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح**).

ثم تعرض السورة بعد ذلك لصالح عليه السلام ودعوته لقومه عاد، فتورد السورة على لسانه مخاطباً قومه :(**وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُوراً وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتاً فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ**)[2].

٤. الاتساق

تسهم الإحالة في تحقيق الاتساق النصي من خلال الربط الذي تحدثه بين أجزاء النص" فالنص جملة من العناصر، التي تترابط بتوافر الروابط التركيبية والزمانية ، وكذلك الإحالية ، فلا يكاد نص يخلو من ضمير عائد أو اسم إشارة ..." [3].

([1]) ال؟أعراف: ٦٩.

([2]) الأعراف: ٧٤.

([3]) نسيج النص، ، ص: ١٢١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقد عد هاليدي ورقية حسن الإحالة من الأدوات التي يتحقق بها الاتساق النصي؛ ويتحقق الاتساق- كما يريان- حينما يتوقف فهم جزء من النص على جزء سابق أو لاحق؛ فالاتساق " يبرز في تلك المواضع التي يتعلق فيها تأويل عنصر من العناصر بتأويل العنصر الآخر، يفترض كل منهما الآخر مسبقا، إذ لا يمكن أن يحل الثاني إلا بالرجوع إلى الأول. وعندما يحدث هذا تتأسس علاقة اتساق[1].

ويشير علماء لغة النص إلى أن دور الإحالة في الاتساق يتأتى من خلال وحدة العناصر الإشارية والإحالية المتعلقة بها في البنية العميقة[2]، وقد أشار الباحث في الفصل الأول إلى ما ذكره السيوطي من أن توحيد الضمائر في المرجع أولى من تفريقها حذرا من التشتت[3].

و يقول بوجراند في سياق حديثه عن إعادة اللفظ:" تتطلب إعادة اللفظ وحدة الإحالة بحسب مبدأي الثبات والاقتصاد، ولكنها تؤدي إلى تضارب في النص حين يتكرر المشترك اللفظي مع اختلاف المدلولات "[4]. وقد سبقت الإشارة إلى أن ما أسماه الجراح الإحالة التخالفية تسهم في النص القرآني في تماسك النص رغم انتفاء وحدة الإحالة، ومنها قوله تعالى: **(قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ**

([1]) لسانيات النص، ص: ١٥.

([2]) الخطاب وأثره في بناء نحو النص، ص: ١٩٦.

([3]) معترك الأقران في إعجاز القرآن: ٥٧٨/١.

([4]) النص والخطاب والإجراء، ص:٣٠٣ .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)[1]؛ فتكرار لفظ الملك مع عدم وحدة الإحالة لا يشعرنا بانتفاء تماسك الآية.

ولعل مما ينبغي ذكره في هذا السياق أن مسألة الاتساق ليست مسألة شكلية، تدرك بإحصاء الروابط التركيبية أو بالوقوف على الروابط الزمانية أو بتتبع العناصر الإحالية و الأدوات الأخرى التي تعد من أدوات الاتساق كالحذف والاستبدال والتضام والتكرار المعجمي وأدوات الوصل؛ ولكنها مسألة تتصل بإحساس المتلقي بنصية ما يتلقى فيقوده هذا الإحساس إلى قبول النص أو رفضه، ولا تعني المقبولية هنا موافقة المتلقي لمضمون النص أو لمقصده أو استجابته على النحو الذي يريده المرسل، بل يُقصَد بها إحساس المتلقي بنصية ما يتلقى وقبوله على أنه نص أياً كان موقفه[2].

وانطلاقاً من هذا التصور للاتساق يرى الباحث أن الإحالة لا تسهم في اتساق النص وتماسكه على نحو واحد ، فدور بعض الإحالات في الاتساق والربط أكثر وضوحاً من غيرها؛ فالإحالة- مثلا- على عنصر إشاري يشكل موضوعاً في الخطاب بعد استطراد تعيد إلى النص استقراره وتماسكه، إذا لم يتمكن المتلقي من إدراك العلاقة القائمة بين أجزاء النص، خاصة أن مثل هذه الإحالة قد ترد في سياق يدل على سبب الانتقال إلى موضوع آخر.

ولعل من المناسب أن يشار إلى كتاب السيوطي تناسق الدرر في تناسب السور فقد أقام كتابه على أساس ما تفتتح به السورة وما تختم به، ويرى الباحث أنها تقارب ما أشار إليه، فسورة

([1]) آل عمران: ٢٦.

([2]) لسانيات النص، ص: ١٢- ١٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الأعراف مثلا بدأت بالحديث عن القرآن، وقد جاء في بدايتها:(**المص كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ**)[1] وجاء في نهايتها:(**وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**) [2]

ويرى الباحث أن هذه الآية تعيد إلى الموضوع التي افتتحت به، وهو القرآن الكريم، وثمة سور كثيرة افتتحت بالحديث عن القرآن واختتمت به، كسورة(ص) و(ق)، ولعل من المناسب هنا أن يشار إلى البنية الكلية لهاتين السورتين متشابهة؛ ولا يريد الباحث الحديث عن البنى الكلية للسور، ولكن يريد الإشارة فقط إلى أثر شكل البنية الإحالية وانعكاسه على بنية النص، فالتشابه القائم بين السورتين السابقتين يرتبط بتشابه البنية الإحالية للعنصر الإشاري الذي افتتحتا به، وهو لفظ (القرآن) فقد افتتحت سورة ص بـــ: (ص والقرآن ذي الذكر) [3]، وسورة ق بـــ:(ق والقرآن المجيد) [4]، واختتمت سورة ص بـــ:(**أَمْ لَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ**)[5]،(**نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ**)[6].

([1]) الأعراف: ١-٢.

([2]) الأعراف: ٢٠٤.

([3]) ص: ١.

([4]) ق: ١.

([5]) ص: ٨٥-٨٨.

([6]) ق: ٤٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٥. التوكيد

ويرتبط الحديث عن هذه الوظيفة بالإحالة التكرارية، حيث تتكرر كلمة أو أكثر للتأكيد، ومن أمثلة الإحالات التكرارية المؤكدة تكرار قوله تعالى(أإله مع الله) في سورة النمل في الآيات الآتية:(**أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ أمن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)**[1].

ولا شك أن هذا التكرار يؤكد وحدانية الله- عز وجل-، وكذلك فإن تكرار(**أمن**) في بداية كل آية من الآيات السابقة، يؤكد أن الله وحده المتصرف في هذا الكون، وأن كل شيء إنما يجري بإرادته، وستعرض الدراسة لهذه الآيات في الفصل الرابع.

ومن الإحالات التي تكون للتوكيد إحالة ضمير الفصل، إلا أنها تختلف عن دور الإحالة التكرارية في تحقيق هذه الوظيفة، ومن أمثلة ضمائر الفصل في النص القرآني: (**إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ**)[2]، فالآية تؤكد تعيين البتر للمبغض للرسول محمد صلى الله عليه وسلم.

([1]) النمل: ٦٠-٦٤.

([2]) الكوثر: ٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٤. المقارنة

وتــرتبط هذه الوظيفة بالإحالات المقارنة، فهي تقوم على المقارنة بين شيئين وهذه المقارنة تسهم- أيضا- في تماسك النص. وللمقارنة في النص القرآني صور كثيرة، كالمقارنة بين الأعمى والبصــير والمــؤمن والكافر، ومواقف كل منهما ومصائرهم، وقد عرضت الدراسة لنماذج من الإحالة المقارنة في الفصل السابق.

وللإحالــة وظائف أخرى غير الوظائف السابقة، وهي ما يقتصر عليها من يتصدى لوظائف لإحالة، وترتبط الوظائف التي سيشير لها الباحث بأشكال الإحالة التي عرضها في الفصل الثاني، كالإحالة الانقسامية.ومن هذه الوظائف:

١. تنامي النص

تعمل بعض أنواع الإحالة الداخلية على تنامي النص، كالإحالة الانقسامية؛ ففيها ينقسم المرجع اللغوي إلى عدد من العناصر الإحالية، لتصير مراجع يرتبط بها عدد من العناصر الإحالية. وهذا النوع يسهم في تشكيل النص على نحو يختلف عن العناصر الإشارية والعناصر التي تحيل إحالة خارجية؛ فهو لا يضيف إلى النص كيانات جديدة، ولكنه يسهم في تنامي النص من خلال انقسام العنصر الإشاري، وتقديم النص لتراكيب تتضمن معلومة أو أكثر تتعلق بكل عنصر إحالي.

يمكن القول إن آلية تقسيم العنصر الإشاري جزء من استراتيجية المرسل في بناء النص؛ حيث يورد عنصر إشاريا دالا على عدد من الأشياء؛ وتكون- غالبا- متضادة أو متغايرة في صفاتها رغم انتمائهما إلى جنس واحد؛ وهنا يقترب مفهوم الإحالة الانقسامية من التضام، من

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

حيث التقابل، ويفارقه في كون المتقابلين جنسا واحدا؛ إنما يكون الاختلاف في بعض الصفات. وهذا الاختلاف في الصفات هو مدخل تحقيق بناء النص وتناميه.

ويمكن التمثيل على ما سبق بقوله تعالى: (وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)[1]؛ فلفظ البحران يدل على مثنى؛ يدرك المتلقي أنهما مختلفين، ولكن الصورة لا تكتمل إلا بتفصيل القول فيه؛ ويأتي التفصيل بعد ذلك، فأحدهما عذب فرات سائغ والآخر ملح أجاج.

وقد يكون الفرق بين الأشياء التي يدل عليها العنصر الإشاري أساسا لبناء النص، فيكون هدف النص تفضيل أحدها على آخر، أو غير ذلك. ويمكن التمثيل على هذه المسألة بقوله تعالى: (وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعاً كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَراً وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَداً وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْهَا مُنْقَلَباً قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالاً وَوَلَداً فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْراً مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَاناً مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْراً فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا

([1]) فاطر: ١٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِراً هُنَالِكَ الْوَلايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَاباً وَخَيْرٌ عُقْباً) [1].

فالآيات السابقة تضرب لنا مثلا(رجلين)؛ وتمضي في التفريق بينهما، فأحدهما أنعم الله عليه؛ فاغتر بنعمته وتكبر بها على الخلق، فكانت نهايته أن خرج مما كان فيه؛ ولعل مقصد هذا النص القرآني أن يحث الناس على التواضع، وإلا فالنص يتوعدهم بسوء العاقبة.

وفي النص القرآني عدد كبير من هذا النوع من الإحالة عرض الباحث لبعضها في الفصل السابق، وسيعرض لبعضها في الفصل الرابع.

وثمة نوع آخر يمكن القول إنه يسهم في تنامي النص؛ وهو الإحالة التكرارية التي تؤدي إلى تنامي النص من خلال التأكيد على فكرة ما، يريد المرسل تقريرها في المتلقي، كالإحالة التكرارية المتمثلة بتكرار(أمَّن) في قوله تعالى: (أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ)[2].

([1]) الكهف: ٣٦-٤٤.

([2]) النمل: ٦٠- ٦٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويــرى الدكتور عمر أبو خرمة أن الإحالة تسهم في توسعة الجملة، وذلك بذكر المشار إليه بعد اســم الإشارة[1]، وهذا- وإن كان يسهم في توسعة النص- ليس له دور واضح في تنامي النص، وليس جزءا من استراتيجية بنائه، كما في الإحالات التكرارية، والإحالات الانقسامية.

٢. التكثيف

وترتبط هذه الوظيفة بالإحالات الممتدة القبلية، وبما أسماه الباحث الإحالة الاندماجية، فقد ترد هذه الإحالة على نحو يختصر النص في جملة، كما في قوله تعالى على لسان الخضر، وهو يخاطب موسى عليه السلام:(**ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا**)[2]، فهذه الجملة القرآنية تتضمن عنصرين إحاليين، يحيل كل منهما على متعدد، وهذا من باب الاختصار غير أن الباحث يقصد بالتكثيف مراعاة المتكلم الذي يلجأ إليه من أجل إنهاء نصه وإشعار المتلقي بذلك، وقد يكون لوظائف أخرى.ويكون التكثيف الذي تحدثه واضحا إذا عرفنا أن العنصرين الإحاليين(ذلك، ما) يدلان على ما دل عليه مجموع الآيات الآتية:(**فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً قَالَ لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلاماً فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْراً فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ**

([1]) نحو النص: نقد النظرية وبناء أخرى، عمر أبو خرمة، عالم الكتب الحديث، إربد، ٢٠٠٤، ص: ١٠٧.

([2]) الكهف: ٨٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

عَلَيْهِ أَجْراً قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً (٨٠) فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْماً (٨١) وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً).

وتقابل هذه الوظيفة السابقة؛ فهنا يعمد المرسل للتكثيف لإنهاء النص، بينما تعمل الإحالات التكرارية والانقسامية على تنامي النص.

٣. النفي

أشـــار الباحث إلى هذه الوظيفة في الفصل السابق، وتحديدا عند حديثه عن إحالة كلمة على نـــص، وإحالـــة نص على نص. ومثل على إحالة كلمة على نص بإحالة كلمة(سبحانه) في أغلب الســـياقات في النص القرآني على نص يرد فيه على لسان المشركين، ومن ذلك قوله تعالى:(وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُـــونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ) [1] وقد نفى عيسى عليه السلام بكلمة (سبحانه) أمرين:

- أن يكون قد أمر الناس باتخاذه وأمه إلهين.
- أن يتخذ الله شركاء فهذه الكلمة(سبحانك) تنزهه عن ذلك.

([1]) المائدة: ١١٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وأشـــار الـــباحث إلى أن من الممكن أن نعد النقائض والمعارضات من الإحالات التي تكون العلاقة بين المحيل والمحال عليه علاقة نفي.

وقـــد تتأتـــى هذه الوظيفة بإحالة كلمة على مقطع، كما في قوله تعالى:(**وَجَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء الْجِنَّ وَخَلَقَهُـــمْ وَخَرَقُواْ لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ**)[1]؛ فكلمة(**سبحانه**) في الآيـــة السابقة تحيل على مقطع، والعلاقة بين المحيل ومرجعه اللغوي علاقة نفي، وليست علاقة اشـــتراك فـــي الإحالة، وهذا النوع من الإحالة يقارب من حيث طبيعة العلاقة بين مكونات البنية الإحالية من الإحالة المقارنة؛ لأن كليهما يشتركان في السمة المشار إليها.

وقـــد تتأتى هذه الوظيفة بإحالة نص على نص، كما في قوله تعالى:(**بَلَـــى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**)[2]؛ فهذه الآية- وهي تشكل نصا من نصـــوص الخطـــاب القرآنـــي- تحـــيل عـــل نـــص أوردته السورة على لسان اليهود في قوله تعالى:(**وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُـــونَ عَلَـــى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**)[3]، والمحال عليه- وهو قول اليهود **لن تمسنا النار إلا أياما معـــدودة**- يشـــكل نصـــا، وهو من النصوص الكثيرة التي نفاها أو أبطلها النص القرآني، وهذه الإحالات يتحقق بها أهم مقاصد الخطاب القرآني.

([1]) الأنعام: ١٠٠.

([2]) البقرة: ٨١.

([3]) البقرة: ٨٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٤. الإبطال

وتتمثل هذه الوظيفة في النص القرآني بإحالة الناسخ على المنسوخ، لإبطال الحكم الذي يتضمنه المنسوخ. ومن الآيات الناسخة المشهورة قوله تعالى:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [1] فهي تحيل على قوله تعالى:

(يَـا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّىَ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلاَ جُنُبًا إِلاَّ عَابِرِي سَـبِيلٍ حَتَّـىَ تَغْتَسِـلُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مِّنكُم مِّن الْغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَـاء فَلَـمْ تَجِـدُواْ مَـاء فَتَـيَمَّمُواْ صَـعِيدًا طَيِّـبًا فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا) [2].

فالآية الناسخة نصت على تحريم الخمر، أما الآية المنسوخة فقد كانت تنص على النهي عنه في أوقات مخصوصة.

([1]) المائدة: ٩٠

([2]) النساء: ٤٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الخاتمة

توصلت الدراسة إلى العديد من النتائج ، وأبرزها :

١. أن للبنـــى الإحالـــية في النص القرآني أشكالاً متعددة ، تتجاوز ما يشار إليه من أن البنى الإحالية تقوم على مكونين : عنصر إشاري وعنصر إحالي ، وقد أثبتت الدراسة أن البنية الإحالـــية قـــد تتشكل من عنصر إحالي يقابله في بنية الإحالة عدد من العناصر الإشارية المـــتجاورة أو المتـــباعدة في فضاء النص ، وهذه البنية هي بنية ما أسماه الباحث الإحالة الاندماجية ، وقد تتكون البنية الإحالية من عنصر إشاري يقابله عدد من العناصر الإحالية ، وهذه البنية هي بنية ما أسماه الباحث الإحالة الانقسامية .

٢. لا تخضـــع بعـــض الإحالات للقيد الدلالي الذي يشير إليه علماء لغة النص، وهو التماثل الدلالـــي بـــين العنصر الإحالي ومرجعه؛ فقد يحيل الضمير واسم الإشارة المفردين على مستعدد، وقـــد لا يـــتماثل العنصر الإحالي مع مرجعه تماثلاً تاماً، وهذا يحدث فيما أسماه الباحث الإحالة الاجتزائية، وقد تنتفي الوحدة الدلالية بين مكونات البنية الإحالية، وهذه بنية ما أسماه الجراح الإحالة التخالفية .

٣. وسّعت الدراسة مفهوم ما أسماه الجراح الإحالة التخالفية، وأثبتت أن هذا النوع من الإحالة لا يخضـــع لقـــيد الاتحـــاد في اللفظ؛ لأن بعض الإحالات الضميرية ينتفي فيها الاشتراك الإحالي بين مكونات بنيتها الإحالية.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٤. قـدم الباحث تصنيفاً جديداً للإحالة وذكر أنواعاً يعتقد أن أحداً لم يشر إليها من قبل وقف علـيها مـن خـلال تتبع الفعل الإحالي في النص القرآني، وقام بوضع مصطلحات لهذه الأنواع .

٥. أثبتت الدراسة أن للإحالة في النص القرآني أشكالاً ووظائف، غير التي يشير إليها علماء لغة النص.

٦. أثبتت الدراسة أن الإحالة لا تقتصر على عناصر إحالة محددة كالضمائر وأسماء الإشارة؛ وذكرت أن ثمة عناصر أخرى تتوفر على سمات دلالية غير سمتي الجنس والعدد، يمكن أن تحيل داخل النص.

٧. تقـوم كثيـر مـن الإحالات في النص القرآني على التعميم، دون أن يكون في ذلك إلغاء للمـرجعية، وهـذا يـرتبط بمعالجة النص القرآني للمواقف والأحداث، وكونه خطابا له ديمومته.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

Abstract

Reference in Quranic

This study deals with the concept of reference in Quranic texts, as a linguistic property of the text structure. It forces the recipient to wonder into the space of text and to beseech linguistic structures other than received by the recipient. The study gives special importance to the functions of the "Reference" and its effect on the text structures.

The researcher set out on this study from new perceptions surpassing the horizons of the references and to what they refer to, taking into consideration that the lineage reading of the text is what determines the reader to recall something mentioned previously or to be mentioned later. The researcher concludes that the elements of reference within the text are not limited, it is more than being limited on the pronouns and determiners or those known as "Anaphors".

The study results can be useful in describing the reference structures in other texts, such as: reference has got various forms and functions never studied by scholars before. The importance and reference in speech analysis isn't restricted on its functions nor on the effect they cause in the text, on the contrary, some reference forms are considered as main constitute of the strategy and text structure or finishing it. the researcher presents a number of terms to describe some aspects of reference in Quranic text. The study includes the following:

First: introduction:

The researcher discusses in the introduction the importance of the subject matter, the method of the study, some of the difficulties faced by

© Arabic Digital Library Yarmouk University

the researcher and talks about the previous literature and the efforts done before.

Second: Chapter one: The concept and importance of reference

In this chapter the researcher talks about this concept in the language lesson and discusses some of the terms related to this concept. He also discusses the main points of view of some scholars who studied "Reference" as a procedure to analyze the text. I present also a manifestation of Siuti's "Mu'trak Al-Aqran Fee I' jaz Al-Qur'an".

Third: Types of Reference and Criterin of classification

I discuss in this chapter types of reference and some criteria used to classify them. The researcher presents a new view of these types depending on a perception further than referring Mudmart, and also his tracking of the referral verb in Quranic text. The researcher thinks that some of those types are not mentioned before.

Fourth: Aspects of Reference in Quranic Text:

I present in this chapter types of reference and their functions. He tries to manifest a clear view of the aspects of reference in Quranic text, instead of taking some whole verses as examples, as there is no single sura covers all types of reference.

Fifth: Chapter Four: Functions of reference

The study presents in this chapter the various functions reference, its role in formulation the text, a harmonized and developed text, its role in achieving textuality. It also presents the effect of reference on the text. The chapter presents some types of reverence as being a part of the strategy of forming the text. I mention some functions never pointed out before by any scholar.

Sixth: Conclusion

It includes the most important results the researcher achieved.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المصادر المراجع

- القرآن الكريم.
- الأشـــباه والنظائـــر ، السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق، طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ، ١٩٧٥.
- أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية ،محمد الشاوش،المؤسسة العربية للتوزيع ، تونس، ط١،٢٠٠١.
- إعجاز سورة الكوثر، جار الله أبو القاسم؛ محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق حامد الخفاف، دار البلاغة، بيروت، ط١، ١٩٩١.
- البـــيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني ، تمام حسان، عالم الكتب ، القاهرة ، ط٢ ،٢٠٠٠.
- تأويـــل مشكل القرآن، ابن قتيبة، تحقيق، أحمد صقر،المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٨١ ،ط٣.
- تحليل الخطاب ، يول وبراون، ترجمة ،منير التريكي، محمد لطفي الزليطي، جامعة الملك سعود، الرياض،١٩٩٣.
- تفســـير غـــرائب القـــرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين النيسابوري، تحقيق: زكريا عميرات ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٦.
- تفسير القرآن العظيم،إسماعيل بن كثير القرشي،دار الفكر، بيروت، ١٩٨١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- دراســـات لأســـلوب القـــرآن العظـــيم، محمـــد عـــبد الخالـــق عضـــيمة، دار الحديث،القاهرة،(د.ت).
- دراســـات لغـــوية تطبيقية، في العلاقة بين البنية والدلالة، سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق(د.ت)، القاهرة.
- ديـــوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٥.
- شـــرح العلامـــة ابن النحاس على مقرب ابن عصفور في علم النحو، تحقيق، جميل عبدالله عويضة، وزارة الثقافة، عمان، ط١، ٢٠٠٤.
- شـــرح المعلقـــات العشـــر،الخطيب التبريـــزي، تحقيق فخر الدين قباوة، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١،١٩٩٧.
- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني، القاهرة(دت)،مجلد ٣،ط:٩
- العقـــد الفـــريد،أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، تحقيق: أحمد أمين، دار الكتاب العربي،بيروت،١٩٨٢،ج٢/٤٦٦.
- علـــم الســـيمانتيكية والبراجماتية في اللغة العربية، شاهر الحسن، دار الفكر،عمان، ط١،٢٠٠١.
- علم اللغة النصي، إبراهيم صبحي الفقي، دار قباء ، القاهرة، ط١،٢٠٠٠.
- لســـانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

- مدخل إلى علم اللغة النصي، فولفجانج هاينيه وديتر فيهفيجر، ترجمة: فالح بن شبيب العجمي،جامعة الملك سعود، ١٩٩٩.
- مرجع الضمير في القرآن الكريم، محمد حسنين صبرة، دار غريب للطباعة والنشر، ٢٠٠١.
- معتـرك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق على محمد البجاوي، دار الفكر العربي (د ت).
- مغنـي اللبـيب عن كتب الأعاريب،جمال الدين ابن هشام الأنصاري،تحقيق: مازن المبارك محمد علي حمد الله، دار الفكر، ط١ ،١٩٩٢.
- الموشـح، أبـو عبيد الله محمد بن بحران بن موسى المرزباني، تحقيق ،علي محمد البجاوي، نهضة مصر للطباعة، القاهرة، ١٩٩٠،
- الناسـخ والمنسـوخ فـي القـرآن: دراسة وتحليل، سعد الدين زيدان، دار المناهج، عمان، ٢٠٠١، ط١،
- نحـو النص: نقد النظرية وبناء أخرى، عمر محمد أبو خرمة، عالم الكتب الحديث، إربد،٢٠٠٤.
- نسيج النص، الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٣،
- النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط١٩٩٨،١،

© Arabic Digital Library- Yarmouk University

- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين عبد الرحمن االسيوطي، تحقيق عبد السلام هارون وعبد العال سالم مكرم، عالم الكتب القاهرة، ط١، ٢٠٠١.

المراجع الأجنبية:

Cohesion in English, m.a.k Halliday and Rugaiya Hasan, longman, longman Group limited, 1976.

الرسائل الجامعية:

- تحلـيل الخطـاب الجدلي في القرآن: دراسة في لسانيات النص، رسالة دكتوراة، جامعة اليرموك،٢٠٠٢.
- تطور أدوات الاتساق النحوي والمعجمي في الخطاب الشعري العربي،محمد أحمد سامي أبو عيد، رسالة دكتوراة، جامعة اليرموك،٢٠٠١.
- الخطـاب وأثـره فـي بـناء نحو النص، عبد المهدي الجراح، جامعة اليرموك، رسالة دكتوراة، ٢٠٠٣.
- العدول النحوي السياقي في القرآن الكريم، عبدا لله علي عبدالله الهتاري، رسالة دكتوراة، ٢٠٠٤ جامعة اليرموك،

الدوريات:

- مجلة دراسات :العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد٣٠، عدد٣،٢٠٠٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University